

نازك الملائكة



المجلس الأعلى للثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة ♦ الجزء الثاني

♦ قرارة الموجة ♦ شجرة القمر ♦ للصلاة والثورة
♦ يغير ألوانه البحر ♦ الوردة الحمراء

نازك الملائكة

الأعمال الشعرية الكاملة
(الجزء الثاني)

- ◆ قرارة الموجة
- ◆ شجرة القمر
- ◆ للصلاة والثورة
- ◆ يغير ألوانه البحر
- ◆ الوردة الحمراء



٢٠٠٢

قَرَارَةُ الْمَوْجَةِ
الطبعة الأولى ١٩٥٧

إلى أمي . .

أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها

«نارك»

تقدمة للطبعة الثالثة

- ١ -

كنت قد كتبت هذا الحوار التحليلي عام ١٩٥٧ لأجعله مقدّمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة)، وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسى بين الفترة التى نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧-١٩٥٣) والفترة التى كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديوانى الرابع (شجرة القمر)، ومن عادتى ألا أنشر إنتاجى الشعرى إلا بعد مرور الزمن عليه، ليكون حكى عليه أصوب، وذلك سرّ الفروق الزمنية التى تقوم بين شخصيتى الفكرية فى (قرارة الموجة) وشخصيتى الجديدة عام ١٩٥٧، ولذلك سميت بطلّة قرارة الموجة بـ(الأولى) وبطلّة عام ١٩٥٧ بـ(الثانية) فشخصت بذلك الفروق بين ذهنيهما، وقد عدلت يومها عن نشر هذه المقدمة لأترك للقراء فرصة يدرسون فيها القصائد بمعزل عن تحليلاتى، أما الآن وأنا أقدم للطبعة الثالثة، فلا أرى مانعاً من نشر الحوار لما يلقى من أضواء كاشفة على هذا الشعر قد تساعد الناقد فى فهم وجهة نظرى الفلسفية وتطوري ذهنى بين الفترتين.

«ن.م.»

البصرة

فى ٢٣/١٢/١٩٦٧

الثانية: إنهم يسألوننى عنك، أيتها الصديقة القديمة، ويريدون أن يعرفوا لماذا سمّيته «قرارة الموجة».

الأولى: (فى لهفة) أو ليس فى وسعك أن تردى عليهم؟

الثانية: (دون مبالة): بلى، لست أنكر أن عندى معلومات كثيرة عن هذه القصائد، وفى وسعى أن أتحدث طويلاً عن كل واحدة منها، ولكنى - والحق يقال - لا أحسّ برابطة تربطنى بها أو بك، هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعينى، أتريدان أن أقف منها موقف الناقد؟

الأولى: أنت؟ بمقاييسك التى لا أقرها؟

الثانية: ماذا فى وسعى إذن؟ لقد سألتك أن تتحدثى أنتِ إليهم عن نفسك فأبيت.

الأولى: إنك ترفضين أن أقول ما أريد، وتصرين على أن أقول ما تريدان أنت، مع أنى أنا التى نظمتُ هذا الشعر لا أنت.

الثانية: فلنفرض أنى أذنت لك بالكلام.

الأولى: (ساخرة) كرمٌ عظيم منك، إنى أحبّ أن أحدثهم عن «الموجة»، عن النقطة العليا التى أسميها القمة، والنقطة السفلى أو «القرارة»، القمة التى تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى، والقرارة التى تصل إليها حين تستجمّ حركة الاندفاع المتوتر.

الثانية: يا أختي! أما كان الأفضل أن تنشرى لهم الشعر الذى نظمته وأنت فى قمة الموجة؟ أنت تدرين أنهم يتهمونك بالتشاؤم.

الأولى: (فى ازدراء) القمة؟ لا شىء على القمة إطلاقاً، إنى أكتب قصائد باردة حين أبلغها، وما القمة بعد؟ إنها بداية الانحدار، أما القرارة فليست إلا الاستجمام الذى ينطوى على بذرة التحفز إلى الانبثاق الحار والصعود إلى القمة التالية.

الثانية: سيقولون حين يسمعونك: ما قيمة الصعود إن كانت القمة نفسها باردة؟

الأولى: مهما يكن فإن عنوانى «قرارة الموجة» متفائل.

الثانية: هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) إن لم أخطئ.

الأولى: كلا، إن الشظايا قمة عالية حقاً، ولكن الرمد هو النهاية التى لا حياة بعدها، أما الموجة فهى لا تتركأ أبداً، والنقطة السفلى فيها ليست إلا القفزة الجديدة نحو القمة، وهكذا ترين أن (قرارة الموجة) يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لا نهاية لها، وإذا كان هذا الشعر قد نظم فى منحدر الموجة فإنها محض صدفة لا أكثر.

الثانية: آمناً، ولكنى أحب أن أعترض على شىء إن سمحت.

الأولى: (فى ضيق) كما تشائين.

الثانية: إنى أحب أن أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) إلى (طريق العودة) فما رأيك؟

الأولى: فكرة ذات إمكانيات، أتعلمين أن هذا قد خطر لى أنا نفسى مراراً؟

إن قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدّها مفتاح الفلسفة التي قامت عليها حياتي.

الثانية: اتفقنا إذن، فلنسمّه (طريق العودة).

الأولى: كلا، ليس في وسعي أن أوافق، إنّ القراء سيظنون العنوان غواية لا أكثر، سيحسبون أنني لم أجد عنواناً يلخص عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت إلى تسميته باسم إحدى القصائد، الواحدة الأثيرة إلى قلبي.

الثانية: وماذا لو ظنّوا هذا؟ إن ديوان شعري ما ليس عملاً موحداً بحيث يجب أن يلخصه العنوان.

الأولى: هذا ما لا أوافق عليه، إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر، ولا بدّ لكل فترة في حياة الشاعر الحق من اتجاه مميز، إنه شيء قائم، وهو يحتم العنوان.

الثانية: رأي متعنّت، أنت جدية أكثر مما ينبغي، وبعد فإن عنوانك العتيد (قراءة الموجة) لا يمثل القصائد كلها، إنّ في هذه المجموعة قصائد لاتقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حقّ، وأنت المسئولة، لقد حذف نصف قصائد هذا الديوان، انكرى هذا.

الثانية: إني لا أنكر، هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها.

الأولى: ولكنها مقاييسك أنت، أنت التي لم تنظم هذه القصائد، وليس من حقك أن تتحكمي في شعري أنا، أمامك ديوانك أنت فاحذفي منه ما تشائين.

الثانية: ألا يبدو أن فتاةً أخرى هي التي ستحكم في شعري أنا؟ واحدة لا أعرفها الآن، ستتبع من المستقبل وتواجهني ولن يروقها شعري، أغنيتي هذه الأخيرة التي تنتفض فيها الوردة الحمراء وتتفجر الدموع المختبئة فيها... هذه الأغنية التي أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم، يجوز أنها لن تسمح لي بنشرها كما أصنع أنا بقصائدك.

الأولى: (كأنها لاتصغي) حقاً ماذا أبقيت من (قرارة الموجة)؟

الثانية: يكفي ما أبقيت منه، إن القارئ سيألف الفلسفة، ألا يكفي أنك ملأت بها (لعنة الزمن) و(الشخص الثاني) و(سخرية الرماد) و(يحكى أن حفارين) و(صلاة الأشباح)؟ بل ألاه تكفيك قصيدة (طريق العودة) هذه القصيدة التي تولعين بها؟

الأولى: إنها تلخصني.

الثانية: طبعاً تلخصك، ولهذا أراني لا أنسجم معك، إنني أحبّ طريق العودة ولا أستطيع كرهك له وثورتك عليه، اسمعي ما تقولين:

لماذا نعود

أليس هناك مكان وراء الوجود

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصول

الأولى: (في لهجة حاملة) حقاً، لماذا نعود؟ إن طريق الرواح مملوء بالحياة والجمال دائماً، وما نكاد نقرّر الرجوع حتى يركد كل شيء، وتلوح الأشياء جامدة مملّة، طريق الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرة

فراها بلهفة تخفى ما فيها من معائب، بينما يقدمها لنا طريق العودة
وقد فقدت جدتها.

الثانية: وا أسفاه، أنتِ إذن تؤمنين أن آمالنا هي دائماً أجمل من تحققها،
أترى الكأس أعذب حين لا نملكها؟ أتصبح بلا طعم إذا نحن بلغناها
وتناولناها؟

الأولى: (ما زالت تحلم) تماماً، أنتِ تلخصين فكرتى التى جاءت فى قصيدة
(وجوه ومرايا) فى «شظايا ورماد» حيث قلت:

كيف حين استلمت كأسى أرسلت دموعى ولم يُقدنى ارتواءُ

الثانية: وهذه عين صرختك فى قصيدة (الزائر الذى لم يجرى) فى هذا
الديوان:

ولو كنت جئت..

أما كنت تصبح كالحاضرين وكان المساءُ

يمرّ ونحن نقلب أعيننا حائرين

الأولى: صرختى طبعاً، وأنا أحبها، إن مجئ زائرى المنتظر ليس إلا قمة
الموجة، وتحققه ينذر بالمنحدر.

الثانية: إنك يا صديقتى لاتقوين على التحديق فى الأشياء خوفاً من أن
يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى، أليس هذا هو السرّ
فى قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق وألححتِ عليه؟
اسمعى أبياتك:

وما زال وجهك مثل الظلام، له ألف معنى

وقد يعتريه جمود الصنم

إذا رفع الليل كفيه عنا

هكذا تحاولين أن تهربي من التحديق في الأشياء، وتؤثرين أن تستبقى على عينيك غشاوة تحجب عنك كل شيء، إنك تكرهين أن تبلغى القمة لئلا يلوح لك المنحدر، وتمقتين أن تصلى إلى نهاية الطريق لئلا تضطرى إلى الرجوع، وتحبين... ماذا تحبين أنت؟ إنك بكلمة واحدة لا تحبين الوصول إلى أى مكان.

الأولى: وما قيمة الوصول إلى مكان؟ انظري إلى الوصول الذى حققته فى قصيدتى (وجوه ومرايا).

الثانية: (ساخرة) أوه... قصيدتك تلك... حيث تحطمين المرأة؟ اتذكرين لماذا حطمت المرأة؟

الأولى: طبعاً، لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه، كان ينبغى أن أنظم قصيدة سعيدة، وقد توقعوا جميعاً أن أفعل.

الثانية: وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء)، لماذا؟ لقد أدركت أنك وصلت، وبدلاً من أن تسعدى بالقمة ذهبت إلى المرأة تبحثين فيها عما سميت «ذاتك التى لا تلمس»، قولى لى حقاً لماذا حطمت المرأة؟ إنك لم تقولى هذا لأحد قط؟

الأولى: لم أقله لأحد، ولن أقوله الآن.

الثانية: لا داعى لأن تقولى بعد، أولاً أعرف كل شيء عنك؟ أنت لا تحبين الوصول والتحقق، وقد أخافك وجهك فى المرأة لأن ظل القمة كان منعكساً عليه.

الأولى: وما ظل القمة فى اعتباراتك؟

الثانية: السعادة يا فتاة.

الأولى: أنت لاتفهميننى على كل حال.

الثانية: مهما يكن، لقد ألقيتِ بالمرآة على الأرض وحطمتها لتهربى من القمة التى تخيفُكِ.. الوصول.

الأولى: وهنا كانت السخرية، لقد بات وجهى منعكساً على كل شظية من شظايا المرآة، لقد تعددتُ وتجزأتُ نفسى، إن هذا هو ما أكرهه.

الثانية: لأنكِ تكرهين الوصول وحسب، إنكِ لم تطيقى أن تصلى مرة، وعندما تحطمت المرآة تعددتُ وصولُكِ فلم تطيقى الموقف.

الأولى: ماذا كان سيقع لى بعد ذلك؟ بعد الوصول؟ الانحدار إلى القرارة.

الثانية: وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة إن لم تقررى النزول إلى القرارة؟ كيف تنعمين بطريق الرواح إن كنتِ لاتطيقين طريق العودة؟ قفى إذن حيث أنتِ يا صغيرتى واغمضى عينيكِ، أغمضيتها بسرعة لئلا يشرق الضوء، أو يلوح لك القمر وهو يسخر منك كما تصفينه فى (سخرية الرماد).

الأولى: أنتِ تحبين الجدَل.

الثانية: ربما، ولكنى أجادل ظلاً هذه المرة وبعد فمن أنتِ؟ طيف من الماضى، شىء كان ولم يعد له وجود.

الأولى: إنى أقوى منك مع ذلك انظرى كيف تتنحى لى وتدعيننى أعيش على الورق، بينما تلودين أنت بالصمت التام.

الثانية: أنت تغلبين؟ سرعان ما ستعبين من المقاومة وتهربين، إنك تنسين الأشياء بسرعة، ولا تحبين الثبات على أى شىء، إنك تبتدعين الأساليب لكى تغيرى أى طريق تسيرين فيه، إن الزمن يدحرك فى كل مناسبة.

الأولى: (تتفض فى شبه خوف) الزمن؟

الثانية: انظرى كيف أفرعتك الكلمة؟

الأولى: إنى لا أخاف الزمن، إنى أسأله وحسب، ولعلى أتعب من مصاحبة أفكارى.

الثانية: إن «قرارة الموجة» أفصح منك فى الحديث وأكثر صراحة، انظرى إلى قصيدة (لعنة الزمن) إنك ترمزين للزمن بالسمة الميتة التى كانت طافية على سطح النهر ذات غروب، خلال نصف ساعة متأملة قضاها الصديقان اللذان تناول القصيدة قصتهما.

الأولى: طبعاً يكون للزمن تأثيره، انظرى للظروف التى كانا فيها.

الثانية: ما لهما؟ لقد أعطيتهما فى أول القصيدة خير ظروف ممكنة، طبيعة ملاطفة، وغروب وديع يفرش ألوانه فى خدمة المحبين اللذين يحاولان إحياء ماضٍ قد انطوى، ويبذل كل منهما جهداً مخلصاً فى هذا الاتجاه، وقد نجح الغروب فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان ولكنك وأنت ما أنت تدخلت فوضعت السمكة الميتة فى الطريق.

الأولى: (تبتسم) أنا وضعتها، إنها كانت طافية على الماء ولم أضعها أنا هناك؟

الثانية: إنها مجرد سمكة ميتة، وكان فى وسعها أن تظل كذلك لو لم تصرى أنت على أن تكبر وتكبر.

الأولى: «فى احتجاج» أنت تتكلمين وحسب، إن السمكة قد بدأت تكبر فجأة.

الثانية: لأنهما القيا بالهما إليها يا ساذجة.

الأولى: «فى جهل مخلص» لقد قابلاها بالشفقة أولاً ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التى نجحا فى تحقيقها أتريدين أن تقولى إنهما كانا يستطيعان أن يقاوما الشعور بالانزعاج من أن تطفو سمكة ميتة فى تلك اللحظة؟

الثانية: إن الصديق قد رفض أن يلقي باله إلى السمكة ألا تذكرين احتجاجه القوى على الفتاة فى بعض مقاطع القصيدة؟
الأولى: إنه لم يكن خائفاً.

الثانية: طبعاً، هكذا بدا، ولكنه سرعان ما خاف بتأثير الفتاة التى نسيت كل شىء وعلق بصرها بالسمكة فى رعب، اسمعى صرخاتها

..... أى طريق

يحمينا من هذا المخلوق

لنعد، فالدرب يضيق يضيق

والظلمة محكمة الإغلاق

لقد راحت تثير وساوسه ومخاوفه حتى نجحت فى زعزعة ثقته، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التى مضت فى التضخم حتى فصلت بينهما وسدت فى وجهيهما الأرجاء، قولى لى، ألسنت أنت التى وضعت بينهما هذه «الجثة»؟

الأولى: لقد كانت الجثة موجودة، ولا شأن لى أنا بها، كيف كان يمكن ألا أخاف؟

الثانية: إن السمكة فى قصيدتك رمز للزمن أى الفراق بين الصديقين أليس كذلك؟

الأولى: تماماً، إنى أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين الأصدقاء يجعل من المستحيل أن يعودوا أصدقاء.

الثانية: أغرب عقيدة، ولماذا إذا سمحتِ بالسؤال؟

الأولى: لأنهم لابد أن يكونوا قد تغيروا خلال ذلك ونمت فى أنفسهم ترسبات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثانى.

الثانية: ما هذا الزمن لتخافيه إلى هذا الحد؟ إن التغير مهما كان عميقاً لا يبعد الإنسان عن إنسانيته التى تبقى تجمعهم بالآخرين مهما كانت صفتهم، لكأنك تفترضين أن الناس أصلاً منفصلون ولا يجمعهم إلا الاتصال، أما أنا فأؤمن بأن قيام الصلات الودية بين أى إنسانين فى الدنيا محتمل فى كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه.

الأولى: رأيك هو الغريب، إنى أقضى أشهراً طويلة أحياناً قبل أن أحس بشيء من الانسجام مع إنسان أراه كل يوم.

الثانية: يسرنى يا أختاه أنك محض ظل الآن، وخير لك أن تعودى إلى قوقعة التاريخ التى استدعيتك منها وأنا أهى (قرارة الموجة) للمطبعة.

الأولى: إنى لا أطيقك، أنتِ الشخص الثانى الذى أسخر منه فى قصيدتى.

الثانية: ها، قصيدتك (الشخص الثانى)، كنت على وشك أن أنساها وهى دليل حى على ربعك من الزمن الذى يلوح فيها شيطاناً خبيثاً.

الأولى : أنت الشخص الثانى .

الثانية : رائع ، إن هذا يناسبنى وأنا راضية ، أتحسبن أن الناس يخلون من أن يكون فيهم شخص ثانٍ؟

الأولى : ماذا ينفعك هذا؟

الثانية : إن فى وسعى أن أصافح هذا الشخص الثانى يا صديقتى ، إنه أقرب إلىَّ منك .

الأولى : إن الشخص الثانى : بارد ، هازئ ، بلا مشاعر .

الثانية : هكذا ترينه لأنك الشخص الأول دائماً ، لقد أردتِ ألا تتغيرى قط ، وكأنك صغتِ نفسك وفق قالب نموذجى ، وعندما عدت من الولايات المتحدة عام ١٩٥١ تخيلت أن إنساناً جديداً قد ولد وترعرع ، فى داخل كل إنسان عرفته فى أرض الوطن ، قولى لى هذا وحسب ، لماذا لم تفترضى أن إنساناً جديداً قد ولد فيك أنت كذلك خلال أسفارك فى أقطار الدنيا؟ لماذا لم يخطر لك أنك أنت الشخص الثانى؟

الأولى : معاذ الله ، إنى لست الشخص الثانى وكفى .

الثانية : ألم أقل لك أنك تلقين بالك إلى الزمن أكثر مما ينبغى؟ أليس الشخص الثانى هو عين السمكة الميتة؟

الأولى : هو نفسه .

الثانية : هل تصافحينى؟

الأولى : إنى لا أحبك .

الثانية : شأنك إذن .

الأولى : لقد آن لى أن أعود إلى قوقعتى كما تسمينها ولا أظننا سنلتقى ثانية .
الثانية : أما أنا فإن نفسى الجديدة تتظرنى فى مكان ما من المستقبل القريب ،
وسأذهب للقاءها .

الأولى : أرجو ألا يطول بحثك عنها .
الثانية : مهما طال ، فلا بد لى من الوصول ، وسأجدما فى النهاية
وأصافحها ، وداعاً يا رفيقة .
الأولى : (لا ترد ، تختفى وراء الضباب) .

٥٧/٢/٢١

نازك الملائكة

أول الطريق

لنلتق، فالريح تعصف والمنحنى لا يعي
وغممة الهاجس المتهدد في مسمى
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون
غريبٌ مخيف المعابر يشبه لون المنون
أحسن السراب

وراء الهضاب

والمس في لونه مصرعى
وأنت بعيدٌ وراء الظنون

لنلتق؛... إني أخاف المساء الغريق الضياء
أرى مارداً من أساي الممزق يطوى الفضاء
ينقل أقدامه السود بين عيون السنا
ويطفئها، عدت أخشى أذاه على نجمنا
فعين الإله

غفت عن أذاه

وقد يستعير لهيب البكاء
ويغمده في ابتساماتنا

لنلتق.. ما أطول الانتظارَ على الخائفين
لنلتق، تحجبنا فكرةٌ عن عيون السنين
هنالك ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيق
تمدّ يديها لترشدنا لمكانٍ سحيقٍ
وراء الجراح

ولسع الرياح

بعيداً وراء كهوف الأنين
هنالك يبدأ كلّ طريق

هنالك تبتدى الذكريات سجلاً جديداً
وتبدو حدود طريقٍ يشقّ الفضاء المديد
إلى موضعٍ فى المدى المرتقى حجبته الظلال
وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيال
ستعبر فيه

إلى ألف تيه

سدى يتحرى الزمان البليد
خطانا فنحن وراء المحال

سنحياً معاً فى عوالم حافلة بالوعود
ونملك ليلاً يبيع النعاس وعطر الورود
سينبجس الماء حيث لمسنا أديم الثرى
ويرقص حول خطانا بأجنحة من شذى
سنمحو الزمان

وننسى المكان

هناك ونُقَسِّمُ ألا نعود

إلى أمهنا المنطوى..

سرّينا!

١٩٤٨/٤/٨

أغنية

اسْكُنِّي يَا أَغَانِي الْأَمَلْ
فَالْهَوَى قَدْ رَحَلَ
وَانْطَوَى سِرْهُ فِي مَقْلٍ
رُصِفَتْ بِالْمَلَلِ

أَيْنَ أَيْنَ تَرَى تَذْهَبِينَ
فِي سَكُونِ السَّنِينِ
وَالطَّرِيقِ الَّذِي تَسْلُكِينَ
صَامَتْ لَا يُبَيِّنُ

وَلِمَنْ تَخْلُقِينَ الْعُطُورُ
وَاللَّيَالَى تَدُورُ؟
وَلِمَنْ دَفْءُكَ الْمَسْحُورُ؟
لِلدَّجَى؟ لِلْقُبُورِ؟

ولمن أنت والمنشدون
رحلوا في سكون؟
والأسي، يا أغاني، ديون
دفعتها عيون

كم ملأنا بك الأقداح
وسقينا الرياح
كم منحناك للأشباح
في رضا وسماح

فابحثي في شعاب الوجود
عن هوانا الشرود
كفنا نديت بالوعود
وهو ليس يعود.

دعوة إلى الأحلام

تعال لنحلم، إن المساء الجميل دنا
ولين الدجى وخذود النجوم تُنادى بنا
تعال نصيدُ الرؤى ونعدّ خيوطَ السنا
ونُشهدُ منحدرات الرمال على حبنا

سنمشي معاً فوق صدر جزيرتنا الساهده
ونُبقى على الرملِ آثارَ أقدامنا الشارده
ويأتى الصباح فيُلقي بأندائه الباردة
ويُنبتُ حيثُ حلُمنا ولو وردةً واحدة

سنحلم أنا صعدنا نرود جبال القمر
ونمرحُ في عُزلة اللانهاية واللابشر
بعيداً، بعيداً، إلى حيث لا تستطيعُ الذكرُ
إلينا الوصولَ فنحن وراء امتداد الفكرِ

سنحلمُ أنا استَحَلْنَا صَبِيَّينَ فَوْقَ التَّلَالِ
برِثَّينِ نَرْكُضُ فَوْقَ الصُّخُورِ وَنَرْعَى الْجِمَالَ
شَرِيدَيْنِ لَيْسَ لَنَا مَنْزَلٌ غَيْرَ كُؤُخِ الْخِيَالِ
وَحِينَ نَنَامُ نَغْرَغُ أَجْسَامَنَا فِي الرَّمَالِ

سنحلمُ أنا نَسِيرُ إِلَى الْأَمْسِ لَا لِلْفَدِ
وَأَنَا وَصَلْنَا إِلَى بَابِلٍ ذَاتَ فَجَرٍ نَدِ
حَبِيبَيْنِ نَحْمِلُ عَهْدَ هَوَانَا إِلَى الْمَعْبَدِ
يُارْكُنَا كَاهِنٌ بَابِلِيٌّ نَقَى الْيَدِ

١٩٤٨/٩/٢٨

الشهيد

فى دجى الليل العميقُ
رأسهُ النشوانُ ألقوه هشيما
وأراقوا دمه الصافى الكريما
فوق أحجارِ الطريقِ

وعقاييلُ الجريمة
حملوا أعباءها ظَهَرَ العمودُ
ثم ألقوه طعاماً للحودِ
ومتاعاً وغنيمه

وصباحاً دفنوهُ
وأهالوا حقدهم فوق ثراهُ
عارُهُم ظنّوه لن يُبقى شذاهُ
ثم ساروا ونسوهُ

والليالى فى سرّأها
شهدت ما كان من جهدٍ ثَقِيلِ
كلّما غطّوا على ذكرى القَتِيلِ
يتحدّاهم شدّأها

حَسَبُوا الإِعْصارَ يُلَوِى
إن تَحَامَوْهُ بِسِتْرِ أو جَدَارِ
ورأوا أن يطفئوا ضوءَ النهارِ
غير أن المجد أقوى

ومن القبرِ المعطرِ
لم يَزَلْ منبعثاً صوتُ الشهيدِ
طيفه أثبت من جيشٍ عنيدِ
جائِمٍ لا يتقهقرِ

وسيقى فى ارتعاشِ
فى أغانيها وفى صَبَرِ النخيلِ
فى خُطى أغنامنا فى كلِّ ميلِ
من أراضينا العطاشِ

فليُجنّوا إن أرادوا
دونهم.. وليقتلوه ألف قتله
فغداً تبعه أمواج دجله
وقرانا والحصاد

يا لَحْمَقِي أغبياء
منحوه حين أردوه شهيدا
ألف عُمر، وشباباً، وخلودا،
وجمّالاً، ونقاءً

إنّه عاد نبيّا
وهو قد أصبح ناراً تتحرّق
في أمانينا وثأراً يتشوّق
وغداً يُبعث حيا

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كان المغرب لون ذبيح
والأفق كآبة مجروح
والأشباح الغامضة اللون تجوسُ الظلمة في الآفاق
والنهر ظنونٌ سوداءُ
والريحُ مـِـراوحُ نكراءُ
والضفّة أرضٌ جرداءُ
تمضغها الظلمة في استغراق
كانت خطوات الظلمة ترطم جـو الشاطئ في استغراق
والصمت يفكر في الأحداق

كنّا نتبع نعش الضوء
ونراقبُ خطوَ اللاشيءِ
إثنينِ يلوحُ على استغراقهما المُبهم لونُ العُشّاق
كنّا نرقبُ كأسَ الأفقِ
ترضع من أوْشال الشفقِ
وتصبُّ الحُمرة في قلقِ
في سيقانِ صُفْرِ الأوراقِ
في سيقانِ عـرّتـها الريح من الألوان، من الأوراق
ومضت تـبـكِـها في إشفاق

كنا كالأمواج الخرسِ
في عييننا لون الشمسِ
في وجهنا الوقيرين خُشوعُ المغرب والأبد الخلاق
كنا نهمس كالأنداء
كبصدي مجداف في الماء
لم نقطع صمت الظلماء
بمدامع ذكرى أو أشواق
كنا قد كفنا الماضي ودفنا اللهفة والأشواق
في الظلمة في صمت الأعماق

وأراق المغرب ألوانه
فوق الأشياء الوسنانه
لم يبق بناء لم تحمّر أعاليه، لم يبق زقاق
حتى في صُفرة خدينا
حتى في وجمة قلبينا
أحسنا اليقظة واللونا
حتى في دمننا، في الأعراق
أحسنا شيئاً كالثورة في الدم، في الأعين، في الأعراق
شيئاً كاللهفة، كالأشواق

حتى طرق الماضي الخربة
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحة الصمت يغازلها ضوء القمر المشتاق
لا فيها أشباح حيرى
تبعنا غاضبة غيرى
ذات عيون تقطر غدرا
فى الليل، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال، ولا أنفاق
لا شىء سوى القمر البراق

وهجسنا شيئا منفعلا
فى قلبينا، شيئا ثملا
يلهث عاطفة بعد جمود سنين مرت فى استنفراق
وانبجست أشواق وسنى
من أعيننا لونا.. لونا..
وتحسرك فى دمننا معنى
نارى الشوق صد تواق
وسدى حاولنا أن نسكتنه فهو صد مريح، تواق
وسدى نظمته فى الأعماق

ووقفنا في الظلمة نحلم
بالموج وبالليل المبهم
ونحسوك من الأنجم والرؤيا والأمل — وواج لنا أطواق
ونجوب العالم في عربات
صنعتها أذرُعُ جنّيات
من عطر الأزهار الخجلات
من أسلاك الضوء الألاق
في قعر النهار على أرضٍ لم يلمسها القمر الألاق
وتناست مولدها الآفاق

لَكُنَّا إِذْ كُنَّا نَحْلُمُ
أَحْسَنًا شَبَهَ صَدَى مُبْهَمٍ
فِي الْأَمْوَاجِ الدَّاكِنَةِ الصَّمْتِ، سَمِعْنَا شَبَهَ صَدَى خَفَاقِ
«الْجَنِّيَّاتِ الْمُتَقِمَّاتِ»
يَصْعَدْنَ إِلَيْنَا فِي عَرَبَاتِ
وَأَجَابَ رَفِيقِي: لَا، هِيَ هَاتِ
ذَلِكَ صَوْتُ الْمَوْجِ الرَّقْرَاقِ
الرَّيْحِ الْحَالَةِ الْبَيْضَاءِ تَمُرُّ عَلَى الْمَوْجِ الرَّقْرَاقِ
وَتَخَادِعُ أَسْمَاعَ الْعِشَاقِ

لأياً وتبيناً الحركه
ثمّة وإذا جثّة سمكه
طافية فوق الموجة ميّنة والشاطئ في إشفاق
وصرخت: رفيقى! أين نسير؟
لنعد، فالجثة همس نذير
أرسلها عملاق شرير
إنذار أسى ودليل فراق
فأجاب رفيقى: «نحن هنا يحرسنا الحبُّ فأى فراق؟»
وغرقنا فى صمتٍ براق

ومشينا لكنّ الحركه
ظلت تتبعنا، والسمكه
تكبّرُ تكبّرُ حتى عادت فى حوضن الموجة كالعملاق
وصرخت «رفيقى أى طريق
يحمينا من هذا المخلوق؟
لنعد، فالدرب يضيق يضيق
والظلمة مُحكمة الإغلاق»
فأجاب رفيقى مرتعشاً، والظلمة مُحكمة الإغلاق:
«نهرب، لن تسلّمنا الآفاق»

وبقينا نهرب والسمة
تتبع أرجلنا المرتبة
تلك الأحداق وأين المهرب من لعنة تلك الأحداق؟
وزعانقها السود الشوها
سدت في وجهينا الأرجاء
وأراقت في الجو الوضاء
سحباً سوداء ولون محاق
حتى وجه القمر السحري غشاها أسي وظلام محاق
وتلاشى مبسمه البراق

ورجعنا نسحب قلبينا
ونجر كآبة ظلينا
تتبعنا الأحداق النهيمات بنظرة هزء ليس تطاق
حتى الأغصان المشتبة
عادت تشبه عين السمكة
وتروع خطانا المرتبة
والأنجم عادت كالأحداق
والغد والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحداق
رسبت وتوارت في الأعماق

١٩٥٠ / ٨ / ١٢

إلى العام الجديد

يا عامُ لا تقرب مساكننا فنحن هنا طيوف
من عالم الأشباح، يُنكرنا البشر
ويفر منا الليل والماضي ويجهلنا القدر
ونعيش أشباحاً تطوف
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم، لا أشواق تشرق، لا منى
آفاقُ أعيننا رمادُ
تلك البحيرات الرواكذُ في الوجوه الصامته
ولنا الجباه الساكنه
لا نبضَ فيها لا اتقادُ
نحن العراةُ من الشعور، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان إلى العدم
الجاهلون أسى الندم
نحن الذين نعيش في ترف القصور
ونظَلُّ ينقصنا الشعور.
لا ذكريات،
نحيا ولا تدرى الحياة،
نحيا ولا نشكو، ونجهل ما البكاءُ
ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء

يا عامُ سرٍّ، هو ذا الطريقُ
يلوى خطاك، سدىً تؤمِّل أن تُفِيَقَ
نحن الذين لهم عروق من قصبٍ
بيضاءُ أو خضراء نحن بلا شعور.
الحزن نجعله ونجهلُ ما الغضب
ما قولهم إن الضمائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبور
ونود لو عرف الزمانُ
يوماً إلينا دربه كالآخرين
لو أننا كنا نُورخ بالسنين،
لو أننا كنا نقيّد بالمكان
لو أن أبواب القصورِ الشاهقات
كانت تَجِيُّ قلوبنا بسوى الهواء،
لو أننا كنا نسير مع الحياه
نمشي، نحسُّ، نرى، ننامُ
وينالنا ثلجُ الشتاء
ويلفُ جبهتنا الظلام
أواه لو كنا نحسُّ كما يحس الآخرونُ
وتنالنا الأسقام أحياناً وينهشنا الألم

لو أنَّ ذكرى أو رجاء أو ندم
يوماً تسدُّ على بلادتنا السَّيلُ
لو أننا نخشى الجنونُ
ويشيرُ وحشتنا السكونُ
لو أن راحتنا يعكّرها رحيلُ
أو صدمةٌ أو حزنٌ حبٍ مستحيلٍ.
أواه لو كنا نموت كما يموت الآخرونُ

١٩٥٠ / ١ / ١

طريق العودة

نعودُ إذن في الطريق الطويلُ
تُواجهنا الأوجه الجامده
يواجهنا كل شيء رأينا منذ قليلُ
كما كان في ركدة بارده
نعود إذن، لا ضياء ينير
لأعيننا الخامده

نسير ونسحب أشلاء حُلُم صغير
دفناه بعد شبابٍ قصيرُ

نعودُ وهذا طريق الإيابُ
يُمدّ مرارته ورتابة أسرارهِ
نسير ويرزُّ بابُ
هنا، وجدار هناك يسدّ الطريق
بأحجارهِ
وثم سياجٌ عتيق،
تهدم عند النهرِ
وعابرةٌ، دون معنى تُمدّ البصر

إلى حيث لا نعلم،
تمرّ بنا، لا تُفكر فينا
وتنسى ونجهل أنا نسينا
ولا نفهم.

نعود إذن في طريق الإياب المرير
وكنا قطعناه منذ زمان قصير
وكنا نسميه، دون ارتياب، طريق الرواح
ونعبره في ارتياح
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكادُ يعانقنا ويصبّ علينا غدا
دقائقه نسجتها المنى
وكنا نسميه، دون ارتياب، طريق الأمل
فما لشذاه أقل
وفي لحظة عاد يدعى طريق الملل؟
وعدنا نسير ويسلمنا المنحنى
إلى آخر ضيق
ويدفعنا كل شيء نراه
إلى يأسنا المطبق

ونشعرُ أنا ضجرنا ضجرنا وعفنا الحياه
وعدنا ننج الحياه.

لماذا نعود؟

أليس هناك مكان وراء الوجود

نظل إليه نسير

ولا نستطيع الوصول؟

مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريقٌ طويل

يظلُ يسير يسير

ولا ينتهى، ليس منه قفول

هنالك لا يتكرر مشهد هذا الجدار

ولا شكل هذا الرواق

ولا يرسل النهر فى مللِ نغمة لا تطاق

نُصيخُ لها فى احتقار

لأن الطريق طريق الرجوع

لأننا بلغنا نهاية درب الرواح

وأصبح لابد من أن نذوق الجراح

ونحنُ نسير ونقطع درب الرجوع

ونذرعه بالدموع.

ألا بد من أن نؤوب
وتدفعنا خلجاتُ المرارة دون حُلم؟
ألم ينطفئ كل حلم كذوب
وها نحن نعلم أننا بلغنا القمم؟
وسرنا على أوجها مرةً، ثم حان الإياب
وعُدنا نجر قيود الألم
وندرك كيف تغير حتى التراب
تغير حتى الطريق
وأصبح يرفضنا في ملال وضيق
وعاد يصبُّ علينا جموداً عميقاً.

وعُدنا نسير
نجر أحاسيسنا الراكدة،
وتصدمنا الأوجه الجامدة
نسير، نسير
نحدق في أي شيء نراه
بهذا السياج المهدم أو بسواه
نحدق، لا رغبة في النظر
ولكن.. لأن لنا أعينا

نعلّق، لا شوق يُغري بنا
ولكن لأنّا سئمنا السكونَ المخيفَ
ووقع خطانا الرتبيات فوق الرصيفِ
سئمنا فأين المفر؟
ولا بدّ من أن نعود
فليس هناك مكانٌ وراء الوجودِ
نظلّ إليه نسيرُ
ولا نستطيع الوصولَ.

١٩٤٩/٣/١٥

الأعداء

نحن إذن أعداء

من عالم لا يفهم الأشواق
ولا يعي أغنية الأحقاد
أعيننا لا تفهم النجوى
الحب فسيها سيرة تُروى
كان لها أمس
وضممه رمس

من تربة البغضاء

نحن إذن أعداء

تفصلنا عوالم شاسعة
حدودها الوجهولة الضائعة
تبث في دروبنا المستحيل
فنذر العُمُر الجديب الطويل
بحثا عن الباب
وحبنا الخابي

يغري بنا الصحراء

نحنُ إذنُ أعداءُ

ترقد في أعماقنا الذكرى
مشلولة، ضائعة، حيرى
المقت يلقى فوقها ظلاً
والحق قد لم يُبقِ لها شكلاً
ولعمنة الأيام
خلفت الأحلام
فوق الثرى أشلاء

نحن إذن أعداء

وإن تكن تجسمنا أحلام
من أمسنا أودت بها الأيام
وإن تكن قد خلفت أشياء
في المقل الفارغة الجذباء
في الأوجه الداويه
كنجمة خاييه
تغرب في الظلماء

نحن إذن أعداء

وإن طغت في دمنا الأشواق

ودبت اليقظة في الأرمواق

وبيننا عسوالم شتى

ندركها كما يعي الموتى

تحت التراب المهين

وقع خطي العابرين

وضجة الأحياء

١٩٤٩/١١/٢٦

حصاد المصادفات

حينما يرقُد الهوى ميّناً فو
وتعود الذكرى صدىً جامداً الوقْد
وتموتُ الألوانُ في المقلّ الجَد
ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجَد
ق تراب الأيام والأعوام
ع لعهدٍ مغلفٍ بالظلام
باءٍ في حَسرةٍ وفي استسلام
بٍ وتطغى القوضى على الأنعام

حينما يُصبح الهوى قصّةً كا
عشّ الصمتُ في خرائبها النك
وطوى نبضها انصبابُ البرود الـ
وخمود الفراغ لفّ صداها
نت ومرّت بالكون منذُ عصورٍ
راء خلف الخيال والتفكير
مُرّ في كلّ شهقةٍ وشُعورٍ
بجمود الموتى وصمتِ القبورِ

وتُحس العيونُ أنّ عيوناً
لم تُعدْ في أهدابها خلجةٌ تسـ
ضاعَ في جوّها النداءُ وردّتْ
وارثتْ في أنحائها رَغباتُ الـ
ماتَ فيها المعنى وعادتْ رَمادا
تصرخ الشوق والصدى والسُّهادا
آهةٌ في السكون تنعى المُنادى
أمسٍ والذكرياتُ عادتْ جَمادا

عندما ينطوى النداءُ وتُمحى
وتُحسُّ القلوبُ أنَّ قلوباً
عنكبوت الجمود شبك فيها
وغبار السنين جرَّ على الأشـ

كلماتُ النجوى وتطوى الأمانى
بردت في أصابع النسيانِ
عُشَّه والسكونُ لفَّ الأغاني
واقٍ سترَ اللَّالونِ واللاكيانِ

ربَّما يلتقى هنالك طيفاً
يعبران الحياةَ قد ضيَّعا
في برودٍ يمر كلُّ على الآ
لا شعورٌ يلوح في أعين صمـ

ن من الأمس في شعابِ طريقِ
ملكة الحبِّ في الزمانِ السحيقِ
خر خابى العيون مئت العُروقِ
ماء غرقى في لُجٍّ صمت عميقِ

من حصَّاد المصادفاتِ يمراً
ربَّما لخصا غرامهما الما
ربَّما ألقيا التحيةَ لا عمـ
ثم سارا كأنَّما لم تكن يو

ن كنجمين في امتداد الفضاءِ
ضى بشبه ابتسامة جذباءِ
حق لها، في برودة الغرباءِ
مأ حياة عطشى وراء الدماءِ

١٩٤٩/١٠/١٣

النائمة في الشارع

في الكرَّادة، في ليلة أمطار ورياح
والظلمة سَقَفٌ مُدٌّ وسترٌ ليس يُزَاح

انصفَ الليل وملء الظلمة أمطارُ
وسكونٌ رطبٌ يصرخُ فيه الإعصارُ

الشارعُ مهجورٌ تُعولُ فيه الريحُ
تتوجعُ أعمدةٌ وتنوحُ مصابيحُ

والحارسُ يعبرُ جهماً مرتعداً الخطواتُ
يكشفُهُ البرقُ وتحجبُ هيكَلهُ الظُّلُماتُ

ليلٌ يجرفُهُ السيلُ وينهَشُهُ البَرْدُ
تتفيضُ الظلمةُ فيه ويرتعشُ الرعدُ

في منعطفِ الشارع، في ركنٍ مقرورٍ
حَرَسَتْ ظُلُمَتَهُ شرفةُ بيتٍ مهجورٍ

كان البرق يمرُّ ويكشفُ جسمَ صبيه
رقدت يلسعُها سوطُ الريحِ الشتويه

الإحدى عشرة ناطقةٌ في خديها
في رقةٍ هيكلها وبراءةٍ عينيها

رقدت فوق رخام الأرصفة الثلجية
تعوّل حول كراها ربحٌ شرينيه

ضمت كفيها في جزعٍ في إعياء
وتوسّدت الأرض الرطبة دون غطاء

لا تغفوا، لا تغفلُ عن إعوال الرعد
والحمى تلهبُ هيكلها ويدُ السّهد

ظمأى، ظمأى للنوم ولكن لا نوما
ماذا تنسى؟ البرد؟ الجوع؟ أم الحمى؟

ألم يبقَ ينهشُ، لا يرحمُ مخلبُه
السّهد يضاعفه والحمى تلهبُه

نارُ الحَمَى تُلهِمُها صوراً وحشيةً
أشباحُ تركُضُ، صيحاتُ شيطانِيه

عَبثاً تُخْفِي عَيْنِها وَسُدَى لا تَنْظُرُ
الظلمة لا تدرى، والحَمَى لا تُشْعِرُ

وتَظَلُّ الطفلةُ راعِشةً حتى الفجرِ
حتى يخبو الإِصْصارُ ولا أَحَدٌ يدرى

أَيَّامُ طفولتِها مَرَّتْ في الأَحْزانِ
تَشْرِيدٌ، جُوعٌ، أَعْوامٌ من حِرْمانِ

إِحدى عَشْرَةَ كانتْ حَزْناً لا يَنْطَفِئُ
والطفلةُ جُوعٌ أَزْلَى، تَعَبٌ، ظَمَأٌ

ولمَن تَشْكُو؟ لا أَحَدٌ يُنصِتُ أو يُعْنِي
البَشَرِيَّةُ لَفْظٌ لا يَسْكُنُهُ مَعْنَى

والناسُ قَناعٌ مُصْطَنعُ اللونِ كَذُوبٌ
خلفَ وداعتهِ اخْتِباءُ الحِقْدِ المُشَبَّوبِ

والمجتمع البشري صريعٌ رؤىً وكؤوسٌ
والرحمة تبقى لفظاً يُقرأ في القاموس

ونيامٌ في الشارع يققون بلا مأوى
لا حُمى تشفعُ عند الناس ولا شكوى

هذا الظلم المتوحشُ باسمِ المدنيّة،
باسمِ الإحساسِ، فواخجلِ الإنسانِ

مرثية امرأة لا قيمة لها

«صور من زقاق بغدادى»

ذهبت ولم يشحب لها خدٌ ولم ترجف شفاهُ
لم تسمع الأبواب قصة موتها تُروى وتُروى
لم ترتفع أستار نافذة تسيلُ أسى وشجوا
لتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقية هيكلي في الدرب تُرعىه الذكرُ
نبأ تعثر في الدروب فلم يجد مأوى صداهُ
فأوى إلى النسيان في بعض الحفرِ
يرثى كاتبه القمرُ.

والليلُ أسلم نفسه دون اهتمام، للصباح
وأنى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام،
بمؤاء قط جائع لم تبق منه سوى عظام،
بمشاجرات البائعين، وبالمرارة والكفاح،
بترشق الصبيان بالأحجار في عرض الطريق،
بمسارب الماء الملوّث في الأزقة، بالرياح،
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيق
في شبه نسيان عميق.

١٩٥٢/٧/٩

الأرض المحجبة

صَوَّرُوهَا جَنَّةً سَحَرِيَّةً
من رحيق وورود شفقِيَّة
وأراقوا في ربَّاهَا صُوراً
من حنان، وتساييحَ نقيَّة
ثم قالوا إن فيها بِلَسْمَاً
هيأتهُ لجراحِ البشريَّة
وأردناها فلم نَظْفَرْ بِهَا
ورَجَعْنَا لِأَمَانِينَا الشَّقِيَّة

الملايينُ عُيُونٌ ظَمِئَتْ
عز أن تملكَ سلوىً واحده
والملايين شَفْفاءٌ عطِشَتْ
ليس تُروِيها الوعودُ الباردة
ذلك المشعلُ هاتوهُ فقد
أكلَ الليلُ العيونَ الساهده
وأمرّوه على أشباحنا
لَتَرَوْا لَوْنَ دَمَانَا الجَامِده

عُمَرُنَا كَانَ طَرِيقاً مُغْتَمّاً
فَأَنِيرُوهُ إِلَى الْقَبْرِ أَخِيرَا
وَصَبَانَا كَانَ جُرْحاً سَاهِداً
يَشْرَبُ الْمَلْحَ وَيَقْتَاتُ السَّعِيرَا
وَأَغْنَانِنَا رَصَفْنَاهَا أَسَى
وَسَقَفْنَاهَا غَيُوماً وَهَجِيرَا
وَهَوَانَا وَالْمُنَى بَعْنَاهُمَا
وَاشْتَرَيْنَا بِهِمَا حُزناً كَثِيرَا

أَيْنَ ذَاكَ النَّبْعُ؟ فِي أَيِّ ضَحَى
سُنْلا قَبِيهِ؟ وَفِي أَيِّ لَيْلَةٍ؟
لَمْ نَزَلْ نَحْفِرْ فِي أَعْمَارِنَا
ظُلُمَاتٍ لَيْسَ فِيهَا طَيْفٌ شُعْلَةٍ
وَزَحَفْنَا وَجَرَرْنَا مَعَنَا
أَلْفَ قَيْدٍ فِي الْأَكْفِ الْمُضْمَحَلَّةِ
وَوَجَدْنَا دَرَبَنَا مَقْبِرَةً
مَا لَنَا فِيهَا سِوَى الْمَوْتَى أَدْلَةٍ

حدّثونا عن رخاء ناعم
فوجدنا دربنا جوعاً وعُرباً
وسَمِعنا عن نقاء وشذى
فرأينا حولنا قبحاً وخزياً
ورتَعنا في شقاء قاتل
وكَفانا بُؤساً شبيحاً ورباً
وعرِينا وكسونا غيرنا
وكسبنا القيدَ والدمعَ السخياً

أينَ تلكَ الأرضُ؟ من حجبها؟
نحن شدّناها برناتِ القووسِ
وأجَعنا في الدجى أطفالنا
لنغذيها وجُدنا بالنفوسِ
وزرعنا وحصَدنا عُمرنا
وجنينا ظلمةَ الدهرِ العبوسِ
وسقينا أرضَها من دمنّا
ومنحناها لأربابِ الكؤوسِ

أَيْنَ تِلْكَ الْأَرْضُ؟ هَلْ حَانَ لَنَا
أَنْ نَرَاهَا أَمْ سَتَبْقَى مُغْلَقَةً؟
لَمْ تَزَلْ فِينَا حَنِيناً صَامِتاً
وَابْتِهَالاً فِي شَفَاهِ مُطَبِّقَةٍ
وَالْمَلَايِينُ حَنِينٌ جَّارِفٌ
يَتَلَطَّى وَرَوَى مُحْتَرِقَةٍ
افْتَحُوا الْبَابَ فَقَدْ صَاحَ بِنَا
صَوْتُ آلَافِ الضُّحَايَا الْمُرْهَقَةِ

صَوْتُهُمْ خَشْنَةُ الْبُؤْسِ فَمَا
فِيهِ دَفْءٌ أَوْ بَرِيقٌ أَوْ لُيُونَةٌ
وَحِشَاءُ الدَّمْعِ مِلْحاً قَاسِياً
وَشَكَايَاتٌ وَجُوعاً وَخُشُونَةً
صَوْتُهُمْ خَالِطَةُ الصَّبْرِ وَكَمْ
قَدْ صَبَرْنَا فِي شَحُوبٍ وَسَكِينَةٍ
لَعْنَةُ الْحَسِّ عَلَيْنَا إِنْ يَكُنْ
غَدُنَا كَالْأَمْسِ أَقْيَاداً مُهِينَةً!

١٩٥٣/٥/١١

لنفترق

لنفترق الآن ما دام في مقلتنا بريق
وما دام في قعر كأسى وكأسك بعض الرحيق
فعما قليل يطل الصباح ويخبو القمر
ونلمح في الضوء ما رسمته أكف الضجر
على جبهتنا

وفي شفطنا

ونذكر أن الشعور الرقيق
مضى ساخراً وطواه القدر

لنفترق الآن، ما زال في شفطنا نغم
تكبر أن يكشف السر فاختار صمت العدم
وما زال في قطرات الندى شفة تتغنى
وما زال وجهك مثل الظلام له ألف معنى
كسته الظلال

جمال المحال

وقد يعتريه جمود الصنم
إذا رفع الليل كفيه عنا

لنفترقِ الآنَ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلِ
رهيباً أجشَّ الرنينِ يذكّرني بالرحيلِ
وأشعر كُفّيكَ ترتعشان كأنك تُخفي
شعوركَ مثلي وتحبسُ صرخةَ حزنٍ وخوفٍ
لم الارتجاف؟

وفيمَ نخاف؟

ألسنا سنُدرِكُ عما قليلٍ
بأن الغرامَ غمامة صيفٍ

لنفترقِ الآنَ، كالغُرباءِ، وننسى الشُّعُورُ
وفي الغدِ يُشرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصور
وفيمَ التذكّر؟ هل كانَ غيرُ رؤىٍ عابره
أطافتُ هنا برفيقَيْنِ في ساعةٍ غابره؟
وغيرُ مساءٍ

طواه الفناءُ

وأبقى صداهُ وبعضَ سطورٍ
من الشعرِ في شفتي شاعره؟

لنفترق الآن، أشعر بالبرد والخوف، دعنا
نغادرُ هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبين نسحبُ عبءَ أدِّكارِنا الباهته
وحيدين نحملُ أصداءَ قصتنا المائه
لبعض القبورُ

وراء العصورُ

هنالك لا يعرفُ الدهرُ عنا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخرية الرماد

لو رَجَعْنَا غداً وأراد الزمانُ
أن يرانا كما كنّا
والتقينا فهل ينبضُ المِيتانُ
خلفَ ألواحِ صَدْرَيْنَا

لو رَجَعْنَا غداً ورآنا القمرُ
بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف نمنح ما قد غَبَرُ
ومضى فُرْصةً أخرى

لو رَجَعْنَا غداً ورأتنا النجومُ
نجمع الذكرَ الذابله
نستعيد الهوى ونظّلَ نحومُ
حولَ أحلامنا الراحله

لو رآنا الطريقُ نشقُّ السكونُ

بتعابيرنا الجامده

ويُخادعنا ما طوته المنونُ

من رغائبنا الخامده

ونزيل رماد شهور طوالُ

عن هوى لقه المستحيلُ

فوق أشلائه ذكريات تُقالُ

من دموعي وحزني الطويلُ

سترانا النجوم نسير معا

يخدع الليل مرآنا

خلف أهدابنا شغف مدعى

ساتر سرّ ما كانا

وسيسخر من شبحينا القمرُ

وهو يرقب كيف نسيرُ

كيف ننشر ما قد طواه القدرُ

واحتواه سكون المصيرُ

وهناك نرى جثث الأشواق
في خمودٍ طويلٍ عميقٍ
ويُخادعنا لونهما البراق
فتؤمل أن تستفيق

ونرى ركبَ أيامنا الماضيه
لم يزلَ لاهتَ الأنفاسُ
فتمدُّ له الأذرعَ الداويه
علّه يوقظ الإحساسُ

ويرانا الدجى راکعينِ على
تربة المرقد الجافيه
نلمسُ الجثثَ المرسلاتِ إلى
الأفقِ أعينها الخابيه

ويرانا الدجى فجأة في عيَاء
في أسيٍّ غامقٍ شاردٍ
واقفينِ نحسُّ اصطدام الرجاء
بشرى الواقع الباردِ

وَيَمُرُّ عَلَى جِبْهَتَيْنَا الْمَسَاءُ
بَارِداً مِثْلَ لَوْحٍ جَلِيدٍ
وَتَعُودُ كَوَاكِبُهُ الْبَيْضَاءُ
أَعْيُنًا طَفَحَتْ بِالْوَعِيدِ

وَيَشِيعُنَا الْقَمَرُ الْهَادِيُّ
بِيرُودٍ مُشِيرٍ غَرِيبٍ
وَيُلَاحِظُنَا وَجْهُهُ الْهَازِيُّ
حَيْثُ سَرْنَا بِصَمْتٍ مُرِيبٍ

وَنُحَسُّ أَخيراً بَأْنَ الْقَضَاءِ
قَدْ طَوَى حَبْنَا الْآفَلا
وَبَقَيْنَا حَيَارَى هُنَا غُرَبَاءُ
نَذَرُ الْعُمَرَ الْقَاحِلا

وهنا لك سوف يُغْنِي الرَّمَادُ
وسيسخر حتى القمرُ
من أسانا ومن أملٍ لا يُعَادُ
كان يوماً لنا واندثرُ

١٩٤٩/٩/١١

صائدة الماضي

انتظرني، غدا سيقذف بي المو
ثم تمشى بي السنين إلى با
وتراني خلف الزجاج أجراً ال
أتحدي الصخور في الشاطئ العا
ج إلى شطك الغريب البعيد
بك بعد البحث الطويل المديد
أمس في لهفة المشوق العنيد
رى وألوى شموخها بنشيدى

انتظرني، وإن تمزق في صَد
أو سمعت الرياح تصرخ عاد ال
أو رأيت النجوم تُنكر في أه
أو أبت مقلتك أن ترسماً حل
رك ما كان ذات يوم رجاء
حب ذكرى ورغبة عمياء
سدا بك الشوق والصدى والنداء
مماً جديداً وثارتا كبرياء

وإذا وسوست بصدرك أشلا
ومضت توقظ الشكوك وتغري
وتخيلت أنني بعث ذكرى
فانتظرني، لا بد أن نلتقى يو
ء الأمانى وزمجرت في جنون
بلياليك عاصفات الظنون
ك وأمعنت في الجمود المهين
مماً وألوى بشكك المجنون

سأصيد الأحلام من أمسنا لها
وَأَلُمُّ الْأَفْرَاحَ مِنْ كُلِّ رَكْنٍ
أَلْقُطُ الذِّكْرِيَّاتِ دُونَ كِلَالٍ
وَأَنَا شَيْدُنَا أَلُمُّ صَدَاهَا

ثم أمضى، يُنِيرُ لِي وَجْهَكَ التَّائِي
ذَلِكَ الْأَمْسُ، لَوْ عَشَرْتُ عَلَيْهِ
لَأَبْتُ أَنْتِفَاضَةَ الْحَيِّ فِيهِ
ثم نمشي معاً إليك، إِلَى شَطْ

وَتَرَانَا فُجَاءَةً نَصْعَدُ السُّلْدَ
أَنَا وَالْأَمْسُ كُلَّهُ، نَطْرُقُ الْبَا
وَنُحَسُّ النُّجُومَ أَنَا رَجَعْنَا
ويقول الزمان: عاداً إِلَى الْحُبِّ

رَبِّ حُلُمَاءَ، وَرَاءَ الزَّمَانِ
ضَائِعٍ فِي مَقَابِرِ الْأَحْزَانِ
مِنْ غُبَارِ السَّكُونِ وَالنَّسْيَانِ
وَأَعْبِيدُ الْحَيَاةَ لِلْأَوْزَانِ

ريخَ بَحْثاً عَنْ حَبْنَا الْمَغْدُورِ
فِي زَوَايَا التَّارِيخِ بَيْنَ الْعُصُورِ
وَارْتِعَاشَ الصَّدَى وَنَبْضَ الشُّعُورِ
طِكَ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ بَيْنَ الصَّخُورِ

لَمْ فِي لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ كَلَانَا
بَ غَرِيبِينَ لَأَمْسًا الْأَوْطَانَا
نَعْصُرُ الدَّهْرَ لِحِظَةً مِنْ هَوَانَا
وَعَادَ الْفِرَاقُ وَهَمًّا كَانَا

١٩٤٩/١٠/٢٤

إلى أختي سها

هيا معي فالليل مختلج الدجى حبا وشعرا
وعرائس الأحلام تفرش دربنا لونا وعطرا

وهناك في أعماقنا نبراتُ آلهة تغنى
ونحسّها تلقى إلينا ألف أغنية ولحن

هيا معي تبسم الدنيا إذا أنت ابتسمت
ماذا يثير أساك ما دما نظل، أنا وأنت؟

الليل يعرفنا، خطانا طالما زرعت دجاءه
والنجم يذكرنا فكم سهرت علينا مقلناه

أختاه هاتى كفك اليمنى فقد حان المسير
المجد يصرخ يستحث خطاك والحلم الكبير

لا، لا تخافى أن تُخادعك الرؤى إن أنت جئت
فالليل يعرفنا ونحن معاً نظل أنا وأنت

سرى معى فتحرقُ المجهول يصنخب فى دمانا
والأمر، تلكَ العُرقة الصماء غابت عن رؤانا

ماذا يشدّ هنا ليالينا الحزينات الشقيبه؟
وهناك فى الأفق البعيد ضبابُ شيطانٍ خفيه

ستُريق أنجمها على أقدامنا إن أنت جئتِ
وصحبتنى لنجوب آفاق الوجود، أنا وأنتِ

وصحبتنى ونسيتِ دربَ الذكريات الكاسفه
حيث الصخور السود والحيات تلهث زاحفه

حيث انجرحنا ثم للمنا الجراح على عجلٍ
ونهمضتُ تبغنى خطاك الحائراتُ بلا أملٍ

أختاه لا تبكى على الماضى سدى ما قد بكيتِ
لن يرجعَ الماضى وإن نُحنا عليه، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجوب سحيقَ البلاد؟

يعيث السراب بنا

تُناولنا وهذه لوهاد

ويخذعنا المنحني

وفيمَ أتينا؟ يسائلنا البحر: ماذا تُريد؟

وتلحقنا عربات الرياح وتبقى تُعيد

تُعيد السؤال

ولا ردّ إلا خطوطُ الملل

على صمت أوجهنا في الليالي الطوال

نقرّ وتذكرُنا من جديد

ويسألنا الأفق أين نساfer؟ أين نسير؟

ومن أي شيء هربنا؟ وفيم؟ لأي مصير؟

وفي صمتنا

قلوبٌ تدقّ، ووقع المنى

على يأسنا فرحٌ لا يُطاق فهياً بنا

لنبحث عن جرح حزنٍ صغير

وفى سيرنا نسمع الليل يسخر من سرنا
يلاحقنا بالظلام ويغري الرياح بنا
يقول الطريق

لماذا نجوب الوجود السحيق
يلاحقنا أمسنا وروانا ووجه صديق
وحتام نهرب من ظلنا؟

وفى سيرنا فى الدياجير نبصر هزء القمر
ويغضبنا فى سناه البرود، وبعض الشجر
يسد السيل

علينا، ويسخر منا الأصيل
وينبتنا أننا الباحثون عن المستحيل
وأننا، برغم منانا، بشر

ونسلم من جنات المسالك ذات مساء
صدي هامساً فى الدجى أننا... أننا جبناء
نخاف الأصيل

ونرحل لا رغبة فى الرحيل
ولكن لنهرب من ذاتنا، من صراع طويل
ومن أننا لم نزل غرباء

وها نحن، حيث بدأنا، نجوم الظلام القطيع
شتاء يموت، وأسئلة لم يجيبها ربيع
حيارى العيون
يسألنا غدنا من نكون؟
ويتركنا أمسنا المنطوى فى ضباب القرون
فيا ليل، يا بحر، أين نضيع؟

١٩٥١ / ١ / ٢٩

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر؟

«إلى الصديقة التي سألتني ذات مساء: ماذا
يقول النهر؟».

ماذا يقول النهر؟

أقصصة

يَنسجُها من رَقص ضوء القمر
يَنسجُها من غَزَلِ ناعمٍ
يُداعِبُ النخلُ به المنحدرُ
من نور مصباحٍ يُغذّي الدجى
حرارةً ويستثير الشجرُ
من وقع مجداف خفيف الخطى
يشقّ في الظلمة صدرَ النهرِ

ماذا يقول النهر؟

أغنية

قديمةً، بنت ليال طوّالٍ
غنى أسماها مرةً عاشقٌ
والليل سكرانُ بكأسِ الجمالِ
مُثَقَلَةٌ بالدفء، ما زال في

أَلْحَانَهَا بَعْضُ حَنِينِ الْجِمَالِ
وَحَشَعَةِ الْهَوْدَجِ تَحْتَ الدَّجَى
وَوَقَعَ أَقْدَامُ الْحُدَاةِ الثَّقَالِ

ماذا يقول النهر؟

تسبيحة

مَنْ بَابِلَ النُّشْوَى بِعَطْرِ الْبَخُورِ
وَمَوْكِبُ الْكُتَّانِ فِي مَعْبِدِ
دِجْلَةَ يَطْوِي سِرَّهُ وَالصَّخُورِ
وَذَكْرِيَّاتُ اللَّيْلِ وَالشَّمْسِ عَنْ
(مَدِينَةِ الشَّمْسِ) وَرَاءَ الْعُصُورِ
وَعَنْ (حَمُورَابِي) وَعَنْ حُبِّهِ
وَمَا طَوَى سَفَرُ الزَّمَانِ الْغَدُورِ

ماذا يقول النهر؟

لا تسألي

دَعَى غِلَافَ السِّرِّ كَثًّا عَمِيقَ
لَوْ كَشَفَ الزَّيْبِقُ الْغِازَةَ
لَمْ يَبْقَ مَعْنَى لَشَذَاهُ الرَّقِيقَ

١٩٥٠ / ٧ / ٢٧

ثلاث مرات لأُمي

قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد
ترفاً ذهنياً محضاً، غير أنه بالنسبة للمحزون
وسيلة حياة، وقد كانت القصائد الثلاث
التالية محاولة للتعزى لجأت إليها على أثر
وفاة أُمي في ظروف محزنة عانيت منها
معاناة خاصة، ولم أجد لأُمي منفذاً آخر
غير أن أحبه وأغنى له.

«ن. م.»

١- أغنية للحزن

افسحوا الدربَ له، للقادم الصافي الشعور،
للغلام المُرَهَفِ السابح في بحر أريج،
ذی الجبین الأبيض السارق أسرارِ الثلوجِ
إنه جاء إلينا عابراً خِصْبَ المُرورِ
إنه أهدأ من ماء الغديرِ
فاحذروا أن تجرحوه بالضجيجِ

إنه ذاك الغلامُ الدائم الحُزنِ الخجولُ
ساكنُ الأمسية الغرقى بأحزان خفيه
والزوايا الغيبية السكون الشفقية
أبدًا يجرحه النوحُ ويضنيه العويلُ
فليكن من صمتنا ظلٌ ظليلُ
يتلقاه وأحضان خفيه

وهو يحيا في الدموع الخرس في بعض العيون
وله كوخٌ خفيٌ شيد في عمق سحيق
ضائعٌ يعرفه الباكون في صمت عميق

وسُدَى يبحثُ عنه الألمُ الخشنُ الرنينِ
إنَّه يفتات أسرار السكونِ
وأسىً مختبئاً خلف العروقِ

نحن هيأنا له حباً وتقديساً ونجوى
وتهيأنا للقياء عيوناً وشفاهها
وسنلقاه مُصلِّينَ كما نلقى إليها
وسنُهديه انفجار الأدمع العذبة سلوى
وسنحبوه أسىً أقوى وأقوى
وسنُعطيهِ عُيوناً وجباها

إنَّه أجمل من أفراحنا، من كلِّ حبٍّ
إنَّه زنبقةٌ ألقى بها الموت علينا
لم تزل دافئةً ترعش في شوق يدينا
وسنُعطيها مكاناً عطراً في كلِّ قلب
وشذى حُزنٍ عميق القعرِ
خـــــــــــــــــــــــب
إنَّه منا... وقد عاد إلينا..

١٩٥٣/٨/١٥

٢- مقدم الحزن

افسحوا الدرب، إنه جاء خجلاً
الغلامُ الحساس ذو الأعين الغر
إنه مُطعم العيون العميقا
ولقد جاءنا تَبَلُّلُ عَيْنَيْهِ
نَ رقيقَ الخُطَى كئيب الجبينِ
قى بتاريخ ألف سرٍّ حزينِ
تِ وينبوعُ كلِّ دمعٍ سخينِ
بهِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

إنه حُزننا الصبيّ لَقِينَا
لم يَزَلْ هادئاً خجولاً كما
جاءنا دافئاً أرقّ من الدمِ
ففرشنا له طريقاً من اللّه
ه على غير موعدٍ وانتظارِ
نَ وما زال غامقَ الأسرارِ
عِ وأحلى من رغشة الأوتارِ
ففةٍ والحبِّ والدموعِ الغزارِ

وأخذناه في خشوعٍ إلى أع
ومنحناه كلَّ ما جمع الحب
ورصفنا له هواناً وما أب
وغسلنا جبينةً بدموعِ
مماقِ أفراحنا وقَعَر رؤانا
من اللونِ والشذى لصبانا
سقى لنا الموتُ والأسى من مُنانا
صامنت عَطشى تذيبُ حنانا

إنَّه خِيطُنَا الْأَخِيرُ إِلَى السَّرِّ
لَمْ يَزَلْ هَامِسًا لَنَا: «إِنَّهَا مَا
إِنَّ فِيهِ مِنْ وَجْهٍهَا وَأَمَانٍ
وَهُوَ إِحْسَاسُهَا يَعُودُ إِلَيْنَا

وَعِ فِيهِ مِنْ أَمْسِنَا أَلْفُ شَيْءٍ
تَتَّ عَلَى مَسْمَعِ الشَّدَى وَالضَّوْءِ
هِيَ وَأَشْوَاقُهَا بَقِيَّةُ دَفْءٍ
مُرْعِشًا مِنْ كِيَانِنَا كُلِّ جِزْءٍ

إِنَّهُ كُلُّ مَا تَبَقَّى لَنَا مِنْ
إِنَّ فِيهِ نَهَايَةَ الطَّرْفِ الثَّانِي
فَوَهَبْنَا لَهُ صَلَاةً مِنَ الْأَدَبِ
وَمَنْحَنَاهُ مَسْكَنًا فِي مَآقِبِ

وَجْهِ ضَحِكَاتِنَا وَرَجْعِ الْأَغَانِي
نِي لَمَّا هَدَمَ الرَّدَى مِنْ أَمْسَانِ
مَعَ خَجَلِي مَهْمُوسَةَ الْأَلْحَانِ
نَا وَحُبًّا أَقْوَى مِنَ النِّسْيَانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣- الزهرة السوداء

كنزنا الغالي تركناه هنا
لحظاتٍ ثم أسسرعنا إليه
والتمسنا وراء المنحنى
وعلى التلّ فلم نعثر عليه

وسألنا عنه في الغابة ربوه
فأجابت أنها قد نسيته
وهمسنا باسمه في سمع سرّوه
فتناست في الدجى ما سمعته

غير أنّ الفجر حيّ في ابتسام
وأرانا في مكان الكنز زهره
نبست سوداء في لون الظلام
وسقاها دمعاً لنا ونضره

كلما مرتّ بهار ربح الصّباح
بعثت في الجوّ موسيقى خفيّة
وأنيّاً خافستاً ملء الرّياح
كمنت فيه دموع البشريّة

إنّها زهرتنا الوسنى الحزينه
أمسنا في لونها ما زال لدنا
فمنحناها مآقينا السّخيه
وحملناها مع الذكرى وعُدنا

١٩٥٣/٨/٢١

يحكى أن حفارين

الزمان يسيرُ
بدقائقه المبطئات الثقالُ
ساحباً خلفه عَرَبَاتِ الليالِ
مُثَقَلَاتٍ بأسرارها الداكناتُ
الزمانُ يسيرُ، يجرُّ الحياةَ
وهناك، فوقَ بساطِ الرِّمالِ
حيث خلّفتِ العَرَبَاتُ
أثراً من خُطَى العجالاتِ
لم نَزَلْ نحن، فى كلِّ كفٍّ قَدُومٍ،
لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ فى وحشةٍ ووجومٍ
نحن نبكى هنا
والزمانُ يسيرُ
نحفرُ الأرضَ، نبحثُ عما أضعنا هنا
والزمانُ يسيرُ

وحدنا، وحدنا، فى سكوت
صامتين نراقب كيف تموت
فى يدينا وفى مقلتنا العروق
وهناك ينتظر الحى خلف التراب
فى أسى وعذاب
أن يطل شروق
أن يرانا أخيراً بأعيننا الكاويه
نعبّر الهاويه
لنعيد إليه الشباب
ذلك الحى فى الظلمات
آه لو لم تمت فى يدينا العروق
لنعيد إليه الحياة

«احفر الآن وحدك.. ما عدت أقوى أنا
«احفر الأرض وحدك.. إني أحسّ الفناء
«ملء كفى وملء ذراعى، أحسّ الرجاء
«يتلاشى بعيداً وراء مدى المنحنى
«حيث مرّ الزمان بنا
«منذ بضع مئات السنين

«وغدا سيمر بنا من جديد»
«فيراك لوحدك تحفر في حَسرة وحنين»
«سيمر وتحفر أنت ركام الجليد»
«في الثرى، في عُروقي أنا

ثم يأتي زمان
وتدب الحرارة في الجسد الجامد
جسد الرجل الحي في قبره البارد
وهناك تحت الدجى مِتان
جامدان كلوح جليد،
ويمر الزمان العنيد
بهما من جديد
فيرى فيهما صاحبين
طالما حفرا في التراب
حفرا في الضباب
ربما حفرا في شُحوب الخريف
أو عبوس الشتاء المخيف
طالما شوهدا يحفران
يحفران، يَظَلَّان في لهفة يحفران
وهما الآن، فوق الثرى، مِتان

والزمان يسيرُ
ويجرُّ رفَاتَهُمَا فِي الرَّمَالِ
ويرى الرجل المَيِّتَ الْحَيَّ يطوى الليالِ
شَارِداً مُفْرَداً
لم يَعدْ يَحْتْوِيهِ مَكَانُ
أَوْ زَمَانُ
إِنَّهُ قَدْ أَضَاعَ الْغَدَا
وَتَبَقَّى لَهُ الْأَمْسُ وَالْمَيَّتَانِ
... وَاسْتَمَرَ يَسِيرُ الزَّمَانُ ...

١٩٤٩/١/١٤

الزائر الذي لم يجرئ

.. ومرّ المساء، وكادَ يغيبُ جبينُ القمرِ
وكدنا نُشيعَ ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونشهد كيفَ تسيرُ السعادةُ للهاويه
ولم تأتِ أنتِ.. وضِعتَ معَ الأمنياتِ الأخرَ
وأبقيتَ كرسيك الخاليا
يُشاغلُ مجلسنا الذاويا
ويبقى يَضجُ ويسألُ عن زائرٍ لم يجرئُ

وما كنتُ أعلمُ أنكِ إن غبتَ خلفَ السنينِ
تخلفِ ظلكَ في كلِّ لفظٍ وفي كلِّ معنى
وفي كلِّ زاويةٍ من رؤاى وفي كلِّ مَحْنى
وما كنتُ أعلمُ أنكِ أقوى من الحاضرينِ
وأنَّ مئاتٍ من الزائرينِ
يضيعون في لحظةٍ من حنينِ
يَمُدُّ وَيَجْزُرُ شوقاً إلى زائرٍ لم يجرئُ

ولو كنتَ جئتَ... وكنا جلسنا مع الآخرين
ودارَ الحديثَ دوائرَ وانشعبَ الأصدقاءُ
أما كنتَ تُصبحُ كالحاضرينَ وكان المساءُ
يمرُّ ونحنُ نقلبُ أعيننا حائرينَ
ونسألُ حتى فراغَ الكراسي
عن الغائبينَ وراءَ الأماسي
ونصرخُ أنَ لنا بينهم زائراً لم يَجِ؟

ولو جئتَ يوماً - وما زلتَ أوثرُ ألا تجيءَ -
لَجَفَّ عَبيرُ الفَراغِ الملوّنِ في ذكرياتي
وقُصَّ جناحُ التَخيُّلِ واكتأبتُ أغنياتي
وأمسكتُ في راحتي حُطامَ رجائي البريءِ
وأدركتُ أنّي أحبك حُلماً
وما دمتَ قد جئتَ لحماً وعظماً
سأحلمُ بالزائرِ المستحيلِ الذي لم يَجِ

١٩٥٢/٨/١٨

الراقصة المذبوحة

ارْقُصِي مذبوحة القلبِ وغني
واضحكى فألْجُرْجِ رَقْصٌ وابْتَسَامُ
اسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغني واطمئني

أدموعٌ؟ أَسْكُتِي الدمعَ السخينا
واعصري من صرخة الجُرْحِ ابتساما
أنفجارٌ؟ هدا الجُرْحِ وناما
فاتركيه واعبدي القيدَ المهينا

ثورةٌ؟ لا تُبْغِضِي السوطَ الملحاً
أى معنى لاختلاجات الضحايا؟
بعض أحزانٍ ستُنسى، ورزايا
وقتلٌ أو قتيلان، وجرحى

أَقْبَسَى مِنْ جُرْحِكَ الْمُحْرِقِ لَحْنًا
رَنَمِيهِ بِالشَّفَاهِ الظَّامِيَاتِ
لَمْ تَزَلْ فِيهَا بَقَايَا مِنْ حَيَاةٍ
لِنَشِيدٍ لَمْ يَفِضْ بؤْسًا وَحُزْنًا

صَرْخَةٌ؟ أَيْ جَحُودٍ وَجُنُونٍ!
اتْرَكِي قَتْلَاكَ صَرْعَى دُونَ دَفْنٍ
وَاحِدٌ مَاتَ... فَلَا صَرْخَةَ حُزْنٍ!
أَيْ مَعْنَى لَانْتِفَاضَاتِ السَّجِينِ؟

انْتِفَاضَاتٌ؟ وَفِي الشَّعْبِ بَقَايَا
مِنْ عُرُوقٍ لَمْ تَسْلُ نَبْعَ دِمَاءٍ؟
انْفِجَارَاتٌ؟ وَبَعْضُ الْأَبْرِيَاءِ
بَعْضُهُمْ لَمْ يَسْقُطُوا بَعْدُ ضَحَايَا؟

لَمْ يَكُنْ جُرْحُكَ بَدْعًا فِي الْجُرُوحِ
فَارْقُصِي فِي سَكْرَةِ الْحُزْنِ الْمَمِيتِ
الْأَرْقَاءِ الْحَيَارَى لِلْسَكُوتِ
اِحْتِجَاجَاتٌ؟ لِمَاذَا؟ اسْتَرِيحِي!

اضحكى للمُذنية الحمراء حُبًا
واسقطى فوق الثرى دون اختلاجٍ
منّةٌ أن تُذبحى ذبحَ النعاجِ
منّةٌ أن تُطعنى روحاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحايا أن تشورى
وجنونٌ غضبة الأسرى العبيدِ
ارقصى رقصة مُمتنٍّ سعيدِ
وابسمى فى غبطة العبد الأجيرِ

اسكتى الجُرحَ حرامٌ أن يثنا
وابسمى للقاتل الجانى افتنانا
امنحيه قلبك الحرّ المهانا
ودعيه يتشى حزاً وطعنا

وارقصى مذبوحة القلب وغنى
واضحكى فالجُرحَ رقصٌ وابتسامُ
اسألى الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصى أنتِ وغنى واطمئنى

١٩٤٨

الشخص الثاني

لو جئت غداً وعبرتَ حُدودَ الأَمسِ إلى غدى الموعودِ
وشداً فرحاً بمجيئِكَ حتى المَعْبَرُ والبَابُ المسدودِ
ولقيتِكَ أبحثُ فيكَ عن المتبَقَّى من أَمسى المفقودِ
لو جئتَ ولم أجدِ المائلَ فى الحانى
وأطلَّ على روى منك الشخصَ الثانى

الشخص الثانى، من أعماق شهور التيه المظموره
حاكته دقائق تلك الأيام الجانية المغروره
وترسبَ فى عينيه ثأقلها ورؤاها المذعوره
وسأبحثُ فيكَ عن الماضى فى اطمئنانٍ
فيفاجئُ لهفتى الحرى الشخصُ الثانى

وهناك على الوجه الحساس الحى الصمتُ أرى ظليْنِ
ومكانَ الواحدِ فى عينيكِ المرهفتين أحس اثْنينِ
ويقابلنى الشخصان معاً وسدى أرجو فصل الضدينِ
وسأسألُ عما خلقه لى عامانِ
من وجهك، والردَّ جبينُ الشخصِ الثانى

وسيسكن هذا الشخصُ الثاني الأحمقُ حتى في البسماتِ
سيمدُّ برودته في رقَّةِ صوتك، في لين النبراتِ
وسيرمُقني في خبث، مختبئاً حتى خلفَ الكلماتِ
ولمن أشكو هذا المخلوقَ الشيطاني
والأول فيك محته يدُ الشخصِ الثاني؟

١٩٥١/١٠/٩

عندما قتلت حبي

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مقتىِ اناجيه
وأسقيه دماءَ غدىِ واغرق حاضري فيه
وأطعمه لظى اللعناتِ والثورةِ والنقمةِ
وأسمعهُ صراخَ الحقدِ فى أغنيةِ جهنمِ
ومن إغفاءة الموتى أغذيه
وأثر حوله الأشباح والظلمه

وأبغضتُ اسمك الملعونَ والأصدقاءَ والظلا
كرهت اللونَ والنغمةَ والإيقاعَ والشكلا
وتلك الذكرياتُ الخشنة الممقوتة الفظه
هوتُ وتأكلتُ وثوتُ مع الآبادِ فى لحظه
وعدتُ قصيدةً فجريةً جذلى
وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

وتمّ النصر لى وهويتَ تمثالاً إلى الهوة
وجئتُ لأدفنَ الأشلاءَ تحتَ كآبة السروه
وراح الرّفش فى كفى يشقُ الأرض فى نهم
فلامسَ فى الثرى جسداً رهيباً بارد القدم
ورحت أجره للضوءِ مزهوه
فمن كان؟
بقايا جثة الندم

وكان الليل مرآة فأبصرت بها كُرهى
وأمسى الميتَ لكنى لم أعثر على كُنْهى
وكنت قتلُك الساعة فى ليلى وفى كأسى
وكنت أشيع المقتولَ فى بُطءٍ إلى الرمسِ
فأدركت ولون اليأس فى وجهى
بأنى قطّ لم أقتل سوى نفسى

١٩٥٢/٥/١٢

لحن للنسيان

لَمْ يَا حَيَاةُ

تذوى عذوبتكِ الطرية في الشفاه؟
لَمْ، وارتطام الكأسِ بالقم لم يزلْ
في السمع همسٌ من صدها؟

وَلَمْ الْمَلَلُ

يبقى يعيش في الكؤوس مع الأملِ
ويعيش حتى في مرور يدي حُلْمٍ
فوق المباسم والمُقل؟

وَلَمْ الْأَلَمُ

يبقى رحيقاً المذاق، أعز حتى من نغم؟
وَلَمْ الكواكب حين تغرب في الأفقِ
تفترُّ جذلي للعدم؟

ولمَ الفرقَ
يحياً على بعضِ الجباهِ مع الأرقِ
وتنام آلاف العيونِ إلى الصُّباحِ
دون انفعالٍ أو قلقٍ؟

ولمَ الرياحُ
لمَ تدر حتى الآنَ أن لنا جراح؟
لمَ تدر كم حملتهُ من ملح البحارِ
لجراحنا هي والنواح؟

ولمَ النهارُ
ينسى بأن مداماً حرى غزارُ
تأبى التألقَ في الجفونِ المشخنةِ
وتودّ لو هبط الستار؟

والأزمه
كم ذكريات كم فواجعٍ مُحزنة
ضمتْ صحائفها وكم رقدَ الترابُ
فوق الخدودِ اللينه

ولم الغيابُ
يفتنُّ في رشّ الجمالِ على هضابِ
بعُدتْ، على كل الوجوه الغامضاتُ
خلف المرامي والشعابِ؟

والأغنياتُ
أواه لو كانت تعيش مع الحياة
وتظل نابضةً وإن نسي الغرامُ
ولحونه المنتهدياتُ

١٩٥١/١/١٧

الولايات المتحدة

كلمات

شكوتُ إلى الريح وحدةً قلبي وطولَ انفرادي
فجاءت معطرةً بأريجٍ ليالي الحصادِ
وأَلقتُ عبيرَ البنفسجِ والوردِ فوق سُهادي
ومدّتْ شَذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وروتْ حنيني بنجوى غديرٍ يُغنى لوادِ
وقالتُ: لأجلكِ كان العبيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئتُ الوجودَ الجميلُ

فقيم العويل؟

وصدَّقْتُها ثم جاءَ المساءُ الطويلُ
وسادَ السكونُ عُبابَ الظلامِ الثقيلِ
فساءلت ليلي: أحمقٌ حديثُ الرياحِ؟
فردَ الدُجى ساخرَ القسماتِ
«أصدَّقْتُها؟ إنها كلماتُ»

وأصغيتُ في فجرِ عمرى إلى أغنيات البشرِ
وشاركتهم رقصهم في شحوب ليالى القمرِ
وغنيتُ مثلهم بالسعادة، بالانتظارِ
بشيء سيأتى، يوتوبيا فى سنينِ آخرِ
آمنتُ أن حـياةً بلونِ الندى والزهرِ
ستمسح أيامنا المثقلات بعبء الضجرِ
وقالوا لنا فى أغاريدهم إتنا خالدون

خلود القرون

وصدقتهم ثم جاء المساء الصديقُ
يجرُّ سلاسله فى جمودٍ وضيقِ
فساءلته: أهو حقُّ هتافِ البشرِ؟
فحدق بى صائحاً: «يا فتاة!
أصدقتهم؟ إنها كلمات،

وكم مرة جدل العاشقون الأمانى الوضاء
وكم عصروا فى كؤوس التخيل شهد الوفاء
وراحوا على حُبِّهم يُشهدون نجوم السماء
ووقع الندى فوق خد الصباح، وصمت المساء
وكم أقسموا بالهوى أنهم أبداً أوفياء
وأن الوجود يموت وحُبُّهم للبقاء
وقالوا: هوئى واحدٌ خالدٌ يتحدى العدم

ويرضى الألم

وصدقتهم ثم جاء المساء اللطيف
هنالك ذات دجى من أماسى الخريف
وساءلته أهى حق رؤى العاشقين؟
فغمغم مستهزئاً النبرات
«أصدقيتهم؟ إنها كلمات»

١٩٥٢/٥/٢٨

السُّكْمُ المنهار

استرحنا، كُشفَ اللُّغْزُ وماتَ المُبْهَمُ
وتلاشت حرقَةُ الأحلامِ في لونِ العيونِ
استرحنا، هداً الشوقُ وواراهُ السكونُ
استرحنا نحنُ، وارتاحَ الزمانُ النّهمُ
وغداً ينهزمُ الماضي بعيداً
وترى أعيننا شيئاً جديداً

الشفاه الزرق في أوجهنا الآن ستصفو
من جديد، فلقد ذابَ الهوى عندَ الشروقِ
والعيون المثقلات الصمتِ بالسُّهْدِ العميقِ
مستنام الآن لا يوقظُها حبٌّ وعُنفُ
وغداً يعرفُ قلبانا بأننا
قد دقنا الحب حياً وانتهينا

والعُروقُ الملهَبات الدم قد حانَ كَرَاهَا
حسبُها ما جلبل الإعصار في أعماقها،
وزهورُ الحُلُم لا تسكب على أوراقها

أَيَّ لَوْنٍ، إِنَّهَا مَاتَتْ وَلَنْ يَحْيَا شَذَاها
هَذَا الْقَلْبَانِ، لَا تَخْشَ ارْتِعَاشًا
مَاتَ عِرْقُ الْحُبِّ فِينَا وَتَلَاشَى

وَأَفَقْنَا وَانْتَهَى الشَّيْءُ الَّذِي خَلَنَاهُ حَبًّا
وَتَبَقَّتْ حَوْلَنَا الذِّكْرَى الَّتِي تَسْخَرُ مِنَّا،
مِنْ خَيَالَاتِ صَفِيرَيْنِ بَدَا نَجْمٌ فَظَنَّا
أَنَّ فِي وَسْعِهِمَا أَنْ يُمَسْكَاهُ فَاشْرَابَا
لِحِظَةً، ثُمَّ تَهَيَّأَا فِي السُّلَمِ،
فِي بُرُودٍ، وَتَلَاشَى الْحُلُمُ

سِرَّ يَمِينًا أَنْتِ وَاتْرَكْنِي أَسْرَ وَحْدِي شِمَالًا
فَمِنْ الْمُضْحَكِ أَنْ نَبْقَى هُنَا كَالْغُرَبَاءِ،
تَصْرُخُ الْوَحْدَةُ فِي أَعْيُنِنَا دُونَ انْتِهَاءٍ
وَيَرِشُ الصَّمْتُ لُقْيَانَنَا بِرُودًا وَمَلَالًا
حَسْبُنَا أَنَا أَضْعَعْنَا مَا أَضْعَعْنَا
مِنْ زَمَانٍ، فَلْنَعُدْ مِنْ حَيْثُ جِئْنَا

١٩٤٨/٨/٨

غسلاً للعار

«أمّاه!» وحَشْرَجَةٌ ودموعٌ وسَوَادٌ،
وانبجسَ الدمُ واختلجَ الجسمُ المطعونُ
والشَّعْرُ المتموجُ عششَ فيه الطينُ
«أمّاه!» ولم يسمِّعْها إلا الجِلَادُ
وغداً سيُجىءُ الفجرُ وتصحو الأورادُ
والعشرون تُنادى والأملُ المفتونُ
فَتُجيبُ المرجَّةُ والأزهارُ
رحلتُ عنا... غسلاً للعارُ

ويعود الجِلَادُ الوحشِيُّ ويلقى الناسُ
«العارُ؟» - ويمسحُ مُدَيْتَه - «مزقنا العارُ»
«ورَجَعنا فضلاءً، بيضُ السُّمعةِ أحرارُ»
«ياربَّ الحانة، أين الخمرُ؟ وأين الكاسُ؟»
«نادِ الغانيةَ الكسلىَ العاطرةَ الأنفاسُ»
«أفدى عينيها بالقُرآنِ وبالأقْدارِ»
املأ كاساتك يا جزَّارُ
وعلى المقتولةِ غسْلُ العارِ

وسياتى الفجر وتسأل عنها الفتيات،
«أين تراها؟» فيردّ الوحش «قتلناها»
«وصمة عار فى جبهتنا وغسلناها»
وستحكي قصتها السوداء الجارات،
وسترويهن فى الحارة حتى النخلات،
حتى الأبواب الخشبية لن تنساها
وستهمسها حتى الأحجار
غسلاً للعار..

غسلاً للعار..

يا جارات الحارة، يا فتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينا
لتظل ثيابهم بيض اللون نقيّه
لا بسمة، لا فرحة، لا لفتة فالمدية
ترقبنا فى قبضة والدنا وأخينا
وغداً من يدري أى قفار
ستوارينا غسلاً للعار؟

١٩٤٩/١١/١٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السَّوادِ
ولم يبقَ إلَّا ضبابٌ خفيفٌ يُلَفُّ الوهادِ
ويحلُمُ مكتئباً في عيونِ طواها السُّهادِ
وصاغتُ مع الليلِ أغنيةَ الرحلةِ القادمةِ
إلى أفقٍ كوكبي السُّتورِ
يَمُدُّ جذورَ

وراء مسالكنا القائمة

سنرحل فالأنجمُ الوامقاتُ تُشيرُ لنا
أصابعها اللدنة المخملية في دربنا
تطرزُ كلَّ غدٍ قادمٍ بخيوطِ المنى
تقودُ خطانا خلالَ الشعابِ الطوالِ الممضه
سنرحلُ بعدَ زمانٍ قصيرٍ
وعصرٍ صغيرٍ

فلم يبقَ من ليلنا غيرُ ومضه

ومن سنوات الإِسارِ الممزَّقِ، من ألفِ ظُلْمه
تُلَفَّ مدَى أسوداً لا تَمَسَّ دِياجِيه نَجْمه
سَتُبْدِلُنَا حَافَةَ الكَأْسِ قِطْرَةَ حُبٍّ وبَسْمه
وتَحْمِلُنَا عَرَبَاتِ الكَوَاكِبِ عِبْرَ الحَزُونِ
وراءَ بَحَارِ الندى والظلالِ

وحيثُ الجمالِ

يُمَسَّ وَيُشْرِبُهُ المتعبونُ

وداعاً صَحَارَى العويلِ فقد حانَ فَجْرُ السنينِ
وآنَ لنا أنْ نَجُوبَ البَحَارَ مع الراحِلينِ
عَطِشْنَا طويلاً وكانت كؤوسك ملأى أنينِ
ينوحُ الفراغُ عليها وموكِبُنَا البَاحِثُ
تَجَرَّعَ حتَّى كؤوسَ الدُموعِ
ونارَ الضلوعِ

وُجِنَ به شوقُهُ اللاهثُ

وفي الغد، من بعدنا، إن أطلَّ جبينُ القمرِ
ولامسَ ضوءُ النجومِ الشاويَ حريرَ النهارِ
ورنَّ مع الليلِ صوتُ بعيدِ الصدى واندثرَ
كما رنَّ، يسألُ عنا وأين رمتنا البحورُ
فقولِي له إننا لن نعودُ
لأرضِ القيودِ

فقد أشرق الفجر منذ عصور

١٩٥٠ / ٨ / ٥

الخبية

عُدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ الطَّرِيقُ
طَرِيقَنَا الْأَوَّلَا
وَالْجُهْدُ لَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْ بَرِيقٍ
خَلَفَهُ الْأَمْسُ النَّضِيرُ الْوَرِيقُ
عَبْرَ الرُّؤْيِ مُشْعَلَا

عُدْنَا وَأَلْفَيْنَا الرَّبِّيَّ وَالْحَقُولُ
كَمَا تَرَكْنَاهَا
الشَّمْسُ مَا زَالَتْ تُغْذِي السَّهُولُ
يَتْبَعُهَا اللَّيْلُ الْبَطِيءُ الْكَسُولُ
يَمْحُو بِقَايَاهَا

وَالنَّاسُ مَا زَالُوا هُنَا يَزْرَعُونَ
وَيَحْصِدُونَ الْهَمُومُ
الشَّمْسُ تُدْرِي أَنَّهُمْ يَغْمَسُونَ
ذُنُوبَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُرُونِ
وَيُرْمَقُونَ النُّجُومُ

ونحن ما زلنا كما كنا
أولئك الحمقى
الليل يمضي ساخراً منا
والفجرُ يَروى للُدجى أنا
نُشربُ ما نُسقى

وأمس فى القافلة الراحلة
سرنا مع السائرين
نقطع آلاف الربى الماحلة
وعندما أُرست بنا القافله
بعد انصرام السنين

جئتُ بنا خيبتنا وانطوى
ما كان مأمولا
وهدنا عبء الأسى والجوى
فهذه خلف الربى والهوى
بُقعنا الأولى

١٩٥٢/١/٥

أسطورة عينين

عينانِ طَلَسْمٌ وَلُغَزٌ أَصَمٌ
يَحَارُ فِي تَفْسِيرِهِ التَّائِهُونَ
غِيَّانٌ مِنْ عَهْدٍ سَحِيقِ الْقِدَمِ
وَضَفَّتَا شَطْطاً طَوْنَهُ الْقُرُونُ

عينانِ لَوْنٌ نَابِضٌ سَاخِنُ
شَيْءٌ مِنَ الشَّرُوقِ لَذِيذِ الْفُتُورِ
وَفِيهِمَا الْعِرَافُ وَالْكَاهِنُ
وَمَعْبَدٌ مَخْدَرٌ بِالْبُخُورِ

عينانِ أَمْ مِزَارِعٌ فِي الظَّلَالِ
تُرْقِرُقُ الْعَبِيرُ فِي الْأَوْدِيَةِ؟
وَهَذْبُهَا أَمْ رَعِشَةُ الْبَرْتَقَالِ؟
أَمْ نَجْمَةٌ تَخْفِقُ؟ أَمْ أَغْنِيَةُ؟

عينان أم عوالمٌ شاسعه؟
ويؤبؤُ أم دعوةٌ للرحيل؟
بابٌ إلى يوتوبيا الضائعه
ومغبرٌ ينهى إلى المستحيل

وفى مطاويها وسّاد الحُلُم
ومن حواشيها ارتواءُ الوترِ
عينان ما كاد يعيها النغم
حتى دعا أشواقه وانفجر

وذلك العمق الذي لا يُحد
يحمل للرّائين سرّ الظمأ
أحسنّ فيه لا انتهاء الأبد
وموكبَ التاريخ منذ ابتداء

يروون عنها أن أغوارها
ذوبُ نجومٍ أطفأتها السنين
وأن من أدرك أسرارها
فك الرّدَى عنه الإِسار المُهين

وأنهّا، كما روى آخرون،
بقية من أعين آفله
عينا (مدوزا) أفرغ الساحرون
ما فيهما من قوة قاتله

ستلبث العينان سرّاً عميق
ويذرع الراوون أرض الخيال
أسطورة تظل سكرى البريق
ما بقى الشعر وعاش الجمال

الوصول

سأحبّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصورُ
ملأى بألوان الخيالِ
وهناك في أنحائها ألقى الجمالُ
وعوالمًا نجمية الإشراقِ مُسكرة العطورِ
وهناك كم لون ترسب في كؤوس الذكريات
كم قصة نامت وغطت سرّها خلف الشعورِ
كم خطفة من طيف حبٍّ عاش حيناً ثم مات
كم نعمة في ذات صيفٍ، عندما كان المساءُ
مُثاقلاً نعساناً، في بعض القرى
وأنا أغنيها وأرقب في ارتخاءِ
ظلّ النخيلِ على الثرى

سأحبّ نفسي، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءِ
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنت بدم الغروبِ
حتى النهارُ أوى إلى سرُّ المساءِ
لم يبقَ إلّا أنا وآهات المداخنِ من بعيدٍ
وكأبة الليلِ الجديدِ

ولقد وصلنا، ها هنا يحيا الجمال،
والدفء، والشمسُ الأنيقة، والسكونُ
والامتدادُ وعالمٌ يسعُ القُرُونُ
بحرٌ من الألوان يخلقه الخيالُ
وتموج فوق مداه آلافُ الظلالِ

يا صمتَ نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرَى سنينِ
ضاقت بتطوافي البحارِ
وشكا النهارُ
ما حملته رؤاى من عبءِ الحنينِ
لم ألقَ غيرَكَ لى نصيرا
فى ظلمة الليلِ المضلِّ
فافتح لى البابَ الأخيرَا
دعنى أمرُ
...أنا وظلِّي...

١٩٥١/٣/٦

الولايات المتحدة

أغنيةٌ لشمس الشتاء

أشيعي الحرارة والرفق في لمسات الرياح
ولقي جدائك الشقر حول الفجاج الفساح
وهذا التحرق في شفتيك أريقى لظاه
على طبقات الثلوج الكثيفة فوق المياه
أذيبى بها قطرات الجليد
عن العشب، عن زهرة لا تريد

فراق الحياة

فما زال فيها رحيقٌ تخبئه للصباح

ومن دفء عينيك من ضوء هذا الجبين السعيد
أريقى عصير البنفسج فوق الفضاء المديد
ومن لون هذى الجدائل رشي ازرقاق الأثير
وصبى البريق الملون فوق مرايا الغدير
ومن عطر هذا الضياء المذاب
أريقى على صفحات الضباب

ربيعاً نضير

يحيل البرودة فيه إلى دفء حب جديد

أصابك الدافاتُ المرور اضغطي شعرها
وأحلامها فوق زهرة قل طوت سرها
ونامت ملفعةً بجليد المساء القريب
تذوب اشتياقاً لضوئك، للحب، للعندليب
أطلّي بوجهك في سجنها
فقد جمّد الشعر في لونها

وعاد شحوب
تسائله همسات العصفير عن سحرها

وروحى الذى رَسَبَتْ فى مناه تُلوجُ الملان
ولاذ بزاوية جهمة من زوايا الخيال
دعیه يُعانقك سكرانٌ من وهج هذا البريق
ويشربُ يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقُ
يفيض عليه سناك الحنون
ويرسله شُعْلَةً من جنون

ولحناً رقيقاً
نذرتُ مقاطعه لعذوبة هذا الجمال

دعيني ! هنا لا أحس سوى روحك الشاردة
تُقبَلُ شَعْرِي، وتُدْفئُ أحلامي الباردة
هنا أنت، بنت حقول الجنوب وألوانها
قَبَسَتِ العذوبة والدفء من سحر غدرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك، وهمسك شدو الرعاه
لُقْطَعَانِهَا

دعيني ! فأنت الإله هنا وأنا العابده

ومن أجل عينيك هاتين حيث يعيش الأبد
أعيش أَوْرَخُ كالأخريين بأمس وغد
وكالأخريين أعيش أجْرَ قُبُودِ المكان
وأحمل فوق جبينى عبء الدجى والدخان
لعينيك أرشف كأس الغيوم
وأعبر ليلاً جفته النجوم
وأطوى الزمان
مكبلةً بالأسى الأدمى وقيد الجسد

ولولاك يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجِ
وجفَ رحيقُ الشذى تحتَ بردِ الشتاءِ اللّجوجِ
ولولاك ما كانَ أحسنُ مسَّ الفضاءِ الرهيبِ!
وهذى النعومةُ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبُ
ألّواهُ كانَ يعيشُ الخيالُ؟
ومن ذا يوسّدُ خدَّ الجمالِ؟

ومن ذا يُذيبُ
بريقَ الحرارةِ في سَرْوَةِ جمَدَتِها الثلوجِ؟

ولولاك أينَ إذنَ يستحِمُ جبينُ السلامِ؟
وهذى المشاعرُ أينَ تصُبُّ، وأينَ تنامُ؟
وبعضُ العُيونِ التي جمعتُ ألفَ حلمٍ مُحالٍ
وقد نَضِجَتْ خلفَ أهدابِها نغماتُ الجمالِ
دعِها تُرقِ عَسَلَ الأغنياتِ
فلولاكِ سَدَّتْ عليها الحياةُ

رحابَ الخيالِ
ولولاكِ ما وَجَدَتْ سامعاً غيرَ بَرْدِ الظلامِ

١٩٥٢/١/٢٨

بقايا

مُرَّ بِي إِنْ شَتَّتَ مَسْرُوقَ الرُّؤْيِ مَيْتَ النُّشِيدِ
مُرَّ، فِي نَفْسِكَ أَعْمَاقُ مَنْ الصَّمْتِ الْبَلِيدِ
حَامِلًا وَجْهَ أَبِي هَوَلٍ جَدِيدِ
سَاحِبًا أَعْبَاءَ قَلْبٍ مِنْ جَلِيدِ
كُنْ، إِذَا شَتَّتَ، بِلَا طَعْمٍ، خَرِيفِيًّا، مِمْلًا
آه لَكِنْ... الْقِيَامُ ظِلًا

وَلَتَكُنْ عَيْنَاكَ أَفْقًا فَارِغًا دُونَ ضِيَاءِ
تَمْلَأَنَّ الْكَوْنَ ضَحْكًَا فَارِغًا، كَالْأَغْبِيَاءِ
أَبْدًا لَمْ تُذَرِكَا مَعْنَى الْبُكَاءِ
وَانْطَبَاقَ الْجَفْنِ فَوْقَ الْكِبْرِيَاءِ
لَتَكُنْ عَيْنَاكَ خُلُوعًا أَفْقُهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى
آه لَكِنْ.. الْقِيَامُ لَوْنًا

وليكن ماضيك قد مات ووارثه السنين
ليكن أصبح في حُضْنِ الثرى أكْداس طين
ليس في قلبك عرقٌ من حنين
ليس إلا بعض إحساس مهين
ليكن حبك قد فات مع الأمس ومرّاً
آه لكن... ابقِ ذكرى

وليكن ظلّ الغد القادم موتاً وظلاماً
لنكن نحن سنمسي فيه جرحاً وحطاماً
وفم الأحداث يمتصُّ العظاماً
ثم يُلقيها على الأرض ركاماً
ليكن لون الغد الآتى ضباباً مُدْلهماً
آه لكن.. ابقِ حلماً

إن يكن قد كُشفَ اللغزُ عن الأمس المُهانِ
وبدّت فيه الأساطير ولاحت للعيانِ
انجلي ما سترت كف الزمانِ
عن كيان خرب دون كيان
ليكن عاد وضوحاً دون ظلٍّ وتعرى
آه لكن.. ابقِ سراً

لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمتٍ أليمٍ
مزقت حُلُمَ صباهُ نعمةُ الجرحِ القديمِ
فمضى يلعنُ آفاقَ النجومِ
ويذيبُ الليلَ أقداحَ سُموهِمِ
لتكن هدمتَ، لم تستبقِ في صدركِ حبًّا
آه لكن... ابقِ قلبًا

نحن ضيَعنا طريقَ الغدِ في الليلِ الرهيبِ
ونسينا راحةَ القلبينِ في الأَمسِ القريبِ
اصنعِ لم يبقَ سوى همسِ الذنوبِ
في سكونِ الكونِ، في الليلِ الرهيبِ
فخذِ الكأسَ إذا شئتِ ومزقِ ما تبقى
آه لكن.. ابقِ عرقًا
ابقِ عرقًا

١٩٤٩/٤/١٥

ساعة الذكرى

هذه ساعة التذكّر، كاد الـ
إنّها ساعةُ التذكّر، والأجـ
وأحسُّ الخُطى تمرّ حيارى
وأحسُّ الوجوه هبت من الما
الخُطى والوجوه أسمعها، أـ
الخُطى والوجوه يا ساعة الذكـ
خلفَ بابى يمرّ بى موكب الأشـ
الخُطى والوجوه من عمق ماضٍ

ليل يبكى معى ويُصنّى ملّيا
راسُ تطوى كآبة الصمت طيا
خلفَ بابى كما مررنَ مرارا
ضى وعادت مملوءة أسراراً
مَحُّها فى الدجى تحدقُ فيّا
رى وقلبٌ طغى أساه وثاراً
جاح يستصرخ الدموع الغزاراً
خلّته عاد غابراً مطوياً

وحنين الأصدا يشهق خلف الـ
ضحكات مبتورة تذرع الظلـ
ودموع فى أعين أقفل التـ
وعروق تضيّج خلف ليالـ
وشفاه أمات ألفاظها الصمـ
وجدار عطشان تعصره الشمـ
وزمان أفنت مواعيده القوـ
ودروب يكاد يصرخ فيها الظـ

باب فى موكب عميق السكون
مة والصمت فى جمود حزين
ريخ أهدابها على ألف سرّ
شردت فى الزمان دون مقرّ
ت سوى رعدة وبعض أنين
س وذكرى الظلّين أعنف عصر
ضى وأبقته فى شرود وذعر
ل شوقاً لعابر مفتون

ومرور الأشباح يشهق خلف الـ
موكبٌ شاحبٌ شحوبٌ غدما
موكبٌ كل خطوةٍ من خطى أشد
كل وجه يعود في عمق نفسي
في ظلام الذكرى أمداً ذراعى
في ظلام الذكرى، وافتح بابى
في ظلام الذكرى، وأدفع كفى
فأحس الفراغ في جسد الأشد

بباب في همسة ترن طويلاً
زال لغزاً وعالماً مجهولاً
بأحده رعدة على شفتيها
زمناً كاملاً عميقاً خفياً
لعل الأشباح تدنو قليلاً
لأرى الموكب الحزين ملياً
في جنون عساي المس شياً
بأح أنى أصفح المستحيلاً؟

١٩٤٩/٤/١٢

هل ترجعين؟!

«قصيدة نظمها لعمّتى التى توفيت سنة ١٩٤٨»

ما زالت الذكرى تَضِجُ وراء إحساسى الدفين
إن نمت ألمحها تسير معى يُجَسِّدُها الحنين
تأويهة ألقى بها الماضى إلى شطى الحزين
معصوبة بعُروقِ أحلامى الحبيسات الرنين
إن نمت ألمحها فتصرخ لهفتى: هل ترجعين؟
هل ترجعين إذا حلّمت بما مضى؟ هل ترجعين؟

ما زالت الذكرى تَضِجُ، ولم أزل فى أسرها
ما زالت، تنطقى ابتساماتى لمعبّر ذكرها
يتقاسم الليل الصديق معى حرارة جمرها
وتظّل تحفر فى عروقى الوالهاة بظفرها
عطشى، أراك ولا أمسك، أين أنت؟ أسمعين؟
وإذا دعوتك من خلال مدامعى، هل ترجعين؟

الشوق يعصرنى إليك ويطفئ المرح الكذوب
يغتال أفراحي ويسلم كل ضوء للغروب
إنى أموت تحرقاً وتعطشاً، إنى أذوب

لم يَبْقَ إِلَّا رَجْعُ أَصْدَاءِ يَكْفَنُهَا الشُّحُوبُ
عَرَفْتُ بِهَا رُوحِي الْمَشُوقَةَ بَعْضُ تَذَكَارِ السَّنِينِ
فَصَرَخْتُ فِي أَلَمٍ خَرِيفِي الصَّدَى: هَلْ تَرْجِعِينَ؟

وَالشُّوقُ لِلْمَوْتِ سُهَادٌ لَيْسَ يَشْفِيهِ الضِّيَاءُ
الشُّوقُ لِلْمَوْتِ جَرَّاحٌ لَيْسَ يَقْرِبُهَا شِفَاءُ
أَبْكِي؟ أَذُوبُ؟ سُدِّي؟ فَبَعْضُ النَّارِ يَأْبَى الْإِنْفِئَاءُ
بَعْضُ التَّعَطُّشِ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَطُوفَ بِهِ ارْتَوَاءُ
يَبْقَى يَمَزِقُنِي وَأَنْتِ بَعِيدَةٌ لَا تُذَرِّكِينَ
وَأَنَا انْتِفَاضٌ صَارِخٌ فِي حَسْرَةٍ: هَلْ تَرْجِعِينَ؟

وَأَنَا أُعَدُّ الذِّكْرِيَّاتِ وَأَرْقُبُ الزَّمَنَ الْكَسُولَ
يَمْشِي عَلَى عُكَّازَتَيْنِ مِنَ الْكَآبَةِ وَالذَّهْوَلِ
يَمْشِي وَيَحْصِي مَا عَلَى وَجْهِهِ الْمَقْنَعُ بِالذَّبُولِ
وَالصَّمْتِ مِنْ صُورٍ تَمُوتُ وَأَنْجَمٍ بِيَدِ الْأَفْوَلِ
وَأَنَا؛ وَأَحْلَامِي، وَقَلْبِي، قِصَّةٌ لَوْ تَعْلَمِينَ
مَا زِلْتُ أَحْكِيهَا وَأَصْرُخُ فِي الدَّجَى: هَلْ تَرْجِعِينَ؟

١٩٤٨/٣/٩

صلاة الأشباح

تململت الساعةُ الباردة
على البرج، في الظلمة الخامدة
ومدّت يداً من نحاسٍ
يداً كالأساطير بوذا يحركُها في احتراسٍ
يد الرجل المتصبّ .
على ساعة البرج، في صمته السرمدى
يحدّق في وجمة المكتبِ
وتقذف عيناه سيلَ الظلام الدجى
على القلعة الراقدة
على الميتين الذين عيونهم لا تموت
تظلّ تحدّق، ينطق فيها السكوتُ
وقالت يد الرجل المتصبّ:
«صلاة، صلاة!»

ودبت حياه
هناك على البرج، في الحرّس المتعبين
فساروا يجرون فوق الثرى في أناه

ظَلَالَهُمُ الحَانِيَاتِ التِي عَقَفَتْهَا السِّنِينَ
ظَلَالَهُمُ فِي الظَّلَامِ العمِيقِ الحَزِينِ
وعَادَتْ يَدَ الرَّجُلِ المُنْتَصِبِ
تُشِيرُ: «صَلَاةٌ، صَلَاةٌ!»

فِيْمَتَزَجُ الصَّوْتُ بِالصُّبْحَةِ الدَّاوِيَةِ،
صَدَى مَوْكِبِ الحَرَسِ المَقْتَرِبِ
يَدُقُّ عَلَى كُلِّ بَابٍ وَيَصْرُخُ بِالنَّائِمِينَ
فِيْرَزُّ مِنْ كُلِّ بَابٍ شَبَّاحٌ
هَزِيلٌ شَحْبٌ،
يَجْرُ رَمَادُ السِّنِينَ،
يَكَادُ الدُّجَى يَتَحَبَّبُ
عَلَى وَجْهِهِ الجُمُجُمَى الحَزِينِ

وَسَارَ هُنَالِكَ مَوْكِبُهُمْ فِي سُكُونٍ
يَدْبُونُ فِي الطَّرَاقَاتِ الغَرِيبَةِ، لَا يُدْرِكُونَ
لِمَاذَا يَسِيرُونَ؟ مَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ؟
تَلَوَّتْ حَوَالِيَهُمْ ظُلُمَاتُ الدَّرُوبِ
أَفَاعَى زَاخِفَةٌ وَنُيُوبٌ
وَسَارُوا يَجْرُونَ أَسْرَارَهُمْ فِي شُحُوبٍ
وَتَهْمُسِ أَصْوَاتِهِمْ بِنَشِيدٍ رَهِيْبٍ،

نشيد الذين عيونهم لا تموت،
نشيد لذاك الإله العجيب
وأغنية ليد الرجل المتصب
على البرج كالعنكبوت
يد من نحاس
يحركها في احتراس
فترسل صيحتها في الدياجي
«صلاة، صلاة»

وفي آخر الموكب الشبّحيّ المخيف
رأى حارسٌ شبّحين
يسيران لا يدركان متى كان ذاك وأين؟
تُحزّ الرياح ذراعيهما في الظلام الكثيف
وما زال في الشبّحين بقايا حياه
ولكنّ عينيهما في انطفاء
ولفظُ «صلاة صلاة»
يضجّ بسمعيهما في ظلام المساء

«أَلَسْتَ تَرَى»

«خُذْهُمَا!»

ثم ساد السكون العميق

ولم يبقَ من شَبَّحٍ في الطريق

وفي المعبد البرهمي الكبير

وحيثُ الغموضُ المُثيرُ

وحيثُ غرابةُ بوذا تُلَفُّ المكانُ

يُصَلِّي الَّذِينَ عِيُونُهُمْ لَا تَمُوتُ

وَيَرْقُبُهُمْ ذَلِكَ الْعَنْكَبُوتُ

على البرج مستغرقاً في سكوت،

فيرتفعُ الصوتُ ضخماً، عميق الصدى، كالزمانُ

ويرتجف الشبحانُ

من القلعة الرطبة الباردة

ومن ظُلُمَاتِ البيوت

ومن الشُرَفِ المارده

ومن البرج، حيثُ يدُ الْعَنْكَبُوتِ

تشيرُ لنا في سكوت

من الطرقات التى تَعْلِكُ الظُّلْمَةَ الصَّامِتَةَ
أَتَيْنَاكَ نَسْحَبُ أَسْرَارَنَا الْبَاهِتَةَ
أَتَيْنَاكَ، نَحْنُ عَبِيدُ الزَّمَانِ
وَأَسْرَاهُ نَحْنُ الَّذِينَ عَيُونُهُمْ لَا تَمُوتُ
أَتَيْنَا نَجْرُ الْهَوَانَ
وَنَسْأَلُكَ الصَّفْحَ عَنْ هَذِهِ الْأَعْيُنِ الْمُذْنِبَةِ
تَرَسَّبَ فِي عَمَقِ أَعْمَاقِهَا كُلُّ حَزَنِ السِّنِينَ
وَصَوْتُ ضَمَائِرِنَا الْمُتَعَبَةِ
أَجْشُ رَهَيْبُ الرَّنِينِ
أَتَيْنَاكَ يَا مَنْ يَذُرُّ السُّهَادَ
عَلَى أَعْيُنِ الْمُذْنِبِينَ
عَلَى أَعْيُنِ الْهَارِبِينَ
إِلَى أَمْسِهِمْ لِيَلُودُوا هُنَاكَ بِتَلٍّ رَمَادٍ
مِنَ الْغَدِ ذِي الْأَعْيُنِ الْخُضِرِ، يَا مَنْ نَرَاهُ
صَبَاحَ مَسَاءٍ يَسُوقُ الزَّمَانَ
يَحْدَقُ، عَيْنَاهُ لَا تَغْفَوَانِ
وَكَفَاهُ مَطْوِيَّتَانِ
عَلَى أَلْفِ سِرٍّ، أَتَيْنَا نُمْرُغُ هَذِي الْجِبَاهُ
عَلَى أَرْضٍ مَعْبُدَةٍ فِي خُشُوعٍ

تُناديه، دونَ دموعٍ،
ونصرخ: آه!
تعبنا فدعنا ننامُ
فلا نسمع الصوتَ يَهْتَفُ فينا: «صلاه!»
إذا دَقَّت الساعةُ الثانيه،
ولا يطرق الحرس الكالحونُ
على كل بابٍ بأيديهم الباليه
وقد أكلتها القُرونُ
ولم تُبق منها سوى كومةٍ من عظامٍ
تعبنا... فدعنا ننام..
ننامُ، وتنسى يد الرجل العنكبوتُ
على ساحة البرج، تُثْرُ فوق البيوتُ
تعاويذَ لعنتها الحاقده
حنانك بوذا، على الأعينِ الساهده
ودعها أخيراً تموتُ

وفي المعبد البرهمي الكبيرُ
تحركَ بوذا المثيرُ
ومدّ ذراعيه للشبحينَ

يُبارك رأسيهما المتعيين
ويصرخ بالحرّس الأشقياء
وبالرجل المتصب
على البرج في كبرياء،
«أعيدوهما!»

ثم لف السكون المكان

ولم يبق إلا المساء،
وبوذا، ووجه الزمان

١٩٤٩

خائفة

ارجعُ فالليلُ تُثيرُ مخاوفهُ قلقي
وأنا وحدي والنجمُ بعيدُ في الأفقِ
يخدعني أملٌ في فجرٍ لم ينبثقِ
وصُبابة دمعٍ باردةٍ لم تحترقِ

ومددتُ يدي فرجعتُ بجفنةٍ ظلماءِ
وسألتُ الليلَ فبؤت بيضعةً أصداءِ
أصداءُ مفرقةٍ في سورةٍ إغماءِ
جاءتُ تزحف من أغوار الماضي النائي

دربي حاولتُ سديَّ أن أرفع أستاره
تصخبُ في عنتمته أشباحُ ثنائه
أنكرتُ الدربَ كأن لم أعرف أحجاره
يوماً بالأمس ولم أستكشف أسرارَه

ارجع، أواه ألا تسمع صوتى الموهون؟
لن أبقى وحدى فى هذا الدرب المجنون
هذا الأفق المستغلق حيث النجم عيون
حيث الأشجار هياكل أفكار وظنون

تردد فيه أصوات تُنذر حبي
أصوات غادرة تنبح ملء الرحب
صدقنى وارجع أخشى أن تجرح قلبى
صدقنى.. إنى أسمعها تملأ دربى

فى المعبّر سعادة ترمق طيفى بفتور
ووراء المفترق المتشعب بعض قبور
خذ بيدى ولترك هذا الأفق المهجور
لا تتركنى روحاً صارخة فى الديجور

١٩٤٨/٤/١

دعوة إلى الحياة

اغضبْ، أَحَبَّكَ غاضِباً متمرّداً
فى ثورة مـشـبـوبـة وتمزّق
أبغضتُ نومَ النارِ فيكَ فكنَ لظىً
كن عرقَ شوقٍ صارخٍ متحرقِ

اغضبْ، تكاد تموت روْحك، لا تكن
صمّماً أضّيعُ عندهُ إعصارى
حسبى رَمادُ الناسِ، كن أنت اللظى
كن حُرقة الإبداع فى أشعارى

اغضبْ كفاك وداعة، أنا لا أحبّ الوادعينُ
النار شرعى لا الجمود ولا مهادنة السنينُ
إنى ضجرت من الوقارِ ووجهه الجهم الرصينُ
وصرخت لا كان الرماد وعاش عاش لظى الحنينُ
اغضبْ على الصمت المهينُ
أنا لا أحبّ السننـاكـنينُ

إنى أحبك نابضاً، متحركاً،
كالطفل، كالريح العنيفة كالقدر
عطشان للمجد العظيم فلا شذى
يروى رؤاك الظامئات ولا زهر

الصبُّر؟ تلك فضيلة الأموات، فى
برد المقابر تحت حكم الدود
رقدوا وأعطينا الحياة حرارة
نشوى وحرقه أعين وخدود

أنا لا أحبك واعظاً بل شاعراً قلق النشيد
تشدو ولو عطشان دامي الحلق محترق الوريد
إنى أحبك صرخة الإعصار فى الأفق المديد
وفماً تصبّاه اللهيب فبات يحتقر الجليد
أين التـحـرق والحنين؟
أنا لا أطيق الراكـدين

قَطَّبْ، سَتَمَتَكَ ضَاحِكًا، إِنَّ الرَّبِّي
بَرْدٌ وَدَفءٌ لَا رِبِيعٌ خَسَالِدُ
الْعَبَقَرِيَّةِ، يَا فَتَايَ، كَتَيْبَةُ
وَالضُّمَامِ حَاكُونَ رَوَاسِبَ وَزَوَائِدُ
٥

إِنِّي أَحْسَبُكَ غُصَّةً لَا تَرْتَوِي
يَقْنِي الْوَجُودَ وَأَنْتَ رُوحٌ عَاصِفُ
ضَحِكُ جُنُونِي وَدَمْعُ مَخْرَقِ
وَهْدَوُ قَلْدِيسٍ وَحَسُّ جَسَارَفُ

إِنِّي أَحْبُّ تَعْطَشَ الْبِرْكَانِ فَيْكَ إِلَى انْفِجَارِ
وَتَشْوِقَ اللَّيْلِ الْعَمِيقِ إِلَى مَلَاقَاةِ النَّهَارِ
وَتَحْرِقَ النَّبْعَ السَّخِيَّ إِلَى مَعَانِقَةِ الْجَرَارِ
إِنِّي أُرِيدُكَ نَهْرَ نَارٍ مَا لِلْجُتَّةِ قَرَارُ
فَاغْضِبْ عَلَى الْمَوْتِ اللَّعِينِ
إِنِّي مَلَلْتُ الْمَيِّتِينَ

شجرة القمر
الطبعة الأولى ١٩٦٨

ملاحظات

حول قصائد هذا الديوان

-١-

حول "شجرة القمر"

أصل هذه القصيدة أن بنت عمتي الصغيرة «ميسون» كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ في غرفتي، فألحت عليّ أن أقصّ عليها قصة، وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة، وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المراهقة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهي جالسة إلى جوارى تنظر إليّ في شغف فما انصرفت الظهيرة إلا وقد أنجزت الصفحات الأولى من القصيدة.

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة إنكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩، وأذكر من ظروف قراءتي لها أنني وقعت عليها في مجموعة شعرية للأطفال من كتب صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها في ضهور الشوير ذلك الصيف، فما كدت أقرأها حتى أحبيت الحكاية فيها واختزنتها في ذاكرتي إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة، وأصلها الإنكليزي قصير قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم، فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العاري لا غير، أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لي، وكم يؤسفني أنني لا أعرف حتى عنوان الكتاب الذي

قرأت فيه المقطوعة، ولا أعرف اسم الناظم، والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت إلى إنكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عن أخبارها.

ويرجع سبب اختياري للحكاية أنني وجدت فيها بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن في الوقت نفسه أن أحملها رموزاً شعرية عالية بحيث يقرأها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه، ولعله لا يخفى أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر «أو الفنان»، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده، ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه، حتى إذا فعل ذلك كما تمنى، وتخيل أنه حقق سعادته، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده، فهي لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره، وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزاً للحق العام في القمر، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الأسير فإن ذلك لا يتم إلا بخدعة يرتكبها الغلام، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر، لأن ثمرها المتدلى من أغصانها ليس إلا أقماراً فضية متألقة، وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فته فإذا كان في المساء قمر يملكه الوجود كله، فإن في وسع الفنان الذي يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور، وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود ويكتفى بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر، ومن الطبيعي أن تكون هذه الشجرة غذاءً روحياً للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحيه للجمال.

ولكن هل استوعبت ميسون الصغيرة، في عمرها الغضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي لها؟ طبعاً، لا، وإنما أحببتها لأنها حكاية القمر والشجرة التي تثمر أقماراً، ولأنها حكاية غلام شاعري النزعة، روحاني الاتجاهات، يأكل ضوء النجوم بدل الغذاء ويشرب العطر ويطارد الفراشات، وذلك هو المستوى الظاهري للقصيدة، وفي وسع أيّ قارئ أن يكتفى به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها.

وقد اخترت لقصيدتي مسرحاً شعرياً التقطته من ذكرياتي عن جبالنا السحرية في شمال العراق، ومن الحق أن أقول إنني زرت في حياتي جبالاً كثيرة في تركيا وإيطاليا، ولبنان، وفلسطين، والأردن فلم أر جبالاً لها من السحر والروعة ما يضارع جبال الشمال عندنا، فإن الجمال هناك يأسر روحي حتى أغيب في سكرة شعورية كلما زرت لواء أربيل وتوغلت في مضايقه ووديانه، وأنا إنما أصوّر هذه الجبال في قصيدة «شجرة القمر» وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها.

-٢-

حول «البعث»

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على أسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض العربيّ؛ فشطرت البيت إلى شطريه وإن كان أغلب أبياتها مدوراً، وأى قارئ قد اطلع على ديواني «قرارة الموجة» وعلى الطبعة الثانية من «عاشقة الليل» و«شظايا ورماد» سيلاحظ أنني قد خالفت

خطتى فى كتابة البحر الخفيف، فقد كتبت فى تلك الدواوين دونما مراعاة
للوقفة العروضية وإنما راعيت فى الكتابة المعنى وحده، ومن ثم فإن قصيدة
(حصاد المصادفات) قد كتبت كما يلى :

حينما يرقد الهوى ميتاً

فوق تراب الأيام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع

لعهدٍ مغلفٍ بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة- خاصة للقارئ الذى لا يحسن الوزن- وكأنها
شعر حرّ أو شعر مثور مع أنها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا:

حينما يرقد الهوى ميتاً فوق ق تراب الأيام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع مع لعهدٍ مغلفٍ بالظلام

والسبب البسيط كل البساطة الذى دفعنى إلى أن أكتب البحر الخفيف
بهذا الشكل فى دواوينى السابقة أن تلك الدواوين طبعت فى حجم صغير لا
يزيد عن حجم الكفّ، فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح
البيت المدور من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة؛ فقررت أن أقسمه
إلى قسمين ليلائم الظروف، وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندى
مدوره، وأدركت أن علىّ أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم فى

شطر، استثقلت هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وقد قدّرت أن القارئ الذى يقرأ شعري لابد أن يكون قادراً على إدراك موضع الوقفة العروضية، وهكذا دفعتنى الملابس المادية للطبعة إلى إدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها، وقد كان يعزىنى فى ذلك أن الوزن لا يتغير مهما كان الشكل الذى نختاره لكتابته حتى لو كتبناه كما نكتب النثر، فهو موزون على كل حال.

وعند ذاك، فى سنة ١٩٥٧، لم يكن يدور فى خلدى أن أناساً من الشعراء سيتخذون عملى الاضطرابى سُنّة يحتذونها فى منشوراتهم الشعرية ودواوينهم، ولكم جزعت عندما صرت أرى فى المجلات قصائد موزونة على الشكل العربى وزناً تاماً، ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر، وقد جمعتنى مجالس غير قليلة بأدباء وقراء يقرأون هذه القصائد الجارية على الوزن العربى كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها شعر حر أو شعر منشور.

ومهما يكن من أمر فيهمنى أن أدرج قصيدة البحر الخفيف فى هذا الديوان على الشكل العربى الدارج، متهزة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائى الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على الأسلوب العربى، ثم يدرجونه وكأنه شعر حرّ، فإن هذا العمل لا يزيد القارئ العربى إلا بلبلة وجهلاً فى وقت نحب فيه أن ننشئ ثقافةً شعريةً رصينةً نضىء بها طريق الأمة العربية.

حول "الشعر الحر"

يلاحظ أن في هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحر، وقد يعجب بعض القراء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان؛ لأنهم ألفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً، وكأنهم أعداء، وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحر وحده في تعصب وعناد، وأحب أن أذكر القارئ في هذه المقدمة أنني لم أدع يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحر، وأبرز دليل على هذا ديوانى السابقان، أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذى دعوت في مقدمته إلى الشعر الحر دعوة متحمسة فلم تكن فيه إلا عشرة قصائد حرة بينما كانت القصائد الأخرى جميعاً تنتمى إلى الأوزان الشطرية، وأما (قرارة الموجة) ديوانى الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحر، ولا أذكر قط أنني اقتصرت على الشعر الحر في أية فترة من حياتى، وسبب هذا أنني أولاً أحب الشعر العربى ولا أطيق أن يتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة، ثم إن الشعر الحر كما بينت في كتابى - قضايا الشعر المعاصر - يملك عيوباً واضحة أبرزها الرتابة والتدفق والمدى المحدود، وقد ظهرت هذه العيوب فى أغلب شعر شعراء هذا اللون، وهذا حاصل أيضاً فى الشطرين فإن له مزايا وله عيوب.

وإنى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية بعد أن خاضوا فى الخروج عليها

والاستهانة بها، وليس معنى هذا أن الشعر الحرّ سيموت وإنما سيبقى قائماً
يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الأوزان
العربية الجميلة.

ومما أحبّ أن أعلن أسفى له أنني في شعري الحرّ لم أعنّ عنايةً أكبر
بالقافية فكنت أغير القافية سريعاً وأتناول غيرها، وهذا يضعف من الشعر
الحرّ، لأنه يقوم على أبياتٍ تتفاوت أطوال أشطرها وبذلك ينقص رنينها
وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنى ولم يغيرها سريعاً لأضفى على الوزن
موسيقى تمسكه وتمنعه من الانفلات، ولهذا بتّ أدعو إلى أن يركز الشعر الحرّ
إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً
ونحميه من ضعف الرنين وانفلات الشكل.

نازك الملائكة

البصرة

في ٢٨/٣/١٩٦٧

شجرة القمر

«قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت في الحادية
عشرة من عمرها».

-١-

على قمة من جبال الشمال كسّأها الصنوبر
وغلفها أفقٌ مخمليٌ وجوٌ معتبرٌ

وترسو الفراشاتُ عند ذراها لتقضي المساءُ
وعند ينابيعها تستحم نجوم السماءُ

هنالك كان يعيشُ غلامٌ بعيدُ الخيالِ
إذا جاعَ يأكلُ ضوءَ النجوم ولونَ الجبالِ

ويشربُ عطرَ الصنوبرِ والياسمينِ الخَضِلِ
ويملاً أفكاره من شذى الزنبقِ المتفعلِ

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامضَ الذكرياتِ
وكان يطارد عطرَ الربى وصدى الأغنياتِ

وكانت خلاصة أحلامه أن يصيد القمر
ويودعه قفصاً من ندى وشذى وزهر

وكان يقضي المساء يحوك الشباك ويحلم
يوسده عشب بارد عند نبع مغمم

ويسهر يرمق وادي المساء ووجه القمر
وقد عكسته مياه غدير برود عطر

وما كان يغفو إذا لم يمر الضياء اللذيذ
على شفتيه ويسقيه إغماء كأس نبيذ

وما كان يشرب من منبع الماء إلا إذا
أراق الهلال عليه غلائل سكرى الشذى

-٢-

وفي ذات صيف تسأل هذا الغلام مساءً
خفيف الخطى، عارى القدمين، مشوق الدماء

وسار وئيداً وئيداً إلى قمة شاهقه
وخبأ هيكله في حمى دوحه بأسقه

وراح يعد الثواني بقلب يدق يدق
ويتنظر القمر العذب والليل نشوان طلق

وفي لحظة رفع الشرق أستاره المعتمه
ولاح الجبين اللجيني والفتنة الملهمه

وكان قريباً ولم ير صيادنا الباسما
على التل فانساب يذرع أفق الدجى حالما

وطوقه العاشق الجبلى ومس جبينه
وقبل أهدابه الذائبات شذى وليونه

وعاد به: يحار الضياء، بكأس النعومه
بتلك الشفاه التى شغلت كل رؤيا قديمه

وأخفاه فى كوخه لا يمل إليه النظر
أذلك حلم؟ كيف وقد صاد.. صاد القمر؟

وأرقده في مهادِ عبيريّة الروثقِ
وكلّله بالأغاني، بعينيه، بالزنبقِ

-٣-

وفي القرية الجبلية، في حلقات السمرِ
وفي كلّ حقلٍ تنادى المنادون: «أين القمر؟»

«وأين أشعته المُخملية في مرجنا؟»
«وأين غلائله السُحبية في حقلنا؟»

ونادت صبايا الجبال جميعاً «نريدُ القمر!»
فرددت القننُ السامقات: «نريدُ القمر»

«مُسامرنا الذهبيّ وساقى صدى زهرنا»
«وساكبُ عطر السنابل والورد في شعّنا»

«مُقبّلُ كلّ الجراح وساقى شفاء الورود»
«وناقلُ شوقِ الفراشِ لينبوع ماءِ بروذ»

«يُضْيءُ الطَّرِيقَ إِلَى كُلِّ حُلْمٍ بَعِيدٍ الْقَرَارُ»
«وَيُنْمِي جَدَائِلَنَا وَيُرِيقُ عَلَيْهَا النُّضَارُ»

«وَمَنْ أَيْنَ تَبَرَّدُ أَهْدَابُنَا إِنْ فَقَدْنَا الْقَمَرَ؟»
«وَمِنْذَا يَرَقُّ أَحَانُنَا؟ مَنْ يَغْذِي السَّمَرَ»

وَلَحْنُ الرِّعَاةِ تَرَدَّدَ فِي وَحْشَةٍ مَضْنِيَةٍ
فَضَجَّتْ بِرَجْعِ النِّشِيدِ الْعِرَاقِيِّ وَالْأَوْدِيَةِ

وَنَارُوا وَسَارُوا إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ ذَاكَ الْغُلَامُ
وَدَقُّوا عَلَى الْبَابِ فِي ثَوْرَةٍ وَلَظَىَّ وَاضْطَرَامَ

وَجَنُّوا جُنُونًا وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ الْمَرَاقِي حَجَرٌ
وَلَا صَخْرَةٌ لَمْ يُعِيدَا الصُّرَاخَ: «نُرِيدُ الْقَمَرَ»

وَطَافَ الصَّدَى بِجَنَاحَيْهِ حَوْلَ الْجِبَالِ وَطَارَ
إِلَى عَرَبَاتِ النُّجُومِ وَحَيْثُ يَنَامُ النَّهَارُ

وَأَشْرَبَ مِنْ نَارِهِ كُلَّ كَأْسٍ لَزْهَرَةٍ قُلٌّ
وَأَيَقَظَ كُلَّ عَبِيرٍ غَرِيبٍ وَقَطْرَةٍ طُلٌّ

وَجَمَعَ مِنْ سَكَرَاتِ الطَّبِيعَةِ صَوْتَ احْتِجَاجٍ
تَرَدَّدَ عِنْدَ عَرِيشِ الْغُلَامِ وَرَاءَ السِّيَاحِ

وَهَزَّ السَّكُونُ وَصَاحَ: «لِمَاذَا سَرَقْتَ الْقَمَرَ؟»
فَجَنَّ الْمَسَاءُ وَنَادَى: «وَأَيْنَ خَبَأْتَ الْقَمَرَ؟»

-٤-

وَفِي الْكُوخِ كَانَ الْغُلَامُ يَضُمُّ الْأَسِيرَ الضَّحُوكُ
وَيُمِطُّهُ بِالْدمُوعِ وَيَصْرُخُ: «لَنْ يَأْخُذُوكَ؟»

وَكَانَ هُتَافُ الرَّعَاةِ يَشُقُّ إِلَيْهِ السَّكُونُ
فَيَسْقُطُ مِنْ رُوحِهِ فِي هَوًى مِنْ أَسَى وَجَنُونِ

وَرَاحَ يَغْنَى لِمَلْهُمِهِ فِي جَوَى وَانْفِعَالِ
وَيَخْلُطُ بِالدَّمْعِ وَالْمَلْحِ تَرْنِيمَهُ لِلْجَمَالِ

وَلَكِنْ صَوْتُ الْجَمَاهِيرِ زَادَ جُنُونًا وَثُورَهُ
وَعَادَ يَقْلَبُ حُلْمَ الْغُلَامِ عَلَى حَدِّ شَفَرِهِ

ويهبطُ في سَمْعِه كالرصاصِ ثَقِيلَ المَرُورِ
ويهدمُ ما شَيَّدَتْهُ خِيالاتُهُ من قُصورِ

وأين سيهرُبُ؟ أين يخبئُ هذا الجسبين؟
ويحميه من سَوْرَةِ الشَّوْقِ في أعينِ الصائدين؟

وفي أيّ شيء يلفّ أشعتهُ يا سَمَاءُ
وأضواؤه تتحدّى المخابى في كبرياء؟

ومرّت دقائقُ متفعّلاتٌ وقلبُ الغُلامِ
تمزّقةٌ مُذْيَةُ الشكِّ في حيرةٍ وظلامِ

وجاء بفأسٍ وراح يشقّ الثرى في ضَجَرِ
ليدفنَ هذا الأسيرَ الجميلَ، وأين المَقَرُّ؟

وراح يودّعُهُ في اختناقٍ ويفسلُ لونه
بأدمسِهِ ويصبُّ على حِظِّهِ ألفَ لعنةٍ

وحين استطاع الرعاة الملحون هدم الجدار
وتحطيم بوابة الكوخ في تعبٍ وانبهارٍ

تدقق تيارهم في هياجٍ عنيفٍ ونقمه
فماذا رأوا؟ أى يأسٍ عميقٍ وأية صدمه!

فلا شيء في الكوخ غير السكون وغير الظلم
وأما الغلام فقد نام مستغرقاً في حلمٍ

جدائله الشقرُ مُسدلاتٌ على كتفيه
وطيفُ ابتسامٍ تلكاً يحلمُ في شفتيه

ووجهٌ كأنَّ أبولون شربه بالوضاءه
وإغفاءةٌ هي سرّ الصفاء ومعنى البراءه

وحار الرعاة أيسرُقُ هذا البريء القمر؟
ألم يُخطئوا الاتهام ترى؟ ثم... أين القمر؟

وعادوا حيارى لأكواخهم يسألون الظلام
عن القمر العبقري أناه وراء الغمام

أم اختطفته السَّعَالَى وأخفته خلف الغيوم
وراحت تكسره لتغذى ضياء النجوم؟

أم ابتلع البحرُ جبهته البضة الزنبقية؟
وأخفاه في قلعة من لآلئ بيض نقيه؟

أم الريحُ لم يبق طول التنقل من خفها
سوى مِرْقِ خَلَقَاتٍ فأخفته في كهفها

لتصنع خُفَيْنٍ من جلده اللين اللبني
وأشرطة من سناه لهيكلها الزنبقي

-٦-

وجاء الصباحُ بلبيل الخطى قمرى البرود
يتوجَّجُ جبهته الغسقية عقدُ ورود

يجوبُ الفضاءَ وفي كفه ورقٌ من جمال
يرشُّ الندى والبرودة والضوء فوق الجبال

ومرَّ على طَرْفِي قَدَمَيْهِ بِكَوْخِ الْغُلَامِ
ورشَّ عليه الضياءَ وقَطَرَ الندى والسَّلامَ

وراح يسيرُ لينجزَ أعمالَهُ في السُّفُوحِ
يوزعُ ألوانَهُ ويشيعُ الرِّضَى والوضوحَ

وهبَ الغلامُ من النومِ متعشاً في انتشاءٍ
فماذا رأى؟ يا نَدَى! يا شَدَى! يا رَوَى! يا مَماء!

هنالكَ في السَّاحَةِ الطُّحْلِيَّةِ، حيثُ الصِّباحُ
تعودُ ألا يَريَ غيرَ عُشْبٍ رَعَنَهُ الرِّياحُ

هنالكَ كانتَ تقومُ وتمتدُّ في الجوّ سُدْرَهُ
جدائلُها كُسيَتِ خُضْرَةً خِصْبَةً اللّونِ ثَرَهُ

رعاها المِساءُ وغذَّتْ شذاها شِفاهَ القَمَرِ
وأرضعَها ضوؤُه المِختَفَى في الترابِ العِطَرِ

وأشربَ أغصانَها الناعماتِ رحيقَ شَدَاهُ
وصبَّ على لونها فِضَّةً عَصِرَتْ مِنْ سَنَاهُ

وأثمارها؟ أى لون غريب وأى ابتكار
لقد حار فيها ضياءُ النجوم وغار النهار

وجنتُ بها الشجراتُ المقلدةُ الجامده
فمنذ عصورٍ وأثمارها لم تزل واحده

فمن أى أرض خيالية رَضَعَتْ؟ أى ترابه
سقتُها الجمالَ المفضضُ؟ أى ينابيع عذبه؟

وأيةُ معجزةٍ لم يصلها خيالُ الشجرِ
جميعاً؟ فمن كل غصنٍ طرى تدلى قمرٌ

-٧-

ومرّت عصورٌ وما عاد أهلُ القرى يذكرون
حياةَ الغلامِ الغريبِ الرؤى العبقريّ الجنون

وحتى الجبالُ طوت سرّه وتناست خطاهُ
وأقماره وأناشيدهُ واندفاعُ مناهُ

وكيف أعادَ لأهلِ القرى الوالَهِينَ القَمَرَ
وأطلقَهُ في السَّمَاءِ كما كانَ دونَ مقرِّ

يجوبُ الفضاءَ ويثرُ فيه الندى والبُرودُ
وشبَّهَ ضبابَ تحدرَ من أمسياتٍ بعيدةٍ

وهمساً كأصداً نبعَ تحدرَ في عمقِ كهفٍ
يؤكد أنَّ الغلامَ وقصَّتَهُ حُلُمُ صيفٍ

١٩٥٢

أغنية للحياة

إذا سألوا في غد عن هَوَانَا
وراح يُجِيبُهُمُ الْعَابِرُونَ
وَذُقْنَا الْهَوَى وَالْمُنَى وَالْعَذَابَ
وعَفَّتْ عَلَى أَثَرَيْنَا الرِّيحُ
ونحنُ تُرَابٌ مع الذَّكَرِيَّاتِ
بأنَّا مَرَرْنَا بِهِذَى الْحَيَاةِ
كأَسْلَافِنَا ثُمَّ عُدْنَا رُقَاتِ
وعُدْنَا ضَبَاباً تَلَاشِي وَمَاتِ

وقال لهم قائل: إِنَّا
وإنَّ ابْتِسَامَاتِنَا كَنَ لَوْنًا
وإنَّا دَفَعْنَا أَنَا شَيْبَدَنَا
وكُنَّا كَمَنْ قَبْلَنَا غُرَبَاءَ
شربنا الأُسَى في ثَنَايَا الْكُؤُوسِ
يَغْلَفُ شَيْئاً طَوْتُهُ النُّفُوسُ
وَأَخْلَامُنَا لِلرَّجَاءِ الْعَبُوسِ
على الأَرْضِ ثُمَّ طَوْتُنَا الرَّمُوسُ

فمن سوف يُخْبِرُهُم أَنَّا
وَأَنَا مَلَكْنَا ضِيَاءَ النُّجُومِ
وَكَانَتْ لَنَا مِنْ خُدُودِ النَّسِيمِ
وَأَنَا تَرَكْنَا حِكَايَاتِنَا
شربنا العذوبة حتى سَكِرْنَا
ودجلةَ والفَجْرَ فِيمَا مَلَكْنَا
وسَائِدُ تَسْنَدُنَا إِنْ كَلَلْنَا
وأخْبَارُنَا لِلرِّيَّاحِ وَنَمْنَا

وَأَنَا عَرَفْنَا الْحَيَاةَ ارْتِعَاشاً
عَرَفْنَا الْغُرَامَ الرَّقِيقَ الْجَبِينِ
وَكَمْ مَرَّةً قَدْ ضَمَمْنَا السَّعَادَ
وَذُقْنَا حَيْنَ الْجَمَالِ اللَّذِيذِ

وَكُنَّا لَنَا قَطَرَاتُ النَّدى
وَكُنَّا النَّسِيمُ شَفَاهَا تَمْرٌ
وَكُنَّا نَحِبُ الشَّدَى وَالنَّخِيلَ
وَإِنْ جَرَحْنَا أَكْفَ الْحَيَاةِ

وَكُنَّا الْوَجُودُ سَخِيَّ الْيَدَيْنِ
وَلَفْ خِيَالَاتِنَا بِالْعَبِيرِ
وَرَوَى صَدَانَا بِخَمْرِ الْكُرُومِ
وَتَوَجَّجْنَا بَغْصُونِ الْبَنْفَسِ

وَكُنَّا لَهُ بِأَنَاشِيدِنَا
وَمَنْ أَجَلُهُ قَدْ هَوِينَا الْحَيَاةَ
وَهَا نَحْنُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ ثَرَاهُ
يَعِشُّشُ فِي تَرْبَتَيْنَا الْجَمَالِ

وَنَبْضاً وَأَغْنِيَةً خَالِدَةً
وَذُقْنَا لَيْسَالِيَهُ السَّاهِدَةَ
فِي هَذِهِ الْأَذْرُعِ الْهَامِدَةِ
وَمَلَحَ مَدَامِعُنَا الْبَارِدَةَ

وَمُنَزَّلَقُ الضَّوْءِ كُلِّ صَبَاحٍ
تَقْبَلُ مَا جَرَحَتْهُ الرِّيحُ
وَأَفَاقُنَا وَالسُّهُولَ الْفَسَاحَ
سَكَبْنَا الرِّضَى فِي شَفَاهِ الْجِرَاحِ

فَأَعْطَى هَوَانَا ضِيَاءَ الْقَمَرِ
وَمَدَّ عَلَيْنَا ظِلَالَ الشَّجَرِ
وَطَهَّرَ أَفْكَارَنَا بِالْمَطَرِ
حَجَّ وَالزَّبَقِ الْمُخْتَمَلَى الْعَطَرِ

وَأَشْوَاقُنَا الْمَرَحَاتِ الْوُضَاءِ
وَمَنْ أَجَلُهُ قَدْ عَشَقْنَا الْفَنَاءَ
نَشِيدَيْنِ لَا يَعْرِفَانِ انْتِهَاءَ
فِيَا جَهْلَ مَنْ ظَنَّنَا أَشْقِيَاءَ

نحية للجمهورية العراقية

«نظمت هذه القصيدة نحية لثورة ١٤ تموز سنة

١٩٥٨»

فَرَحُ الأَيْتَامِ بِضَمَّةٍ حَبٌّ أَبْوِيهِ
فَرَحُهُ عَطْشَانٌ ذَاقَ المَاءَ
فَرَحُهُ تَمَوَّزَ بِلَمْسِ نَسَائِمِ ثُلُجِيهِ
فَرَحُ الظُّلُمَاتِ بِبَيْعِ ضِيَاءِ
فَرَحُنَا بِالْجُمْهُورِيَّةِ

جُمْهُورِيَّتُنَا، نَلْفِظُهَا بِهَوًى وَخُشُوعٍ
نَهْمِسُهَا، نَغْمُرُهَا قُبْلًا وَلَهًى حَرًى
نَلْمُسُ أَحْرَفُهَا بِشِفَاءِ بَقِيَّتِ دَهْرَا
تَعْطَشُ، تَأْرَقُ، تَغْرَى، وَتَجْوَعُ
جُمْهُورِيَّتُنَا، فَرَحُنَا، يَا حَرَقَةَ أَشْوَاقٍ وَحَنِينٍ
نَحْنُ عَطْشُنَا لَكَ أَعْوَامَا
جُعْنَا وَسَهَرْنَا، غَذَيْنَاهَا أَحْلَامَا
وَالآنَ مَلَكْنَاهَا دَفْقَةَ ضَوْءٍ وَيَقِينٍ

جمهوريتنا، طفلتنا الجذلى العينين
مولودتنا السمراء الباسمة الشفتين
سنوسدها فى أذرعنا وماقينا
سنغذيها بأغانينا
نحن ترقبناها زمناً من دون كلال
ورصدنا الأفق، بحثنا ملء رواينا
وحصدنا الشوك، حصدنا حقد أعاديننا
وأقمنا مهذاً من حبٍّ وشذى وظلال
كم حفّ به كيدُ الأعداء
وسقطنا حول قوائمه الولهى شهداءُ

جمهوريتنا دفقةٌ خير مسكوبه
تقطرُ إيماناً وعُروبه
جمهوريتنا ضوءٌ، عطرٌ، وعذوبه
تقطرُ من أحرفها الطيبه
كانت حلماً ضاع إلى زرقته البابُ
كانت أشواقاً مشبوبه
يحجبها غيمٌ وضبابٌ
وأخيراً نحنُ لمسناها
بأكفٍ راعشه فرحاً وملكناها

جمهوريتنا وردتنا النشوى العطره
أهداها تموز الطيب
أعطاها لرؤانا، لرَبانا المنتظره،
للوادي العطشان المجدب
وردتنا البيضاء الغضه
تغمرنا ثلجاً في تموز وحرية
تُعطينا عطراً وسلاماً ورؤى بضه
تبعثنا أغنية حيه
تحيا تحيا الجمهوريه

جمهوريتنا وردتنا الروحيه يَحْمِيها الله
كانت حلماء، كانت رؤيا
والآن غدت أغلى ما نملك في الدنيا
وأحب، أعز، أرق الورد وأحلاه

في أضلعنا يا وردتنا الجمهوريه
في أعيننا نامى فلفصوص الورد كثار
أعداء العطر العابق، تجار الأزهار
أيقظ عطرُك فيهم أشواقاً ذئبيه
السوق صحاً يا ورد حذار

من نَقْمَتِهِ الصَّهْيُونِيَّةِ
ومُخَالَفِهِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

جُمْهُورِيَّتُنَا، وَرَدَّتُنَا، لَنْ نُعْطِيهَا
إِنَّا قَدْ ذُقْنَا سُكَّرَهَا بَعْدَ الْحَرَمَانِ
هَلْ نُسَلِّمُهَا لِلصَّالِحِينَ الْآنَ؟
جُمْهُورِيَّتُنَا مِنْ دَمِنَا سَنُغْذِّيهَا
نَحْنُ لَهَا إِيْمَانٌ يُعْطَى وَيَدٌ تُنْجِدُ
جُمْهُورِيَّتُنَا عَشْتِ، سَلِمْتَ مِنَ الطُّغْيَانِ
إِنَّا وَالْبَعْثَ عَلَى مَوْعِدٍ

طريق حبي

طريقى إليك يَمُرُّ بأودية لا تَبِينُ
مَغِيبةً فى ضبابِ التَمَنَّى وعِطرِ الحنينِ
وَيُسَدِّلُ فوق ذُرَاها القَصِيَّةَ سِتْرَ ضَنِينِ
يَلْمَلِمُ أسرارَ أَصْقاعِها عن عيونِ السَّيْنِ

طريقى إليك، وأىُّ طريقٍ مُشِيرٍ غَرِيبٍ
قُورَى سَرِبَلَتِها الظُّنونُ ومَدُّ فضاءٍ مُرِيبٍ
وتأوى الشُّكوكُ إليها، ويسكنُ لغزٌ عَجِيبٌ
وتصرخُ أسئلتي فى رُبَّاهَا، وما من مُجِيبٍ

وكم مُدُنٌ لا تُفسَّرُ كم قريةٍ مُضْنِيه
ينامُ التناقُضُ فيها ويفترشُ الأودية
فمن فَرَحٍ يَتَنَهَّدُ حُزْناً، ومن أغْنِيه
تُذِيعُ سُكوناً طويلاً، ومن ذِكْرِ مُنْسِيه

وكم من صحار يعيشُ التعطُّشُ في رملها
رَوَيْتُ تعطَّشَها بدموعي، ومن أجلها
جمعتُ الندى قطرةً قطرةً وعلى محلها
صَبَبْتُ دُمائِي ومثلي يَفْنَى على مثلها

طريقُ هوايَ هضابُ غُموضٍ وأرضُ ظلالٍ
وبيدُ تَطِيلُ التَمَنِّي وتطلبُ ما لا يَنَالُ
هنالك أنهارُ أسئلةٍ وجبالُ مُحالٍ
وترسو الليالي شهوراً وينسى المسيرَ الهلالُ

وبين المحالين: بين وصولي وبين رجوعي
تمرُّ رياحٌ تبلِّلُها قَطَرَاتُ دُمُوعِي
وأسهرُ أجهدُ، أحفر في لهفةٍ وخُشوعٍ
لعلِّي أشفُقُ طريقاً لحبي بين ضلُوعي

(١٩٦٠)

خميس أغان للألم

-١-

مُهْدَى لِيَالِينَا الْأَسَى وَالْحُرْقُ
سَاقِي مَاقِينَا كُؤُوسَ الْأَرْقُ

نَحْنُ وَجَدْنَاهُ عَلَى دَرْبِنَا
ذَاتَ صَبَاحٍ مَطِيرٍ
وَنَحْنُ أَعْطَيْنَاهُ مِنْ حُبِّنَا
رَبَّةَ إِشْفَاقٍ وَرَكْنًا صَغِيرٍ
يَنْبِضُ فِي قَلْبِنَا

فَلَمْ يَعُدْ يَتْرَكُنَا أَوْ يَغِيبُ
عَنْ دَرْبِنَا مَرَّةً
يَتْبَعُنَا مَلَأَ الْوُجُودَ الرَّحِيبُ
يَا لَيْتَنَا لَمْ نَسْقِهِ قَطْرَهُ
ذَاكَ الصَّبَاحَ الْكَثِيبُ

مُهْدَى لِيَالِينَا الْأَسَى وَالْحُرْقُ
سَاقِي مَاقِينَا كُؤُوسَ الْأَرْقُ

من أين يأتينا الألم
من أين يأتينا؟
أخى رؤانا من قدم
ورعى قوافينا

أمس اصطحبناه إلى لجج المياه
وهناك كسرناه بددناه في موج البحيرة
لم نبق منه آهة لم نبق عبره
ولقد حسبنا أننا عدنا بمنجى من أذاه
ما عاد يلقى الحزن في بسماتنا
أو يخبي الغصص المريرة خلف أغنياتنا

ثم استلمنا وردة حمراء دافئة العبير
أحبابنا بعثوا بها عبر البحار
ماذا توقعناه فيها؟ غبطة ورضى قرير
لكنها انتفضت وسالت أدمعاً عطشى حرار
وسقت أصابعنا الحزينات النغم
إننا نحبك يا ألم

من أين يأتينا الألم؟

من أين يأتينا؟

أخي رؤانا من قدم

ورعى قوافينا

إننا له عطشٌ وفمٌ

يحيا ويسقينا

-٣-

أليس في إمكاننا أن نغلب الألم؟

نرجئه إلى صباح قادم؟ أو أمسيه

نشغله؟ نقتعه بلعبة؟ بأغنيه؟

بقصة قديمة منسية النغم؟

ومن عساه أن يكون ذلك الألم؟

طفل صغير ناعم مستقيم العيون

تسكتسه تهويده وربته حنون

وإن تبسّمنا وغنينا له ينم

يا أصبعاً أهدي لنا الدموع والندم

من غيره أغلق في وجه أسانا قلبه

ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبَّه
ومن سواهُ وزعَ الجراحَ وابتسم؟

هذا الصغيرُ... إنه أبرأ من ظلم
عدونا المحبِّ أو صديقنا اللدود
يا طعنةً تريد أن نمنحها خُدود
دون اختلاجٍ عاتبٍ ودونما ألم

يا طفلنا الصغيرَ سامحنا يداً وفم
تحفرُ في عيوننا معابراً للأدمع
وتستثيرُ جرحنا في موضعٍ وموضع
إنّا غفرنا الذنبَ والإيذاء من قدم

-٤-

كيف ننسى الألم
كيف ننساهُ؟
من يضيءُ لنا
ليلَ ذكراهُ؟

سوف نشرُّبه سوف نأكله
وسنقفو شرود خطاه
وإذا نمنا كان هيكله
هو آخر شيء نراه

وملامحه هي أول ما
سوف نبصره في الصباح
وسنحملة معنا حيثما
حملتنا المتى والجراح

سنبيح له أن يُقيم السدود
بين أشواقنا والقمر
بين حرقتنا وغدير برود
بين أعيننا والنظر
وسنسمح أن ينشر البلوى
والأسى في مآقينا
وستؤويه في ثنية نشوى
من ضلوع أغانيها

وأخيراً ستجرفهُ الوديانُ
ويوسدُهُ الصَّيْبُ
وسيهبطُ وادينا النسيان
يا أسانا، مساء الخير!

سوف تنسى الألم
سوف تنساهُ
إننا بالرضى
قد سقيناهُ

- ٥ -

نحن توجناكَ فى تهويمه الفجر إلها
وعلى مذبحك الفضى مرغنا الجبها
يا هوانا يا أَلَم
ومن الكتان والسمنسم أحرقنا بخورا
ثم قدّمنا القرايين ورتلنا سطورا
بابلِيَّاتِ النغم

نحنُ شَيْدنا لك المعبدَ جُدراناً شذيه
ورششنا أرضه بالزيت والخمر النقيه

والدمسوع المُحْرِقُـهُ
نحن أشعلنا لك النيرانَ من سَعَفِ النخيلِ
وأسانا وهشيم القمح في ليلٍ طويلِ
بشفاهٍ مُطَبَّقَـهُ

نحن رَتَّلْنَا ونادَيْنَا وقَدَّمْنَا النذورَ:
بَلَحٌ من بابلِ السَّكْرَى وخُبِزٌ وخمورُ
وورودٌ فَـحَرَّحَـهُ
ثمَّ صَلَّيْنَا لعَيْنيك وقَرَّبْنَا ضَحِيَّـهُ
وجَمَعْنَا قَطَرَاتِ الأدمعِ الحَرَّى السَّخِيَّـهُ
وصَنَعْنَا مَسَبَّحَـهُ

أنتَ يَا مَنْ كَفُّهُ أعطتَ لحونا وأغاني
يا دمسوعاً تمنحُ الحكمةَ، يا نَبْعَ معانٍ
يا ثَرَاءً وخُصْصَـوِيَّـهُ
يا حناناً قاسياً يا نَقْمَةً تقطرُ رَحْمَـهُ
نحنُ خَبَّأْنَاكَ في أحلامنا في كلِّ نَقْمَـهُ
من أغانينا الكَثِيبَـهُ

(١٩٥٧)

أغنية للأطلال العربية

ووادى الغمار وبرقة ثممذ
واقفر من أهله وتبدد
وما زال متبع عطر وعسجد
يعيش الخلود بجفن مسهد

سرحن قديماً وتلك الطلون
ويلبت منها شذى لا يزول
يظل يبرعم مثل الفصول
رى القيس يدفع عنها الذبول

مُعطرة بأريج القدم
قديمأ سوى قبلات الديم
ج؟ أين الحذاء؟ وأين الخسيم؟
أناشيدُها وزواها العدم

من الجزع من قلب سقط اللوى
ومن ربيع نعم عفتنه الرياح
ومن طلل في الجزيرة أقوى
تعال هتافات ماض عريق

وتلك المربع حيث الأطباء
منازل يعرب يفنى الوجود
وشعر ند عربى القوافى
إذا درست دمنة هب ألف أم

تناديك يا عربى رمال
ديار العروبة ما لامستها
وقفت بها اليوم: أين الهواد
ترحل فرسانها وانطوت

وتستعجم الدارُ يا عربى
فإن تبك، تستبك جذرائها
مسارح أرامها دنسها
وأرض تزار وبكر ووائـ

ويصعدُ في الليل همسٌ كئيبٌ
تغلّفه كبرياءُ الطلول
ويثقله رجعُ خطو القواف
متى يا زمانُ تعودُ الحياةُ

فيا عربى أصخ لنداءٍ
وقف حاسراً تحت ضوء النجوم
وقلْ يا رمال الجزيرة يا لَحْد
غداً ستعودُ إليك الحياةُ

وتُغرقُ في صمتها لا تُجيبُ
يردُّ عليك السكونُ الرهيبُ
خطى الوافد الأجنبى المريبُ
لِخطوا على رملها تلُ أبيبُ

تردده الدمنُ الماحله
وعِزةُ أحجارها الذابله
لِفى رمل تلك الربى القاحله
إلينا وتنطلق القوافله؟

تحدّر من رخبية الأبدية
على ربّع تلك الطلول الأبيّـه
من ملحمة العرب الأزليّـه
تعود مع الوحدة العربيّـه

(١٩٦٣)

مشغول فى آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو
ويبسمُ فى المَدَى ليلٌ ندٍ أو ينتشى صُبْحُ
سواءُ ذاكَ أو هذا، حبيبي، أنت مشغولُ
سُدَى منى أوتارُ تصلى وتراتيلُ
على مكتبك البارد تنكبُ بلا أحلامُ
وتسرقُ روحك الأرقامُ
وعند رتاجك المسدود تتردّ المواويلُ
وقد أضحك، قد أبكى، وأسهرُ فى الدُّجى
وأنامُ
سواءٌ... أنت مشغولُ
بأوراقك، والحبُّ على المكتب مقتولُ،
ألا فلتسقطِ الأوراقُ والأقلامُ

وآذارُ الندى وأنا... وراءَ البابِ
نرُشُ جبينك الجدِّي بالأطيابِ
نُرَقِّقُ فى دواةِ الحبرِ بعضَ تحرقِ الموجِ
ونُنَجِّى خَشَبَ المكتبِ من بردٍ ومن ثلجِ

ونُهِدِيكَ النَّدَى والعِطْرَ كَأْسَ شَرَابٍ
حَبِيبِي فَافْتَحِ الأبْوَابُ
أَنَا والقَمَرُ المُشْتَاقُ جُتْنَا نَطْرُقُ الشُّبَّاكَ
عَبَرْنَا الصَّخْرَ والأَشْوَكَ
وودِيَانَا مِنَ الآهَاتِ والأَوْصَابِ
أَتَيْنَاهَا هُنَا لِنَرَاكَ
حَبِيبِي فَافْتَحِ الشُّبَّاكَ

وَيَمْضِي الْوَقْتُ والأَبْوَابُ تَرْفُضُنَا
حَبِيبِي الْمُرْهَقَ الْمُشْغُولَ افْتَحْهَا فَتَحْنُ هُنَا
أَنَا وَالشَّمْسُ نَحْمِلُ سُمْرَةَ النَّهْرِ
وَأَكْوَاباً مِنَ الْعِطْرِ
وَحُزْمَةً أَنْجَمٍ وَسَنَا
حَبِيبِي فَافْتَحِ الأبْوَابَ، نَحْنُ هُنَا
جَمِيعاً:

أَنْتَ، آذَارُ، وَفَرَحَةُ حَبْنَا، وَأَنَا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

«ترجمة تصرف للقصيد المعنونة:

It's not Going To Happen Again

للشاعر الإنكليزي روبرت بروك»

أجلُ أنا أشبعتُ روحي وغذيتُ هذى الشفاهُ
وأشربتُ قلبيَ حتى سكرُ
أجلُ أنا أعطيتُ أئمنَ ما منحتهُ الحياةُ
كؤوسَ الهوى البلسميَّ العطرُ
وكم قد سكرتُ بأفراحها وبلغتُ الذرى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره
ولكنها ستكونُ الأخيرةُ يا صاحبي
ولكنها ستكونُ الأخيره

وتعرفُ هذا بُشينةُ في دركاتِ الجحيمِ
ويذكرُك توبهٌ وجميلُ
وكم غمغمتهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتِ رخيمِ
وواست به حزنُ ليلي الطويلِ
وكم ردّدته شفاهُ كثيرَ في نشوةٍ

لعزّة وهي تموتُ كسيره
ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ يا حلوتى
ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ

وردة لعبد السلام

» نظمت الشاعرة هذه الأغنية في مساء اليوم الذي أعلن فيه

اعتقال السيد عبدالسلام عارف بتهمة التآمر سنة ١٩٥٨.

رَبِّبْنَا وَظْلَامُ
أَيْنَ عَبْدُ السَّلَامِ؟

في جداولنا في شفاه رواينا
وسؤالُ تحرقُ ملءَ أغانينا:

صَوْتُهَا مُحْزُونُ
فِي ظِلَامِ السُّجُونِ؟

والعروبةُ تسألُ: أينَ أضغاثُ؟
هل نقولُ لها إنا قد رَمِينَاهُ

أَيَّ ذَنْبٍ جَنَنَاهُ؟
عَرَبِيَّ الشَّفَاهُ؟

ولماذا سنسجتهُ؟ يسألُ الرافدانُ
هل نقولُ لها إنه يا شواطئ كانُ

بِذَمِ النُّزْرِ
خَجَلًا وَاحْمَرَارُ

نبأ أنحرتهُ أنروجُ أخسبَ
وسيلبتُ فوقَ خدودِ العروبه

حَافَةَ الكَأْسِ
مَطْلَعُ الشَّمْسِ؟

والملايينُ ترقُبُ في حرقةٍ وانفعالِ
صوتُها رنَّ يُلْقِي السُّؤَالَ مَتَى يَا جَمَالَ

والملايينُ تحملُ في يدها وردُّ
يا نصيرَ العروبةِ والحقِّ والوَحدِ
لكَ عبيدَ السَّلامِ
يا عدوَّ الظَّلامِ

(١٩٥٨)

أغنية للقمر

أم جدولٌ سائلٌ من الصَّدَفِ؟
خُدود ليلٍ مُعَطَّر السُّدُفِ؟
يقطُرُ شَهِدًا لكلِّ مُغْتَرِفِ؟
يَنعَسُ فوق الأعشابِ والسَّعَفِ؟
يا لونَ حُبِّي القديمِ يا شَغَفِي

كواكباً في الظلامِ مُنصَهَرِه؟
شَهِدًا مُصَفَّى في ليلةِ عَطَرِه
من زنبقٍ في السماءِ مُنَعَصِرِه
تَمسَحُ وجهَ العرائشِ النَّضِرِه
سَلَّةَ فُلٍّ في الأفقِ منحدرِه

عَبْرَ بحارِ الأحلامِ والكَسَلِ
يفسِّرُشُ دَرْبَ الغرامِ بالأملِ
ما أَرَقَّتْهُ الأشواقُ من مُقَلِّ
يا كَسوبَ نومٍ مَسْخَدَرِ ثَمَلِ
مُبَغْثَرِ الأغنياتِ والقُبَلِ

كَأَسٍ حَلِيبٍ مِثْلَجٍ تَرِفِ
أَمْ غَسَقٌ أبيضٌ يَسِيلُ على
أَمْ حُقَّ عَطَرِ ملوْنٍ خَضِلِ
أَمْ أَنْتَ خَدُّ مُزْنَبِقٍ أَرَجِ
يا فَضَّةً كالضياءِ لَيْثَةٍ

ما أَنْتَ يا دُورِقَ الضياءِ ويا
يا قُبلاً سَوَسِيَّةً سَكَبَتْ
يا مَخْبأً للجمالِ يا حُزماً
ويا شِفاهاً من الضياءِ دَنَتْ
يا بركةَ العِطَرِ والنَّعومةِ يا

يا زورِقَ العاشقينِ تَحْمِلُهُمْ
على جَنَاحٍ مَرِيشٍ يَقْظِ
يا منبَعاً يَسْكُبُ النُّعاسَ على
يا ساقِي الأعينِ الرِّقاقِ رَوَى
يا إصْبَعاً يَلْمُسُ الجراحَ ويا

جزيرة في الدجى معلقة
طافية فوق جدول عبق
تجمد الضوء عند شاطئها
يا توبة القبح يا شرع هوى
يا ندم الليل والظلام ويا

فجيرة اللون والتباشير
مكوكب الشاطئين مسحور
مهده حرير وكنز بلور
ملون ناعم الأسرار
كفارة الغيم والأعاصير

أذب شظايا أشعة ورؤى
وانفض جناحك في الفضاء يسلى
لولاك لم ترقص الظلال ولم
غزلت أحلامنا وأرضعنا
يا كوة الفجر في دجى تعب

في الليل واغمر سطوحنا فضة
لون جناح الفراشة الغضة
تبرد كؤوس الزنايق البضة
ضياؤك العذب ومضة ومضة
يا مطعم الياسمين في الروضة

البث كما أنت عالماً عجزت
يا ناسج الشعر يا بقيته
أى نشيد لم ينبجس عسلاً
أنت منحت الغناء لذته
فابق وراء الحياة أخيلة

أرواحنا أن تعي خفاياه
فى عالم أظلمت مراهيه
وأنت تفسر فى ثناياه
يا نبضة الوزن فى حناياه
الشعر فيها والحب والله

(١٩٥٢)

ثلجٌ ونار

تَسْأَلُ مَاذَا أَقْصَدُ؟ لَا، دَعْنِي، لَا تَسْأَلُ
لَا تَطْرُقُ بَوَابَةَ هَذَا الرُّكْنِ الْمُقْبَلِ
اتركني يحجبُ أسرارِي سِتْرٌ مُسَدَّلٌ
إِنَّ وَرَاءَ الْأَسْتَارِ وَرُوداً قَدْ تُذْبِلُ

إِن أَنَا كَاشَفْتُكَ، إِن عَرَيْتُ رُؤْيَ حَبِي
وَزَوَايَا حَافِلَةٍ بِاللَهْفَةِ فِي قَلْبِي
فَسْتَغْضِبُ مِنِّي، سَوْفَ تَشُورُ عَلَى ذَنْبِي
وَسَيَنْبُتُ تَأْنِيْبُكَ أَشْوَاكاً فِي دَرْبِي

وَإِذَا مَا رُحْتَ تَوْنِيْنِي، هَلْ أُنْسَحِبُ؟
هَلْ يَقْبَلُ ثَلَجَ عَتَابِكَ قَلْبِي الْمَلْتَهَبُ؟
أَتَرَى أَتَقْبَلُ؟ لَا أَغْضَبُ؟ لَا أَضْطَرُّ؟
لَا! بَلْ سَأُثَوِّرُ عَلَيْكَ... سَيَأْكُلُنِي الْغَضَبُ

وَإِذَا أَنَا ثَرْتُ عَلَيْكَ وَعَكَّرتُ الْأَجْوَاءُ
بِمَرَارَةِ لَفْظٍ جَافٍ أَوْ حَرْفٍ مُسْتَنَاءٍ

فستغضبُ أنتَ وتنهَضُ في صمتٍ وجَفَاءَ
وستذهبُ يا آدمُ لا تسألُ عن حوَاءَ

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشوقا
عصفوراً عطشاناً لا يحلمُ أن يُسقى
وليالي لا تعرفُ لا فجراً لا شروقاً
وإذا ما أنتَ ذهبتَ... فماذا يتبقى؟

لا، لا تسأل... دعني صامتةً منطويةً
اترك أخباري وأنا شيدى حيثُ هي
اتركني أسئلةً وردوداً منزويةً
ووروداً تبقى تحت ثلوجك منحنية

يا آدمُ لا تسأل.. حوأك مطوية
في زاوية من قلبك حيرى منسيه
ذلك ما شاءته أقدارُ مقضيه
آدم مثل الثلج، وحواءُ ناريه

أغنية حب للكلمات

فيم نخشى الكلماتُ
وهي أحياناً أكْفُ من ورودِ
بارداتِ العطرِ مرّتْ عذبةً فوقِ حدودِ
وهي أحياناً كؤوسٌ من رحيقِ مُنعشِ
رَشَفَتِها، ذاتِ صيفٍ، شَفَّةٌ في عطشِ

فيم نخشى الكلماتُ
إنّ منها كلماتٌ هي أجراسٌ خفيةٌ
رَجَعُها يُعلنُ من أعمارنا المتفعلاتِ
فترةٌ مسحورةُ الفجرِ سَخِيّةُ
قَطَرَتْ حسّاً وحبّاً وحياةُ
فلماذا نحنُ نخشى الكلماتُ؟

نحنُ لُذْنَا بالسكونِ
وصممتنا، لم نشأ أن تكشف السرَّ الشفاهُ
وحسبنا أنّ في الألفاظِ غولاً لا نراهُ
قابِعاً تُخبِئُهُ الأحرفُ عن سَمْعِ القرونِ

نحنُ كبَلْنَا الحُرُوفَ الظَامَّةَ
لم نَدَعْهَا تفرشُ الليلَ لنا
مِسْنَدًا يَقْطُرُ موسيقىً وعِطراً ومُنَى
وكؤوساً دافئة

فيم نخشى الكلمات؟
إنَّ منها كلماتٌ مُخْمَلِيَّاتُ العُدُوبَةِ
قَبَسَتْ أَحْرَفُهَا دَفْءَ المُنَى من شَفَتَيْنِ
إنَّ منها أُخْرًا جَذَلَى طَرُوبِهِ
عَبَّرَتْ وَرْدِيَّةَ الأفراحِ سَكْرَى المُقْلَتَيْنِ
كَلِمَاتٌ شَاعِرِيَّاتٌ، طَرِيَّة
أَقْبَلَتْ تَلْمَسُ خَدَيْنَا، حُرُوفٌ
نَامَ فِي أَصْدَائِهَا لَوْنٌ غَنِيٌّ وَحَفِيفٌ
وَحِمَاسَاتٌ وَأَشْوَاقٌ خَفِيَّة

فيم نخشى الكلمات؟
إن تَكُنْ أَشْوَاقُهَا بِالْأَمْسِ يَوْمًا جَرَحَتْنا
فَلَقَدْ لَقَّتْ ذِرَاعِيَّهَا عَلَى أَعْنَاقِنَا
وَأَرَاقَتْ عِطْرَهَا الحُلُوءَ عَلَى أَشْوَاقِنَا

إن تكن أحرفها قد وخرتتنا
ولوت أعناقها عنا ولم تعطف علينا
فلكم أبقت وعوداً في يدينا
وغداً تغمرنا عطراً وورداً وحياة
آه فاملاً كأستينا كلمات

في غد نبني لنا عرشاً رؤى من كلمات
سامقاً يعترش اللبلاب في أحرفه
سنذيب الشجر في زخرفه
وسنروي زهره بالكلمات
وسنبني شرفة للعطر والورد الخجول
ولها أعمدة من كلمات
وممراً بارداً يسبح في ظل ظليل
حرسه الكلمات

عمرنا نحن نذرناه صلاة
فلمن سوف نصليها... لغير الكلمات؟

(١٩٥٤)

ثلاث أغنيات عربية

-١-

الساعة

«لقد دقت ساعة العمل الثورى»

[جمال عبد الناصر]

دَقَّت الساعة فى أرض بلادى العربيه
جلجلت، ضجّت، ودوّت ملء وديان قصيه
غلغلت عبر بساتين النخيل العنبريه
وتلوّت فى صحارٍ رَسَخَتْ كالأبدية

دَقَّت الساعة واهتزّت لها سُمُرُ الصحارى
وارتوت بيدٌ عطاشٌ لانبلاجٍ، لانفجارٍ
ورمالٌ لم تزل منذ عصورٍ فى انتظارٍ
فتحت أذرعها العطشى وألوت بالإسارِ

إنّه الفجرُ فهبّى يا ملايينٌ وموجى
احملى أغنية الصّحّو إلى خُضر المروجِ
ووعوداً مورقات عربيات الأريجِ
نبضت بين المحيط المترامى والخليجِ

اثنتا عشرة من دقاتها هزّت ربّانا
أيقظت تاريخنا القوميّ في قعر دمانا
غلغلت عبر صحارينا النشّاويّ وقرانا
وسمعتها تنادي وأفقنا من كرانا

الصوص

غُرقتُ في مَدَى غِيهِبِهِ	إِنَّهُ اللَّيْلُ كُلُّ الْحُدُودِ
أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ انْتَبِهْ	بِدِيَا جِيهِ لَفِّ الْوُجُودِ
زَخَرْتُ بِخُطَى الْأَعْدَاءِ	رَحَبَاتُ الْمَدَى النَّائِيَاتِ
وَالْخَلِيجِ إِلَى صَنْعَاءِ	مِنْ وَرَاءِ ضَفَافِ الْفِرَاتِ
كَلَّهْمَ جَشَعٍ وَخُدَاعِ	وَلِصْوَصٍ هُنَاكَ كَثَارِ
يَسْرِقُونَ طَعَامَ الْجِيَاعِ	أَقْبِلُوا مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ
يَسْرِقُونَ أَلْجَنَى وَالتَّمُورَ	نَزَلُوا أَرْضَكَ السَّمَرَاءِ
يَخْطَفُونَ النَّدَى وَالنُّورَ	يَأْخُذُونَ الثَّرَى وَالْهَوَاءِ
خَضِرَةَ الشَّجَرِ الْمُبْتَسِمِ	يَسْلُبُونَكَ لَوْ يَقْدِرُونَ
يَمْنَعُونَ الْكَرَى وَالْحُلُمَ	يَخْنَقُونَ الْأَغْنَى الْخَنُونَ
وَيُسُدُّونَ كُلَّ سَبِيلِ	إِنَّهُمْ يَقْطَعُونَ الطُّرُقَ
أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ النَّبِيلِ	فَاسْتَفِقْ مِنْ كَرَاكَ اسْتَفِقْ

النسر المطعون

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهى
حيثُ الينابيعُ وكاساتها
وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا
هناكَ ألقى طائرٌ ظلهُ
حيثُ الصحارى المحرّقات الرّمالُ
تقطرُ شهداً وتغذى التلالُ
تشدو بها شفاءُ ريح الشمالُ
ضخماً، إلهياً تحدى المحالُ

جنّحاهُ مبسوطانِ فوق المدى
فى كبرياء الريش تحيا ذرى
أقام فوق الأرض لا يرتقى
واللانهـاياتُ تنادى وفى
من الخليج للمحيط السحيقُ
وأعصرُ يقظى ومجدٌ عريقُ
نحو الأعالي فى الفضاء الطليقُ
ندائها همسُ الخلود العميقُ

فى قلبه النابض قد أغمدوا
من صدره الحرّ يغذى الثرى
يا رمح إسرائيل مهما ارتوى
يبقى ثرّانا عربى الشذى
رمحاً غليظاً الخدّ خشن الشّفاء
والوردُ يستنبئهُ من دماء
من جنّحه من روحه من مناه
والضوء، يبقى عربى المياه

يافا وحيفا في غد نلتقى
تبقى فلسطين لنا نعمة
ونسرنا الشامخ لن يتثنى
غداً فلسطين لنا كلها

فنحن والضوء على موعده
قدسية على فم المنشيد
أمام باب الزمن الموصد
كأن إسرائيل لم توجد

خصام

زمانُ الصَّفَاءِ مَضَى وتَلَا شَىْءٌ مَعَ الذِّكْرِيَّاتِ
وَهَا نَحْنُ مُخْتَصِمَانِ
وَجَاءَ زَمَانُ الصِّرَاحِ فَلَا لَطْفَ لَا بَسَمَاتِ
وَلَا دَفْقَةَ مِنْ حَنَانِ

وَهَا نَحْنُ مُخْتَصِمَانِ دَفْنَا الْوِثَامَ
وَرَاءَ التَّوَتَّرِ فِي قَعْرِ الْفَاطِنَا الْبَارِدِ
وَلَمْ نُبْقِ كَأْساً وَلَا مِنْهَلاً لِلْغَرَامِ
وَلَمْ نُبْقِ عَشّاً لِأَحْلَامِنَا السَّاهِدِ

وَهَا نَحْنُ نَكْشِفُ عَمَّا انْطَوَى
بِأَعْمَاقِ أَنْفُسِنَا مِنْ عَيُوبٍ جَمِيلَةٍ
وَيُذَكِّرُ كُلَّ بَأْسٍ الْهُوَى
طَوَى مَا طَوَى مِنْ مَعَايِنَا الْمُتَرَفَاتِ الْأَصْلِيَّةِ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُحَاسِنُنَا الْفَجَّةُ الْمُسْتَحِيلَةُ

وها نحن نعرف أبعادنا الشاسعة
وما امتدّ في عمقها من خُشونه
وكيف ملكنا عُيوباً منوعةً رائعةً
تُخبّي أوجُهِها خلف ستر الرضى والليوذة
وخلف الوداعة خلف السكينة

وفي لحظات الصفاء لمسنا شذانا الرصينا
وذُقنا محاسننا السَمحة المتعمه
وذاك الطلاء الذي لف أعماقنا المبهمة
وغطى حماقة والضعف فينا

وفي لحظات الحنين هَوينا
بساطتنا وعشقنا العذوبه
وها نحن نعشق ما تَخْلُقُ الآدمية فينا
ونلمس أعماقنا الشاسعات الرهيبة
وما في حماقتنا من جمالٍ شذٍ وخصوبة

وكنّا عَشَقْنَا انبثاق الحرارة في مُقْلَتَيْنَا
فَدَعْنَا نُحِبُّ النُّضُوبَ
وكنّا هَوَيْنَا التورّدَ والشعرَ في شَفَتَيْنَا
فَلَمْ لَا نُحِبُّ الشُّحُوبَ
وَلَمْ لَا نَخْلَفُ رُكْنًا من المَقْتِ بين يَدَيْنَا؟
وكنّا عَقَدْنَا الصداقةَ بين المحاسنِ فينا
فَدَعْنَا نُقِمُّ أُسُسَ الحُبِّ والودِّ بين العيوبِ
وَأَفْسَحَ مَكَانًا لبعضِ الحماقاتِ بعضِ
الذُّنُوبِ
وَدَعْنَا نَكُنْ بَشَرًا طافحينَ نَفِيسُ جُنُونَا
وَنَنْضَحُ ضِحْكَاً ودمعاً سَخِينَا

(١٩٥٤)

أسفار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel للشاعر

الإنكليزي روبرت بروك Rupert Brooke

حينَ نزلتُ (تونس) الكبيرةُ
كُسِّرَ قلبي قطعاً صغيره

ثم استطعتُ بين نخل (البصره)
إلصاقَ قلبي كِسرةً فكسره

وفي (دمشق) عاد قلبي قطعاً
ولاحَ عجزُ الصمغِ عن أن ينفعا

وها أنا في أرض «مصر» أعلمُ
بأنَّ ما كُسِّرَ ليس يُلحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجهيلة

جميلة! تبكين خلف المسافات، خلف البلاد
وترخين شعرك كفك دمعك فوق الوساد
أتبكين أنت؟ أتبكي جميلة؟
أما منحوك اللحن السخيات والأغنيات؟
أما أطعموك حروفاً؟ أما بذلوا الكلمات؟
فقيم الدموع إذن يا جميلة؟

ونحن منحنا لوصف جراحك كل شفة
وجرحنا الوصف، خدش أسماعنا المرهفة
وأنت حملت القيود الثقيلة
وحين تحرقت عطشى الشفاء إلى كأس ماء
حشدنا اللحن وقلنا سنسكتها بالغناء
ونشدو لها في الليالي الطويلة

وقلنا: لقد أرشفوها الدماء، سقوها اللهب
وقلنا: لقد سمروها على خشبات صليب
ورحنا نغنى لجسد البطولة

وَقَلْنَا: سُنْتَقِذْهَا، سَوْفَ نَفْعَلُ! « ثُمَّ غَرِقْنَا
وَرَاءَ مَدَى «سَوْفَ» بَيْنَ الْحُرُوفِ النَّشَاوِي وَصَحْنَا
تَعِيشُ جَمِيلَةً! تَعِيشُ جَمِيلَةً!

وَذُبْنَا غَرَامًا يَبْسُمُتْهَا وَعَشَقْنَا الْخُدُودَ
وَأَذْكِي هَوَانَا الْجَمَالَ الَّذِي أَكَلَتْهُ الْقِيُودُ
وَهَمْنَا بِغَمَّازَةٍ وَجَدِيلَةٍ
أَمِنْ جَرَحِهَا الثَّرَّ نَطْعُمُ أَشْعَارَنَا بِالْمَعَانِي؟
أَهَذَا مَكَانُ الْأَغَانِي؟ إِذَنْ فَاخْجَلِي يَا أَغَانِي
وَذَوِي أَمْسَامِ الْجِرَاحِ النَّبِيلَةِ

هُمْ حَمَلُوهَا جِرَاحَ السَّكَاكِينِ فِي سُوءِ نِيَّةٍ
وَنَحْنُ نَحْمَلُهَا- فِي ابْتِسَامٍ وَحُسْنِ طَوِيَّةٍ-
جِرَاحَ الْمَعَانِي الْفَلَاظِ الْجَهُولِ
فِيَا لَجِرَاحِ تَعَمَّقُ فِيهَا نُيُوبُ فَرَنَسَا
وَجَرَحُ الْقَرَابَةِ أَعَمَّقُ مِنْ كُلِّ جَرَحٍ وَأَقْسَى
فَوَا خَجَلْتَا مِنْ جِرَاحِ جَمِيلَةٍ!

(١٩٥٨)

إن شاء الله...

ناديتُ الوردة ذات صباح: «يا وردةُ إني عطشى»
فرنتُ وانتفضتُ وابتسمتُ
وجهاً، قلباً، شفةً، رمشاً
منحتني العطر، اللون، الحب، وما بخلتُ
فرشتُ لي خديها وحتتُ

... ..

وسألتُ حبيبي أن ألقاهُ
فتطلع في وقال: أجل، إن شاء الله...
بضعة ألقاظ ثم مضى
وعدُّ منه وحماسٌ من قلبي ورضي
وغداً أو بعد غدٍ يحضرُ إن شاء الله...

إن شاء الله...

وعدُّ في شفة الزنبق غطى المرح شذاهُ
وتألق فجر منبثق خلف مسافات مبهوره
ونسائم تعبر في وديان مسحوره
(إن شاء الله) روى أغنية طافحة وندى

وصلاه

(إن شاء الله) تسابيحٌ وصَدَى أجراسٍ
وبشاشةُ كأسٍ لأمسٍ كأسٍ
(إن شاء الله) تفجّرُ أعيادٍ وحياءُ
وتلاقى أعنابٍ ومياهُ

(إن شاء الله)... وسحتُ أمطارُ ثرةٍ
فجرتِ العالمَ بالخضرةِ
(إن شاء الله) وجاشَ البحرُ وأعطانا
سمكاً ولآلى ورشاشاً رطباً أوجهنا ورؤانا
(إن شاء الله) وألفُ يدٍ مرتٌ وتيقظُ ألفُ
وترُ

وتألقَ حولي ألفُ قمرٍ
وأنا ما زلتُ أعيشُ وأحلمُ أن ألقاهُ
فمتى يُشرقُ لى فجرُك يا (إن شاء الله)؟

(هل) و(متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه
وجوابهما: إن شاء الله...
هل نحضرُ؟ هل يأتى المطرُ؟

هل يسخو العطرُ وينهمرُ؟
إن شاء الله
إن شاء الله
ومتى يسرى نُسغُ السكرِ
فى الرُّمانِ الحامضِ؟ والفجرُ متى يظهرُ؟
والشاطرُ بعدَ ضنى الأسفارِ متى سنراه
إن شاء الله؟

حدود الرجاء

«فى انتظار إعلان الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣»

كنا نراها فى ضباب الكرى
كنا شفاهاً عطشت والتظت
كنا ملاين نعانى اللظى
وكانت الأحلام تلقى بنا
ملقوفةً الهيكل بالمستحيل
وكان مرآها يروى الغليل
وظلُّها فوق منانا ظليل
فى كل فجر فوق صحوٍ ثقيل

وكم عبرنا نحوها من مدى
دماءً مقتولين من يغرب
وموكبٌ يعقبه موكبٌ
يا صوتها، يا وجهها، يا اسمها
الريحُ فيه تلتقى بالأنين
تضجُ فى أعماق ليل حزين
من شهداء سقطوا هاتفين
ابقى ضياءً يتحدى السنين

الوحدة الكبرى شدونا بها
وكم بنينا صرحها المشتهى
وكم حسبنا أنها قد دنت
وجه سראبى السنا كم هوى
ونحن فى المهدي صغار المني
على تلال الرمل فى أمسينا
منّا فأخفى ضموها المنحني
كل رجاءٍ دونه مُشخنا

من دونها ضِعنا فلا زهرة
لا نغم يُسعدُ أرواحنا
لا نخلة تضحك في أرضنا
جفت أراضينا وأشجارنا

توقظنا أشداؤها السارية
لا نهر يروينا ولا ساقية
لا زارع يُنشدُ لا راعية
وارتحلت أطيَارنا باكية

نحنُ عَبرنا كلَّ أفق نأى
عن لونها عن روحها عن صدَى
واليوم جئنا أرضها وانطوى
وانصرمت تلك السنينُ التي

نبعثُ عنها عن شذاها الجميل
منها يدوى في السكون الثقيل
ذاك المسيرُ المدلهمُ الطويل
تأمت خطاها في ضباب العويل

واليوم حان الفجر يا أمتي
تلألؤها تبدو وراء المدى
الوحدة الكبرى دنا ركبها
يا فرحة السارين تحت الدجى

فنحنُ قارِنا حدود الرجاء
مُغرقة في غمرة من ضياء
منا فيا بشرى الشفاء الظماء
قد لاحتِ الدار وحنَّ اللقاء

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

«عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة

في ١٧ نيسان ١٩٦٣»

رَ عَلَى بِيَدِنَا الرِّحَابِ النَّقِيَّةُ
ثِيْلَ فِي جِبْهَةِ الصَّحَارَى الْأَيَّةُ
صَلِّ بِاسْمِ السَّلَامِ وَالْحُرِّيَّةِ
بِجَمْعَةِ الرَّمْلِ بِالدَّمَاءِ الشَّدِيَّةِ
رِيخِنَا لَمْ تَزَلْ رَوَاهَا طَرِيَّةُ
فَوْقَ أَرْضِ الْجَزَائِرِ الْعَبْقَرِيَّةِ
مَالَهَا يَا أَحْلَامَهَا الْمُطَوَّيَّةُ
قَدْ أَطْلَتْ أَضْوَاؤُهُ الزَّنْبَقِيَّةُ
دَفَقَتْ فِي الدِّيَاجِرِ الْغَيْهَبِيَّةِ
تَضَنَّتْ دَجَلَةً بِكَفِّ نَدِيَّةِ
لَاتُهَا فَجَرَ أُمَّتِي الْعَرَبِيَّةِ

رَى وَهَمْنَا بِفَجَرِهَا الْوُضَاءِ
أَيَّ إِلَيْهَا تَظَلَّ دُونَ ارْتَوَاءِ
مِيَّةِ الرَّمْلِ، فِي يَدِ الْأَعْدَاءِ

يَا صَمِيمَ الدُّجَى الَّذِي أَسْدَلَ السُّتْ
يَا جِرَاحَ التَّقْسِيمِ، يَا عَارَ إِسْرَا
يَا مَسِيلَ الدَّمَاءِ مِنْ عُتُقِ الْمَوِ
يَا صِرَاحَ الْجَنُوبِ مِنْ أَرْضِنَا الْمُشْدِ
يَا سَنِينًا مَقْتُولَةً فِي ثَرَى تَا
يَا قَبُورًا تَضُمُّ قَتْلَى عَطَاشًا
يَا مَنَى أُمَّتِي جَمِيعًا، وَيَا آ
اسْتَفِيقِي مِنَ الْكَرَى إِنَّ فَجْرًا
حُزْمٌ مِنْ سَعَادَةِ وَضِيَاءِ
طَوَتْ النِّيلَ وَاحْتَوَتْ بَرْدَى وَأَحَدَ
إِنَّهَا سَاعَةٌ أَلَدَى أَعْلَنْتْ دَقَّ

كَمْ حَلُمْنَا بِوَحْدَةِ الْعَرَبِ الْكُبِّ
كَمْ شَدَوْنَا بِهَا، عَرُوبُنَا ظَمْدُ
وَرَأَيْنَا دِيَارَنَا مِرْقَا دَا

لم يَعُدْ زَهْرُهَا الطَّرَى الْمُتَدَيِّ
وَانْحَنَى النَّخْلُ وَاجْماً خَجَلَ الْخَضِرِ
وَخَرَجْنَا مُشَرَّدِينَ فَمَنْ صَحَّ
وَتَرَكْنَا أَنْهَارَنَا تَسْكُبُ الْمَا
ثُمَّ جَاءَ الضِّيَاءُ وَافْتَرَفَجْرُ
فِي سَكُونِ الصَّبَاحِ جَلَجَلَتِ السَّا
تُعْلَنُ الْوَحْدَةُ الْكَبِيرَةُ ضَوْءاً
أَعْلَنَتْهَا أُمْنِيَّةُ الْعَرَبِ الْكَبِ

عَرَبِيَّ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْدَاءِ
رَةً بَعْدَ انْتِصَابَةِ الْكِبَرِيَاءِ
رَاءَ مُمْتَدَّةٍ إِلَى صَحْخَرَاءِ
رَحِيقاً فِي أَكْوَسِ الْغُرَبَاءِ
عَنْبَرِيَّ الشُّعَاعِ غَيْرَ الْفَضَاءِ
عَةً مَلَأَ الْمَهَامِ السَّمَرَاءِ
وَسَلَاماً فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ
رَى وَحُلْمَ الْأَجْدَادِ وَالْآبَاءِ

وَاسْتَفَاكَتْ بَغْدَادُ نَشْوَى تُغْنَى
خَفَقَتْ فِي سَمَائِهَا رَايَةُ الْوَحْدِ
قَلْبُهَا قَلْبُهَا الْمَشُوقُ إِلَى مَصْدِ
وَالْتَقَتْ كَفَّهَا بِكَفِّي دَمَشَقِ
إِنَّهُ الصَّبِيحُ جَاءَ فَاسْتَقْبَلَتْهُ
جَاءَ بِالرَايَةِ الْمَثَلِثَةِ الْآنَ
وَبِيَمْنَاهُ وَرْدَةٌ بَضَّةُ الْمَلِكِ
هِيَ مِنْهُ تَحْيِيَّةٌ لِلَّذِينَ اسْدِ
إِيهِ بِغْدَادُ أَيْقَظِي كُلَّ مَنْ مَا
أَبْأَيْهِ بِأَنْ وَخَسَدَتْهُ قَا
طَلَعَ الْفَجْرُ مِنْ وَرَاءِ الدِّيَاغِي

وَهِيَ تَسْقَى وَرُودَ أَجْمَلِ فَجْرِ
لِدَةٍ يَا لِلْحُلْمِ الْجَمِيلِ النَّصْرِ
رَ طَوِيلًا قَدْ ضَمَّ تَرْبَةَ مِصْرِ
فِي صَبَاحِ الْعُرُوبَةِ الْمَفْتَرِ
فِي أَشَدِّ اعْتِنَاقَةٍ وَأَحَرِّ
جَمِّ يَمْحُو عَارَ السِّنِّينِ الْحُمُرِ
حَسَّ رِيَا الْبِيَاضِ نَشْوَى الْعَطْرِ
تُشْهِدُوا أَمْسَ فِي إِيَاءٍ وَكِبَرِ
تَ شَهِيداً عَلَى نَشِيدِ النَّصْرِ
مَتْ وَضَمَّتْ مِنْ أَرْضِهِ كُلَّ شَبْرِ
يَا عَيُونَ الشَّهِيدِ نَامِي وَقَرِّي

إنها الوحدة الكبيرة جُعنّا
أشعل الشوق حبّها في صحاري
كم شهيد من يعرب مات عطشا
ضبيح الحلم في مكان سحيق
يا حنين الأجداد يا شوق أمي
فجرنا لاح فلتنم حُرقة الأش
فجرنا لاح أبيضاً عربياً
ناصر الحق والعروبة أخى
لم شمل الرمال في أرضنا السم
ودعا النوم فاستحال حياة
ثم أهدي ديارنا الوحدة الكب

لشذاها مدى قرون طوال
نا وحتّ لها شفاء الرمال
ن إليها ممزق الأمال
بين لفظ اسمها وبين المحال
يا سنين الضياع والأغلال
واق وليسترح جنون السؤال
أطلعته في الأفق كفا (جمال)
كل حلم مقطّع الأوصال
راء بعد التمزيق والإذلال
تلظى بالخصب والإنفعال
رى فموجي يا أرضنا واختالي

(١٩٦٣)

أغنية ليالى الصيف

يا هدوءاً مطمئناً
يا فضاءً مَرِحاً للذّن البريقِ
يشربُ الأنجمَ كأساً من رحيقِ
يا رؤىً تقطرُ لونا

أنتِ عطرٌ ونعمومةُ
وحفيفٌ وانحداراتُ أشعه
ونجومٌ عكِستُ فى عمقِ ترعه
وأناشيدُ رخيمة

أنتِ ينبوعُ سكونِ
وحَماساتُ وعِطرٌ وبروده
يا وِسادَ الأنجمِ الجذلى البعيدة
يا مَصِيباً للحنينِ

أَيَّ بَرْدٍ وَلَيْسَ وَنَهْ
يَا شَفَاهَا قَمَرِيَّاتِ الْقُبُلِ
تَنْشُرُ الْأَنْدَاءَ أَقْدَاحَ عَسَلٍ
فَوْقَ أَشْجَارِ الْمَدِينَةِ

أَيَّ نَهْرٍ مِنْ عَطُورٍ
فِي شَذَاهُ مَسْبُوحٌ لِلْقَمَرِ
وَعِذَاءٌ لِلرَّوْىِ وَالسَّمَرِ
وَرَحِيقٌ لِلشُّعُورِ

أَنْتِ لِلْأَحْسَامِ مَأْوَى
يَا مَلَاذًا بَارِدًا عَذْبَ الْجَوَارِ
لِخُدُودِ حَمَلَتِ عِبَاءَ النَّهَارِ
وَأَتَتْكَ الْآنَ نَشْوَى

اغْمِرِينِي بِالظَّلَالِ
وَاحْمِلِي رَوْحِي عَلَى أَعْطَارِ نَسَمِهِ
وَامْنَحِي خُدْيَ وَسَادًا عِنْدَ نَجْمِهِ
يَا لِيَالِي يَا لِيَالِي

وَإِذَا نَمْتُ فَمُؤَدَّى
بِرَدِّكَ الْمُتَنَعِّشَ وَالْعِطْرَ سَرِيرًا
وَأَسِيلَى الْقَمَرِ الْعَذْبَ غَدِيرًا
وَلِيَكُنْ لِيُنْكَ مَهْدَى

وَأَمْنَحِينِي أَلْفَ حُلْمٍ
مِنْ لِيَالٍ غَسَقِيَّاتِ الْغُلَّالِ
شَرِبَتْهَا فَرَحَتِي حَتَّى الثُّمَالِ
فَهِيَ قَيْثَارِي وَكَرْمِي

(١٩٥٢)

النهر العاشق

«نظمتها الشاعرة خلال الفيضان الرهيب عام

١٩٥٤»

أين نمضي؟ إنه يعدو إلينا
راكضاً عبر حقول القمح لا يلوى خطاهُ
باسطاً، في لمعة الفجر، ذراعَيْهِ إلينا
طافراً، كالريح، نشوان يدهُ
سوف تلقانا وتطوى رُعبنا أننى مشينا

إنه يعدو ويعدو
وهو يجتاز بلا صوت قُرانا
ماؤه البنى يجتاح ولا يلويه سدُّ
إنه يتبعنا لهفان أن يطوى صباننا
في ذراعَيْهِ ويسقينا الحنانا

لم يَزَلْ يَتْبَعُنَا مُبْتَسِماً بِسَمَةِ حَبٍّ
قَدَمَاهُ الرُّطْبَتَانِ
تَرَكْتَ أَثَارَهَا الْحَمْرَاءَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
إِنَّهُ قَدْ عَاثَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
فِي حَنَانٍ

أَيْنَ نَعْدُو وَهُوَ قَدْ لَفَّ يَدَيْهِ
حَوْلَ أَكْتَافِ الْمَدِينَةِ؟
إِنَّهُ يَعْمَلُ فِي بَطْءٍ وَحَزْمٍ وَسُكُونٍ
سَاكِباً فِي شَفْتَيْهِ
قُبْلَا طِينِيَّةً غَطَّتْ مِرَاعِينَا الْحَزِينَةَ

ذَلِكَ الْعَاشِقُ، إِنَّا قَدْ عَرَفْنَاهُ قَدِيمًا
إِنَّهُ لَا يَنْتَهِي مِنْ زَحْفِهِ نَحْوَ رُبَانَا
وَلَهُ نَحْنُ بُنَيْنَا، وَلَهُ شَدْنَا قُرَانَا
إِنَّهُ زَائِرُنَا الْمَأْلُوفُ مَا زَالَ كَرِيمًا
كُلَّ عَامٍ يَنْزِلُ الْوَادِيَّ وَيَأْتِي لِلْقَانَا

نحن أفرغنا له أكواخنا في جُفج ليلٍ

وستؤويه ونمضي

إنه يتبعنا في كل أرضٍ

وله نحن نصلي

وله نُفرعُ شكوانا من العيشِ المملِّ

إنه الآن إلهُ

أو لم تغسل مبانينا عليه قدميها

إنه يعلو ويلقي كنزه بين يديها

إنه يمنحنا الطينَ وموتاً لا نراهُ

من لنا الآن سواهُ؟

(١٩٥٤)

المدينة التي غرقت

«مرثية لبغداد الجديدة التي أغرقها فيضان عام

١٩٥٤»

وراء السداد التي ضمّدوا جرحها بالحصير
وخلف صفوف الصرائف حيث يعيش الهجير

يسير طريق تدثر بالطين نحو المدينة
وأطلالها حيث بات يعيش اصفرار السكينة

وحيث الشوارع باتت وحولاً ومستنقعات
وكانت تجيش وتزخر ساحاتها بالحياة

وكانت تهش وتضحك للشمس كل صباح
فباتت يعشش فيها الدجى وصفير الرياح

وكانت منازلها المرحات تلاقى القمر
بضحك نوافذها فاستكانت وصاح القدر

وجاء الخرابُ ومددَ رجلَيْه في أرضها
وأبصرَ كيف تنوحُ اليُوتُ على بغضها

وحدقَ فيها وأصغى إلى الصرّخات الأخيرة
لسقفِ هوى وتداعى وشرقة حُبٍ صغيرة

وأرسلَ عينيه في نشوة يرمقُ الأبنية
وقد ركعت في هوانٍ ذليلٍ بلا مرثية

وجاء الخرابُ وسار بهيكله الأسود
ذراعاه تطوى وتمسحُ حتى وعود الغدِ

وأسنانه الصفّرُ تقضمُ باباً وتمضغُ شُرْفه
وأقدامه تطأُ الوردَ والعُشبَ من دونِ رافه

وسار يرشُ الردى والتأكلَ ملءَ المدينة
يخرّبُ حيثُ يحلّ ويتشرّ فيها العفونة

وفى الليل حين يجرى الشذى وضياء القمر
يهب الخراب ويضحك نشوان بين الحفر

ويرسل ضحكته العصبية، ملء الفضاء
فتنفر منه النجوم ويثقل مس الهواء

وتنمو الخشونة حيث يلامس وجه التراب
وتثبت أقدامه طحلياً لزجاً وذباب

ويأتى الصباح ويختبئ الغول فى مكن
وتخفيه مستنقعات فساح عن الأعين

وتصحو المدينة ظمأى وتبحث عن أمسها
وماذا تبقى سوى الموت والملح فى كأسها؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

«ترجمة تصرف عن الشاعر الفرنسي بروسبير

بلاشمين»

إنَّهُ الشَّيْخُ رُبَيْعُ
ذَلِكَ الشَّيْخُ المَرْحُ
ذُو الثَّيَابِ الخُضْرِ والوَجْهِ البَدِيعِ
وَالجَبِينِ المُنْشَرَحِ
كَلَّمَا طَافَتْ خُطَى نَيْسَانَ بِالدُّنْيَا أَطْلَا
مِنْ كُوَى غُرْفَتِهِ عَذْباً طَرُوبَا
هَاتِفاً: «أَهْلًا، وَسَهْلًا...
مَرْحَباً نَيْسَانُ! قَدْ حَانَ لَنَا أَنْ نَظْهَرَا
وَنَجُوبَ الْأَرْضَ وَدِيَانَا وَبِيداً وَسَهوباً
فِي رَدَاءٍ أَخْضَرَا.»

أَيُّهَا الشَّيْخُ رُبَيْعُ
أَيُّهَا الشَّيْخُ رُبَيْعُ
عُدْ إِلَيْنَا وَاطْلُ مَكَّتَكَ فِينَا
عُدْ إِلَيْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ رُبَيْعُ

هذه خُطوةُ نِيسانَ على وجهِ الحقولِ
شربتُ أولَ بَسمه
من شفاهِ الشمسِ، والفجرُ على صدرِ السُّهولِ
لم يزلْ يُسقى نَدَى الليلِ، وفي الغاباتِ نَسمه
نقلتُ إنشادَ عصفورٍ صغيرٍ:
«عَمَ صباحاً أيها الضوء...» وردَ الآخرونَ
«حانتَ اليقظةُ فلنمرحَ رِفاقي
في حمى الغابِ النضيرِ
ولنغنَّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونِ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكى منا السَّواقى»

أيها الشيخُ ربيعُ
أيها الشيخُ ربيعُ
عدْ إلينا واطلْ مكنك فينا
عدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعُ

ويرد الشيخ من غرفته عذب المرح:
«يا عصفيري لا تعجلن إني أتزين
بعد حين أرتدي ثوبي الملون
كل لون فيه من قوس قزح
كل خيط وتر من أغنية
كل زر ورده متشبه
أمس أعطانيه خياطي، لماذا
تتعجلن خروجي؟ عجباً ما سر هذا؟

أيها الشيخ ربيع
أيها الشيخ ربيع
عد إلينا واطل مكثك فيها
عد إلينا أيها الشيخ ربيع

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعٌ
يتمطى قائماً ثم يسيرُ
ويداه تنثران الورْدَ في المرج البديعُ
فوق أعشاشِ العصافير، على شطِّ الغدير
وله نعلان لا مسمارَ في كعبيهما
بل أزاهيرٌ وأوراقٌ، ومن لونيهما
تشرب الشمسُ وتسقى المغرباً
قبل أن تلوى خطاها وتضيعُ
في الذرى خلف الرُّبى

أيها الشيخُ ربيعُ
أيها الشيخُ ربيعُ
عدْ إلينا واطلْ مكثك فينا
عدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعُ

(١٩٥٢)

البعث

أنا غَنَيْتُ لِلظَّلَالِ وَأَعْطَيْتُ
وَعَبَّرْتُ الْحَيَاةَ وَسَتَيْتُ وَشَيْدْتُ
وَعَصَرْتُ الْأَوْهَامَ فِي قَبْضَتِي حَيْثُ
وَأَخْبِرًا أَتَيْتَ أَنْتَ وَأَسْلَمْتُ
تُهَوِّىَ الْمُفْتَنُونَ لِلْأَشْبَاحِ
تُقْلَعُ أَجْذَرَانَهَا مِنْ رِيَّاحِ
أُوهْدِيْتُ لِلطُّيُوفِ صُدَاحِي
تُكْوِوسِي إِلَى شِفَاهِ الصَّبَاحِ

نَقَمِي كَانَ جَدُولًا سُكَّرِي الْ
ضَنْ أَنْ تَسْبَحَ الْعَصَافِيرُ فِيهِ
وَوَرُودِي لَمْتُ رَحِيقًا عَبِيرِي
خَزَنْتُ فِي عُروْقِهَا قَطَرَاتِ الْ
مَاءِ يَنْسَابُ لَيْسَ يَسْقَى الْعِطَاشَا
وَأَهَانَ الضُّحَى وَصَدَّ الْفَرَاشَا
أُؤَالَتِ لَا تَمْنَحُ الْأَحْرَاشَا
عِطْرُ بُخْلًا بِشَهْدَا وَانْكَمَاشَا

أَنْتَ فَجَجَرْتَ أَغْنِيَانِي يَنْبُو
الْفُقَاعَاتُ فِيهِ ضَاقَتْ بِمَا يُثْ
بَحَثْتُ فِي تَحْرِقٍ وَارْتِعَاشِ
لَتَصُبَّ الصَّبَاحُ فِيهَا وَتَسْقِي
عَ حَنَانٍ مَشْشُوقَ الْقَطَرَاتِ
قَلُّهَا مِنْ حَرَارَةِ وَحْيَاةِ
عَنْ شِفَاهِ أَوْ أَعْيُنِ عَطِشَاتِ
هِيَ كَوُوسًا مَشْغُوقَةُ الْحَافَاتِ

وورودي التي تَغصّ بما فيـه
أنتَ أخجلتَ في تموجها الخصب
أنتَ علّمتَ عطرها سكرة التّجذ
أنتَ نبهتَ غفوة الفلّ في حقد

أنا أغلقتُ بابَ قلبي على كلّ
وجعلتُ الهوى المزنبق سراً
يا لستر غديتُ كتمانهُ قد
خفتُ أن يחדشَ النهارُ حواشيـه

ذلكَ الحبّ لم أجدتُ به قطّ
لم أصفّه لتلّة تطعمُ اللـي
غرّتُ أن تعرفَ العصافيرُ أسرا
لم أقلّ للغدير إنك أصفـي

يا هوى ظلّ شاحب الخدّ خجلاً
يتوارى عن النجوم ويخفي
ألحدتُ ذكرياته بخير الـ
وبنى الصمتَ معبداً كفر المر

ها من العطر والرحيق الثمين
حبّ عبودية العبير السجين
وال علّمتها اشتعال الحنين
لى ويخلّ البنفسج المفتون

جمال وكلّ خلجة شوق
ضائع الحدّ في امتداد وعمق
بى، دمي، كلّ قطرة، كلّ عرق
ه فأبقىته رهينة رقّ

غديراً أو ربوة أو حقلـاً
ملك من قلبها وتسقى الظلّ
رى فأسلمتها السكون المملأ
وكتمت الضياء أنك أغلـي

ن من الشمس خائف الألمان
وجسّه عن زنايق الغدران
جدول العذب وانفعال الأغاني
مرُ فيه ولاذ بالكتيمان

أنا لولاك كنتُ ما زلتُ سرّاً
أنتَ حرّرتَ ذلكَ الوَلَهَ الخَصْمُ
جئتُ كالضوءِ فانحنى لكَ قيدي
وأفاقَ الشعورُ ينفضُ عاراً

خافتَ اللحنُ باهتَ التلوينِ
سبَّ وأخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
وتلاشى توحّشى وجنوني
صمتَ عن سرِّ قلبي المكنونِ

أنتَ علّمتَ قلبي المطبقَ الكفَّ
أنتَ صيرتني هُتافَةً حبّ
أنا غنيتُ باسمك العذبَ في كل
لا تُلْمَنِي إذا ملأتُ بكَ الدنـ

سخاءَ الندى وبذلَ اللهبِ
ثرةَ الوقعِ بعدَ طولِ نُضوبِ
انحناءَ ومفارقِ موهوبِ
يا فصاحتُ معي: حبيبي، حبيبي!

(١٩٦٢)

أغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماما
برآقُ الحلوُ اللثغةُ ينوى النومَ
والنومُ وراء الربوة هَيَّأ حُلُمَا
والحُلُمُ له أجنحةٌ ترقى النَجْمَا
والنجمُ له شَفَّةٌ ويحب اللثَمَا
واللثمُ سيوقظُ طفلي:

ماما ماما

بابا بابا بابا بابا بابا
برآق الغافى السامى يسرق قلبَا
والقلبُ سيمرُعُ يثبتُ ورداً رطبَا
والوردُ يرشُ المهْدَ أريجاً عذبَا
وأريجُ الوردِ لعبوبُ يَهْوَى الوئبَا
والوئبُ سيوقظُ طفلي:

بابا بابا

دادا دادا دادا دادا دادا
الحقلُ مَشُوقٌ للخُضرة لا يَهْدَا
والخُضرةُ خَاويةٌ لا تَمَلِكُ وردا
والوردُ إلى الحُمرةِ مرتعشٌ وجدا
والحمرةُ عند صغيري ثغراً خِداً
وسيصنحى الوردُ صغيري:

دادا دادا^(١)

(١٩٦٣)

(١) (ماما) تقرأ هكذا: مَمَّا كما ينطقها الطفل العراقي وبذلك تجانس القوافي التالية، وكذلك (بابا) و(دادا).

إلى وردة بيضاء

كنز البرودة والرحيق ومخبأ اللين العطر
يا من عصرت من الثلوج من الحليب من القمر
يا ضوء خد من حرير أبيض ملء النظر
بيضاء يا ملقى فراشات الربيع المتظر
الشمس ودت لو سقيت ضياءها منحا آخر
والفجر تابعك الأمين يريق ظلك فى النهر
يا ملتقى حب السواقي والقناير والشجر
واحسرتاه على البشر

مروا بكنزك سائلين
مسكينة ما تملكين؟

بيضاء: نحن أنا وأنت سنكتم السر المثير
سرى وسرك لن نبوح به إلى الركب الضرير
ماذا ملكنا؟ لا ضياع ولا عبيد ولا قصور
لا شيء إلا روضة القمر المرنج فى الغدير
وغناء أنسام المساء المخمليات المروز
وصداقة العصفور والفجر الملون والعبير

ومودة الشمسِ الحنون وقُبلة المَطَرِ الغزيرِ
ووساد أعشابٍ وثيرِ

وارحمتا للسائلينِ
وسؤالهم: ما تملكين؟

(١٩٥٢)

إلى الشعر

من بخور المعابد في بابل الغابرة
من ضجيج النواعير في فلوات الجنوب
من هتافات قمرية ساهرة
وصدى الحاصدات يغنين لحن الغروب
ذلك الصوت، صوتك سوف يؤوب
لحياتي، لسمع السنين
مُثخناً بعبير مساء حزين
أثقلته السنابل بالأرج النشوان،
بصدي شاعري غريب
من هتافات ضفدعة في الدجى النعسان
يملاً الليل والغدران
صوتها المتراخي الرتيب

ذلك الصوت، صوتك سوف يؤوب
لحياتي، لسمع المساء
سيؤوب وأسمع فيه غناء
قمرى العذوبة فيه صدى من ليالى المطر

من هدوء غُصُونِ الشَّجَرِ
وهي تمتصّ سَكْرِي، رحيق السَّمَاءِ
الرحيقُ الذي عَطَّرَتْهُ الغيومُ
بالرُّؤْي، بتحايا النجومِ

سأجوبُ الوجودَ
وسأجمعُ ذرّاتِ صوتِكَ من كل نَبْعِ برودِ
من جبال الشَّمَالِ
حيث تهمسُ حتى الزنابقُ بالأغنياتِ
حيث يحكى الصنوبرُ للزمنِ الجوّالِ
قصصاً نابضاتِ
بالشدى، قصصاً عن غرامِ الظلالِ
بالسواقى، وعن أغنياتِ الذئابِ
لمياهِ الينابيعِ فى ظلِّ الغاباتِ
عن وقارِ المراعى وفلسفةِ الجدولِ المنسابِ
عن خروفِ يحسّ اكْتِئاباً عميقُ
ويقضى النهارُ
يقضمُ العُشبَ والأفكارَ
مُغْرَقاً فى ضبابِ وجودٍ سحيقِ

وسأجمعُ ذرّاتِ صَوْتِكَ من ضَحِكَاتِ النعيمِ
في مساءٍ قديمٍ
من أماسيٍّ دجلةٌ يُثقلُ أجواءُهُ بالحنينِ
مرحُ الساهرينِ
يرشفونَ خريزَ المياهِ
وهي ترطمُ شاطئَهُم، وضياءُ القمرِ
قَمَرِ الصيفِ يملأُ جوَّ المساءِ صُورَ
والنسيمِ يمرُّ كلمسِ شِفاهِ
من بلادٍ أُخرِ
ليلةٌ شهرزاديةٌ الأجواءِ
في دجاها الحنونِ
كلَّ شيءٍ يُحسّ ويحلُمُ حتى السكونُ
ويهيمُ بحبِّ الضياءِ

وسأسمعُ صوتَكَ حيثُ أكونُ
في انفعالِ الطبيعة، في لحظاتِ الجنونِ
حينَ تُثقلُ رجَعُ الرُّعودِ
ألفُ أسطورةٍ عن شبابِ الوجودِ
عن عصورٍ تَلَأَشَتْ وعن أممٍ لن تعودَ

عن حكايات صبيان (عاد)
لصبايا (ثمود)
وأقاصيص غنت بها شهرزاد
ذلك الملك المجنون
في ليالي الشتاء
وسأسمع صوتك كل مساء
حين يغفو الضياء
وتلوذ المتاعب بالأحلام
وينام الطموح تنام المنى والغرام
وتنام الحياة، ويبقى الزمان
ساهرًا لا ينام

مثل صوتك، ملء الدجى الوَسنان
صوتك السهران
في حنيني العميق
صوتك الأبدى الذى لا ينام
فهو يبقى معى سهران
وأحسن صدهاء الملون يملأ كل طريق
بالشذى بندى الألوان

صوتك المجهول
أنا أدركتُ- يا فرحتا- سرُّه المَعسُول
أنا أدركتهُ أنا وَحْدِي وصمتُ الزَمَانُ

(١٩٥٠)

النهر المغنى

ترجمة لقصيدة عنوانها Avoca للشاعر

الإنكليزي المعاصر كريسمس همفريس

هنالك نهرٌ شجى الضفتين
إلى شطّه من كلا القمّتين
حملن إليه هوى التلتين
وربّ حنين بلا شفّتين

وينصبُّ أشراكه للقمر
ومن قطرات ندى من زهر
ويبحث فيه عن المستقر
مبللة برشاش المطر

بأردية من بريق النجوم
فخلف الدجى ووراء الغيوم
إلى الفجر خلف الربى والتخوم
ويسمع هذا النشيد الرّخيم

(١٩٥٢)

وراء انعطاف الربى والسفوح
يغنى الدجى وتخف الظلال
على قدمين من الياسمين
وبلغته قبلات السفوح

هنالك نهرٌ يسيل بعيداً
ويركض، نغلاه من فضة
يخف إلى البحر فى لهفة
ليلقى شواطئ مسحورة

هنالك نهرٌ يغنى المساء
يغنى وليس سدى ما يغنى
يشير الصباح ندى الذراع
ليفتح أبوابه الغافيات

ثلاث أغنيات شيوعية

-١-

إذا نَزَلَ الليلُ هذى الروابي فقم يا رفيقُ
نراقبه من ثقبِ الدُّجى فى السُّكون العميقُ
لعلَّ الظلامَ يُعدّ مؤامرةً فى الخفاءِ
ويحبكها مع ضوء النجوم وصمت المساءِ
فهذى الروابي وذاك الطريقُ
وهذا الدُّجى، كلُّهمُ عملاء

وسوف نفتشُ حتى الأريجَ وحتى المطرَ
نقلبُ حتى خيوط الضياءِ ولون الزهرِ
ونفضحُ ما دبَّتْ كل جاسوسة زنبقه
وما روجتْ العصافيرُ بالرقصِ والزقزقه
وإنّا لنعلمُ أنَّ القمَرُ
تأمَرَ فلننصبِ المشنقه

رفيقى تعال لنسحق رجعية الياسمين

وتزوير سوسنة نذلة وعريش لعين

وتلك الينايع إن دسائسها أبدية

وهذا الأصيل يُذيع أراجيفه الغسقية

حذار رفيقى فللورد دين

وهذا الشذى روحه عريه

نَحْيَةً شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
يا أَخْتَنَا الحَمْرَاءُ
يا شَفَفَةً سَاخِنَةَ الْأَلْوَانِ
مُتَرَعَّةً دُمَاءً

أَخْتَاهُ أَنْتِ أَشْرَفُ الْوُرُودِ
رَمَزَ الدَّمِ الْمُزْرَاقِ
يا لَوْنَ مَا نُضْمِرُ مِنْ حُقُودِ
مُخْرِقَةِ الْأَشْوَاقِ

وَرَدَّتْنَا الشَّرِيفَةَ الحَمْرَاءُ
يا رَايَةَ الْكَفْسَاحِ
يا حَمْرَةَ الْقَتْلِ لِكَ الدَّمَاءِ
فَمَا غَرَةَ الْجِرَاحِ

إِنْ تَظْمَأَى فَبِالدَّمِ الْمُنْعَشِ
أَخْتَاهُ لَا نَبْخُلُ
هِيَهَاتَ يَا حَمْرَاءُ أَنْ تَعْطَشِي
وَتَمَّ مِنْ نَقْلِ

من أجل هذا اللون نُجْرى النجيعُ
جداولاً تنثالُ
وباسمه نقتلُ حتى الربيعُ
ونذبحُ الأطفالُ

يا شَفَّةً تلمّظتُ بالدمِ
يا غلّةً مُحْرِقَه
بحِقْدنا نُقسِمُ أن تَسْلِمِ
يا وردةَ المشنقةِ

والآن جئناك به فاحتسى
من لونه المَغْرَى
دمٌ كثيرٌ فاشبَعى وانعَسى
يا أختُ واحمرّى

ظلمةٌ، وخُرٌّ، صُراخٌ في وجودي
الرياحُ السودُ ملحٌ في دمي فوق خُدودي
خنجرى أغمدتهُ في رثتي هذا الغلامُ
وجززتُ الوردَ من خديهِ حبّاً للسلامِ
فإذا أشلاؤه تصحو وتحيا من جديدِ
وأراهُ باسماً متصبأً تحت الظلامِ
ومن الآفاق ينهال دوىُّ
عربيُّ عربيُّ عربيُّ

ثم ماذا؟ أصبح الدربُ أعاصيرَ وقصفا
الغلامُ الأرعنُ الغادرُ قد أصبحَ ألفا
هبطوا لم أدرِ من أين: صبايا وشبابا
أوجهُ أسقيتِ السُفرةَ والشمسُ شرابا
بدّلوا أمني شُكوكاً ومحاذيرَ وخوفا
وتهاوى حُلُمي الأحمرُ للأرضِ تُرابا
لاعناً تسعين مليونَ محيا
عريباً عريباً عريباً

(١٩٥٩)

إلى ميسون

إن خَبَبْتُ أَعْيُنُ النُّجُومِ وَسَجَّتْ بِسَمَةِ الْقَمَرِ
وَاخْتَفَتْ خُضْرَةُ الْكُرُومِ وَذَوَى الْوَرْدُ وَانْتَثَرُ

كنتِ لى أنتِ كوكباً مُخْمَلَى الـ لَمَسَ يَتَّحَالُ نَبْعَ عَطْرِ وَضُوءِ
كَانَ لى من بَرِيقِ عَيْنِكَ لَوْنُ الـ قَمَرِ اللَّذْنِ فى لِيَالِي الدَّفْءِ
كَانَ وَحْىِ حِكَايَةٍ مِنْكَ فِيهَا مِنْ شَذَى الْوَرْدِ أَلْفُ شَيْءٍ وَشَيْءِ
كنتِ لى أنتِ يَا بِنَفْسِجَتِي فَجَدِ رَجَمَالٍ مُطْلَسَمٍ غَيْرِ مَرْتِي

وَإِذَا أَطْفَأَ الزَّمَانُ كُلَّ حُبٍّ حَمَلْتُهُ
وَطَوَتْ ظُلُمَةُ الْمَكَانِ كُلَّ ضُوءٍ شَرِبْتُهُ

كَانَ لى من صَفَاءِ وَجْهِكَ بَدْءُ لِأَغْنَانِي حُبٍّ وَحُبٍّ وَحُبٍّ
وَمِنَ الْكُوكَبِينَ عَيْنِكَ تَنْشَقُّ لِعَمْرِى أَثَارُ أَلْفَى دَرْبِ
مِنَ بَرِيقِ الْجَبِينِ مِنْ مَلَمَسِ الْخَدِّ الْحَرِيرِىِّ مِنْ سَوَادِ الْهَدْبِ
مَعْبَرٌ لِلْجَمَالِ مِنْ شَاطِئِ الْمَجْدِ هَوْلِ يُرْسِي ائْتِلَاقَهُ عِنْدَ قَلْبِي

(١٩٥٢)

للصلاة والثوره
الطبعة الأولى ١٩٧٨

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

لا بد لى أن أقول إن هذه المجموعة الشعرية هى أول قصائد أنظمها بعد انقطاع عن الشعر استمرّ ثلاث سنوات من ١٩٦٩ إلى أواخر ١٩٧٢ وكنت خلال هذه الفترة لا أشعر بدافع يزجّ بى فى دروب القصيدة. وفجأة تفجّر الشعر فى نفسى. ففى يوم ١٢/١١/١٩٧٢ تلقيت بطاقة تهنئة بعيد الفطر من صديق لنا، وكان مرسوماً على البطاقة صورة لمسجد قبة الصخرة بالقدس الحبيبة.

فما كدت أرى هذه الصورة حتى أحسست انفعالاً عنيقاً زلزل كيانى فقلبت البطاقة وكتبت على ظهرها هذه الأَشْطَر:

يا قبة الصخرة
يا وردُ، يا ابتهالةً مضيةً الفكرة
ويا هدى تسبيحة علوية النبره
يا صلوات عذبة الأصداء
جاشت بها الأبهاء
يا حرقة المجهول، يا تعطش الإنسان للسماء
يا ولّه الركوع يا طُهره
يا وردة الخشوع يا نداء، يا عطره

وعند هذا انتهت الفسحة الفارغة على ظهر البطاقة فألقيتها على مكتبى وذهبتُ ونمتُ. ولم يكن يخطر لى أن الشعر قد استيقظ فى حياتى بهذه الأَشْطَر المفاجئة. والحق أننى كنت أحسب أننى قد انتهيت شعرياً إلى الأبد،

لأن ثلاث سنوات كاملة من الصمت ليست شيئاً مألوفاً في حياتي، وإن كانت مألوفة في حياة غيري من الشعراء. فقد سكت بول فاليري ثماني عشرة سنة كاملة ثم أفاق ونظم قصيدته العظيمة «المقبرة البحرية» Le Cimetiere marin وسكت ولیم بتلر يتس عشر سنين ثم نظم مجموعة شعرية مهمة. وسكت شكسبير ست سنين كاملة. فلم لا يكون سكوتي من جنس سكوتهم؟ لم يخطر لي هذا. لذلك اندهشت عندما تناولتُ أشطر قبة الصخرة في الصباح التالي وجلست أتمها في حرارة وحماسة فإذا هي تكتمل بين يدي قصيدة طويلة عنوانها «للصلاة والثورة». ومن إتمام الفائدة أن أقول إنني منذ ذلك التاريخ أتدفق تدفقاً شعرياً خصباً لا انقطاع له وقد اكتملت لي هذه المجموعة من قصائد سنة واحدة هي ١٩٧٣ - باستثناء قبة الصخرة - كذلك تجمعت لدي مجموعة شعرية ثانية من قصائد ١٩٧٤ وسيكون عنوانها «يغير ألوانه البحر» وبدأت الآن مجموعة ثالثة من قصائد ١٩٧٥ وآمل أن أقدم هذه المجموعات للطبع بحسب تسلسلها الزمني.

* * *

وأول ما أحب أن أتحدث عنه في هذه المقدمة عنوان المجموعة «للصلاة والثورة». فهو يمثل في نظري جانبي الإنسان الكامل في هذا العصر. أما «الصلاة» فهي رمز الجانب الروحي فينا، هي الورد التي تنبت في النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع الله، وهي تشمل كل ما لا تفسير له من حياة الإنسان الغامض الممعن في الغموض، كالأحلام التي تكشف لنا أحياناً المستقبل كشفاً لا يمكن تعليقه علمياً، ومثل انكشاف الغيب للإنسان في لحظات التجلي والكثافة الروحية، ومثل أثر الصلاة والدعاء في تحقيق رغباتنا، ومثل الإحساس الغامض في القلب الإنشائي بأن الموت ليس فناء وإنما وراءه حياة لا بد منها، وسوى هذا من غيبات لا يمكن تعليقه

بالمحسوس . هذا كله عن (الصلاة) . أما «الثورة» ، الجانب الثانى من العنوان ،
فهى عندى رفض الإنسان المكتمل لكل زيف وفساد وعبودية وشر وطغيان
وقبح وظلم فى الحياة الإنسانية . والثورة مرتبطة أشد الارتباط بالصلاة
فالإنسان الذى يصلّى لله صلاة كاملة الأبعاد ، شاسعة التطلعات ، هو الإنسان
الذى يعرف الرفض الحق والثورة على كل ما يهين كمال الإنسانية . لا بل إن
الصلاة عندى هى نفسها الثورة وقد عبرت عن هذا بالنص :-

متى نصلى ؟ إنما صلاتنا انفجارٌ

صلاتنا ستطلع النهارُ

تسلح العزل ، تعلّى راية الثوارُ

صلاتنا ستشعل الإعصار

ستزرع السلاح والزنبق فى القفار

تحول اليأس إلى انتصار

صلاتنا ستنقل الجذب إلى اخضرار

وتُطعم الصغار

فاكهة الصمود والإصرار

يا قبة الصخرة من صلاتنا سيرتوى آذارُ

وتنبث الرايات والثمار

وتبعث الغناء ، والليمون ، والأحرار

تعيدنا للوطن المسروق ، تمحو العارُ

فالصلاة هنا معادل حتى للقيم الثورية ، والقيم الجمالية ، والقيم
الإنسانية ، وهى تربية للروح والجسم ، وإكمال لإنسانية الإنسان . ولهذا سميت
هذه المجموعة «للصلاة والثورة» داعية الإنسان العربى إلى أن يرتفع بالجناحين
الاثنين جناح الروح ، وجناح القتال . وهما الجناحان اللذان سلح بهما الإسلام

هذا الإنسان فى كل زمان ومكان ليرتفع إلى أعلى ذرى إنسانيته فيدرك أبعاد الروح، ويحقق حريته وحرية أمته، ويمتلك الأرض التى استخلفه الله عليها.

وهذان الجناحان يرتبطان ارتباطاً وثيقاً فى شعر هذه المجموعة ويعبر عن ذلك قولى:

يتنصر الإنسانُ

يرتفع الأذانُ

فانتصار العربى على الظلم فى فلسطين هو المعادل القتالى لارتفاع الأذان من قبة الصخرة. ولا يمكن أن تتم انتصارات الإنسانية دون أن تكتمل الروح التى كان ارتفاع الأذان رمزاً لها. وهذه هى الفكرة الأساسية التى قامت عليها هذه المجموعة.

وفيما يتعلق بالقصائد السياسية أحب أن أشير إلى أنها كلها منظومة قبل حرب رمضان (تشرين أو أكتوبر) ١٩٧٣ باستثناء (سبت التحرير) التى نظمها لحرب رمضان نفسها، وباستثناء قصيدة «عن السلام والعدل» التى عجبت فيها من حديث الأمم المتحدة عما تسميه بسلام عادل دائم مع وجود إسرائيل الجسم الغريب المعتدى فى أرضنا. فهل نسالم اللصّ السفاح الذى يقتلنا كل يوم؟ هل نسالم ذلك الذى يبقى شعب فلسطين مشرداً فى الخيام؟ إن السلام والعدل يتناقضان أصلاً مع مجرد وجود إسرائيل فى فلسطين، ولا سلام ولا عدل إذن حتى تزول هذه الدويلة الباغية.

ومع أن ظروفنا قد تغيرت بعد حرب رمضان، إلا أن الآلام التى صورتها فى القصائد الوطنية ما زالت تجرحنا فهل من الغريب أن أقول مثلاً:

جنوب لبنان قرى مروعته.

أوصالها مقطعه

سكانها إلى القبور جثث مشيعه
بيوتهم خرائب منشورة، أعمدة مخلعه
حرائق مندله

لا بل إن الفكرة الأساسية في قصيدة «عناوين وإعلانات في جريدة عربية» ما زالت واردة حيث نحن في الوطن العربي ما زلنا نهزل ونغنى ونرقص في حين تراق دماؤنا وتقطع أوصالنا وترمى جثتنا من شبايك المباني الصهيونية ونحن ساكتون لا نحتج.

ولقد يرد هنا السؤال المشاكس الذي ما زال أنصار نظرية «الفن للفن» يرفعونه في وجوهنا نحن أنصار الشعر الملتزم. فالذي يلوح لهم أن كل التزام في الشعر يوثق الرابطة بين الشعر والتاريخ. في حين أن التاريخ كيان متحول، لا ثبات له. التاريخ ظلال تأتي مع الشمس وتزول مع النهار. والفن يبحث للإنسان عن الثبات والبقاء. فالالتزام في القصيدة- إذا أردت أن أعبر بلغتي عن فكرة المشاكسين- طعنة موجهة إلى ديمومتها وثبوتها وحياة الخلود التي تتطلع إلى أن تحياها. الالتزام على هذا فكرة مناقضة للدوام.

وأقول جواباً على هذا الاحتجاج: إن الشعر يمثل نقطة ذات ثلاثة أبعاد وبعدها الرابع هو عواطفنا نحن القراء في عصر ما. إنني حقاً قد وقفت في هذا الشعر السياسي عند أشخاص زالوا من المسرح السياسي مثل غولدا ماير وكانت رئيسة وزراء إسرائيل المزعومة عام ١٩٧٣ فجاء مكانها الآن إسحق رابين، ومثل نكسن وكان رئيس الولايات المتحدة وجاء مكانه الآن فورد فهل سقطت بذلك قصيدتي «عناوين وإعلانات في جريدة عربية» لأن اسمي غولدا ونكسن قد جاء في العناوين البارزة للجريدة؟ إن الزمن قد تجاوز هذين الاسمين، ولكن هل يمحي حقاً كل ما كان في نفوسنا من قبل؟ هذا ما لا أوافق عليه. إن كل ما كان إنما هو كائن وياق في أبعادنا الداخلية العميقة

الأغوار وإن مسحته سجلات التاريخ. والزمن المحدد بأبعاد ثلاثة لا يزول ولا يختفى وفي وسعنا أن نعود إليه فنجد في أعماقنا لم يتغير. ماذا قال الشاعر الفرنسي بول جيرالدى من قصيدة جميلة له عنوانها «ستيريو سكوب» قال يخاطب حبيبته: - (إن ذاكرتي أكثر أمانة من السجلات فأبعد بها عنى. إن سجلاتك تجرد الماضي السحري من عطره ولونه وموسيقاه) ثم يقول: «إن التذكار شاعر فلا تجعلى منه مؤرخاً» وهذا يعنى أن عواطفنا وذاكراتنا، نحن الذين كرهنا سلوك غولدا ونكسن عام ١٩٧٣، باقية ولها طعمها المر في شفاهنا مهما تبدلت سجلات التاريخ. والتذكار شاعر لأنه يحمل إلينا طعم أحاسيسنا فإذا جردناه من شاعريته وصيرناه مؤرخاً جامداً ليسجل الأحداث ولا ينقل موسيقاها فبذلك نجرد القصيدة من شعريتها. ومعنى هذا أن ديمومة القصيدة لا تأتي من التاريخ وإنما من نفوسنا نحن الذين عايشنا هذا التاريخ. ولهذا فإن أمحاء الأسماء التى رافقت فترة من عمر ذكرياتنا لا يبدل طعم القصيدة النابع من خفايا النفس الإنسانية وماضيها الراسخ فى عقلها الباطن لا يتحول.

يبقى أن نسأل: ماذا سيعنى هذا الشعر السياسى لمن يأتون بعد مائة عام ويجهلون أحداث ١٩٧٣ التى عشناها نحن؟ وهنا يجب أن نتذكر أننا نحن كلنا لن نعنى شيئاً عندهم. إننا سنكون قد حملنا مع أعاصير الزمن إلى غير رجعة. ولم يبق من شعرنا إلا ما يمكن أن يتذوقه إنسان مجرد من التأريخ أصلاً: وهو شعر الحب والبغض والجمال والفكر والفلسفة وأمثالها مما يقتصر عليه اهتمام أنصار الفن للفن.

والسؤال عند هذا هو: هل ينبغى أن نطمس أحاسيسنا اليوم من أجل أن يتذوق قصائدنا حفيد شاعر سيعيش عام ٢٠٧٥؟ هل نترك دماءنا تراق وجثتنا ترمى من شبايك الطابق الرابع من المباني الصهيونية دون أن نصورها فى

شعرنا لمجرد أن نرضى هذا الحفيد الذى يعيش أبعاداً ثلاثة أخرى غير أبعادنا الثلاثة؟ الجواب لا. إن ذلك سيكون منا انتحاراً. لا بل إن سكوتنا قد يقتل هذا الحفيد ويحرمه فرصة يولد فيها فنحن نقاتل بشعرنا وقوافينا من أجله.

كذلك يمكن أن يقال: إن الصورة البغيضة لغولدا ونكسن يمكن أن يسلط عليها حفيدنا شاعر ٢٠٧٥ أضواء حمراء تشخصها فى جرائمها وأعمالها المنكرة فتنبثق القصيدة حية حارة كما انبثقت مدينة (كامبرى) من كوب الشاي فى قصة مارسيل بروست. والصفة العظيمة للتاريخ الممتد فى داخل الحياة الإنسانية أنه ساكن فقط وليس ميتاً. فهو قابل لأن يقفز ويتفجر بمجرد أن نسلط عليه الضياء. والقصيدة الحية تديم التاريخ بكل أبعاده وتعطيه الخلود. وهذا حل المشكلة الفكرية المثيرة التى يبقى أنصار (الفن للفن) يثيرونها فى أوجهنا نحن الملتزمين.

وأحب أن أقف دقائق عند مسألة الشعر الحرّ، ولسوف يجد القارئ أن كل قصائد هذه المجموعة شعراً حرّاً عدا قصيدة واحدة يتيمة هى «الخروج من المتاهة» فهى من شعر الشطرين الخليلى. وهذا الموقف قد يتعارض مع دعوتى المعروفة إلى أن يبقى الشاعر على الشكلين معاً: الشكل القديم والشكل الحديث. والواقع أننى بت أكثر تمسكاً بأرائى المتطرفة التى وردت فى كتابى «قضايا الشعر المعاصر» فى الفصل المعنون «الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحرّ». فإن طراز تفكيرنا اليوم يتعد عن فكرة النموذج المحدد الثابت الذى يمثله شعر الشطرين كما ينأى عن فكرة التناظر الهندسية الصارمة مما ألفناه فى شعرنا القديم طوال العصور السابقة. وإنما هذه فىنا اليوم لفنة مزاجية، والإنسان ميال إلى التغيير والتبديل بطبعه. فهو فى كل مرحلة من مراحل حضارته يستبدل طرائق البناء والزينة والديكوات، ويغير أشكال السجاد وطراز أثاث البيوت. والشعر الحرّ، بأشطره المتفاوتة الطول، الشائرة على الوحدة

الثابتة والنموذج المقتن، وبمساعده على الاسترسال وطول العبارة، يساعدنا اليوم فى الانطلاق من قيود الشكلية الصارمة التى ننفّر منها فى مبانينا وطرّاز مدنا. إننا نجّح إلى عدم التقيد، وإلى التمرّد على النماذج الصارمة المتحكمّة، وهذا هو السرّ فى إقبالنا على الشعر الحرّ، ومحاولتنا التهرب من الثبات والنموذجية فى شكل الشطرين.

وليس معنى أحكامى هذه أن أحد الشكلين: القديم أو الجديد خلو من الجماليّة فى ذاته، أو مقترن بالشناعة والجمود فى ذاته، لأن إقبالنا على أحدهما وفتورنا إزاء الآخر ليس إلّا لفّة مزاجيّة عارضة. وقد يأتى فى المستقبل زمان نعود فيه فنرى الجمال كل الجمال فى فكرة النموذج الثابت. ذلك أن الإنسانية لا تثبت على لفّة ذوقية أبداً. وكل ناقد موضوعيّ رصين، يملك نظرة ذات أربعة أبعاد لا بد أن ينتهى إلى حكم معتدل مضمونه أن إقبالنا اليوم على الشعر الحرّ لا يعنى أن الشكل المقيّد قد مات إلى الأبد، لأن لفّات الذوق تتبدل تبديلاً محتوماً من عصر إلى عصر وكثيراً ما تنتقل الإنسانية من جهة إلى عكسها مع انصرام الزمن. وفى هذا التنقل تنشيط للنفس الإنسانية، وتجديد لحياتها، كما أن فيه تعميقاً للملامح الحضارية وتنويعاً لوجوهها وطرائقها وأشكالها.

وأما تزمت المتزمتين من أنصار الشطرين وتمسكهم بما لديهم وتعصّبهم له وظنهم أنه الدائم الأوحّد، وأما تطرّف المتطرفين من أنصار الشعر الحرّ وما يذهبون إليه من أنه سيكتسح الشكل القديم ويحلّ محله إلى الأبد، فكلا هذين الموقفين يصدر عن نظرة محدودة بالمكان والزمان والظروف، ينقصها البعد الرابع الذى قرره عبقرى الرياضيات أينشتاين. كل هذا أقوله مع أننى، منذ ثلاث سنوات كاملة، ملتصقة أشد الالتصاق بالشعر الحرّ، غير راغبة فى تخطيه والعودة إلى شيء من الشطرين. مع أن هذا يؤلمنى لأنه قد يظهرنى

بمظهر الخارجة على دعوتى إلى ضرورة استعمال الشكلين معاً. ولعلى سأستطيع العودة إلى شكل الشطرين فى المستقبل مع تطورات العصر وتنوع أمزجته. أقول «لعلى» ولايدرى أحد كيف سيتطور مزاجنا، وكيف ستتشكل لمسات إحساسنا بالأشياء وتعاملنا مع الأشكال. ومعنى قولى هذا أن ظروف العصر المدنية تؤثر فى تكويننا الذوقى تأثيراً غير واعٍ. إن طراز المبانى فى شوارعنا الحديثة، وتخطيط مدنتنا، وتنسيق الغرف التى نعيش فيها تؤثر فى لفتات اختياراتنا الأدبية. ولذلك أعتقد أن إقبالنا على الشعر الحر اليوم مفروض علينا نفسياً من العصر كله فلا حيلة لنا فيه. إننا مجبرون على هذا لمجرد أننا نعيش بين هذه المبانى، ونرى هذه اللوحات والصور، ونخطو فى هذه الشوارع. والأمران مرتبطان أشد الارتباط.

ومهما يكن من أمر فإن الشكلين القديم والحديث محدودان اليوم بظروف عارضة تعرقل تقدمهما، وتجعل الفئة المناهضة لكل منهما تسيء الحكم عليه. أما شكل الشطرين فإن كثيراً من نماذجه يقف الآن موقفاً مترمناً رجعياً يجعلنا نزيد نفوراً منه، فليس مجرد الشكل فيه هو الذى يتعارض مع مزاجنا العصرى، وإنما يستثيرنا أيضاً أن لغته تقليدية - فى أغلب الأحيان - وصوره بالية، وأسلوب صياغته ميت. ويهمنى أن ألح هنا على أن الجمود والرجعية ليستا صفتين كامنتين فى شكل الشطرين مرتبطتين به ارتباطاً محتوماً، وإنما هما من الملامح العارضة التى يلقيها عليه شعراء جامدون ينظمون هذا الشعر. أو لنقل إن شكل الشطرين ليس بالياً فى ذاته، وإنما أذهان بعض شعرائه - لا كلهم - هى البالية. ولا بد لنا أن نؤكد هنا أيضاً أن هذه الشكلية البالية يمكن أن تعشش فى الشعر الحر أيضاً لو وجد الشاعر البالى التفكير. ومن شعراء الشكل الجديد اليوم من يأتوننا بقصائد مستهلكة اللغة، بالية الأساليب. وهذه الحقيقة ينبغى أن تشجع شاعر الشطرين وتجعله يفتح قلبه للحياة فيأتينا بشعر

خليليّ عصريّ جديد تجرى في عروقه دماء حارة حية فيها فورة هذا العصر
والفاظه وموسيقاه وصوره ورموزه. وإلا فأنا أخشى أن يموت شعر الشطرين
-ولو موتاً مؤقتاً- وذلك أمرٌ خطيرٌ يعزّ علينا. والمسألة هي ألا ينظم الشعر
المعاصر بلغة ابن الفارض والبهاء زهير لأن ذلك سيكون شططاً لاقدرة لنا على
استساغته. وإنما على الشاعر الحديث أن يعبر بلغة عصره وإلا ولد شعره ميتاً.
ولقد كان شعر ابن الفارض جميلاً وشدّ إعجابنا لأنه عبر بلغة عصره وتخطاها
بالإبداع، فلنكتب مثله بألفاظ معاصرنا ونكف عن التلفت إلى وراء. وأقول
أخيراً، إن بين شعراء الشطرين اليوم جماعة ينظمونه حديثاً معاصراً وهؤلاء
نستنيهم مما قلنا وإنما قصدنا شعراء التكرار البالي والتعابير السقيمة.

أما الظروف التي تعرقل مسيرة الشعر الحرّ -وهو لا يخلو من مثلها شأنه
في ذلك شأن شعر الشطرين- فهي استهانة بعض شعرائه بالعروض واحتقارهم
له، مع ازدراءهم للغة العربية وقواعدها، وتحقيرهم العامد للتراث، ومحاولة
الإغراب وإثارة الدهشة على حساب العقل الإنساني. ومن أبرز هذه الظروف
المعركة ما أسميته بالتعمية -ولا أقول الغموض لأن الغموض ستار جميل فنيّ
يشفّ ولا يحجب، في حين أن التعمية مأخذ فنيّ وعيب يتقص القيمة
الجمالية للقصيدة- وكل هذه المعايير لا تنبع من شكل الوزن الحرّ وليست
ملازمة له. ذلك أنها كلها يمكن أن ترتكب في شعر الشطرين أيضاً لو وجد
الشاعر. ولذلك فإن حملات المتزمتين على كثير من الشعر الحرّ تلقى الوزر
على شكل هذا الشعر في حين أن الضعف كامن لدى بعض شعرائه لا في
الشكل نفسه. إن الشعر الحرّ شكل جميل مكتمل وهو غير مسئول عن ضعف
طائفة من شعرائه وجهلهم وإغرابهم. تماماً كما أن شكل الشطرين جميل في
ذاته وهو غير مسئول عن تقليدية الذين ينظمونه وجمودهم. ولذلك أؤمل أن
يكون رأيي هذا دعوة فعلية إلى الفصل بين (الشكل) المجرد وعيوب الشعر
الذي ينظم في إطار هذا الشكل.

إن الشكل -بصفته المطلقة- صيغة جمالية مبرأة من العيوب، سواءً أكان حراً أو خليلياً. وإنما تأتي العيوب منا نحن الشعراء. هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفظة مزاجية قد تجعله يؤثر شكلاً من الأشكال على سواه. وهذه اللفظة -كما قلنا- ترتبط بسمة العصر الحضارية وليست مجرد نزوة طارئة في نفوس الشعراء كما قد يظن ذوو النظرة العجلى السطحية من النقاد.

* * *

ثم أحب أن أقف عند قصيدتين في هذه المجموعة هما (الملكة والبستان) و(سبت التحرير) وسلاحظ القارئ الذي يتحسس الوزن أنهما غريتان في شكلهما العروضي. والحقيقة أنهما كليهما (بند) وليستا من الشعر الحر. والبند ضرب من الشعر شاع في الرسائل الإخوانية في العراق منذ القرن الحادي عشر الهجري. ولعله لم يحاول شاعر قبلي أن يحوله إلى شعر خالص يخرج عن إطار الشعر الإخواني، ورتابة موضوعاته وجمود صورته، وتقليدية أفكاره. وقد اجتذبنى هذا اللون من الشعر الحر، الذي تتعدد أطوال أسطره، اجتذاباً شديداً وتساءلت لماذا لم يحاول شاعر معاصر أن ينظم منه قصيدة حديثة، فهو وزن حرّ اعتياديّ طبيعيّ، وإن كانت فيه صعوبة. لأنه -كما أثبت بالدليل القاطع في كتابي قضايا الشعر المعاصر- يقوم في كل قصيدة بنديّة على وزنين اثنين هما الرمل والهجج. يستعمل الشاعر من الرمل ضربين هما (فاعلاتن) و(فاعلاتان) فإذا استعمل الأول بقى على وزن الرمل لا يتخطاه. حتى إذا جاء فجأة بشرط ضربه (فاعلاتان) انتقل حالاً إلى الهجج. والشاعر يستعمل من الهجج ضربين أيضاً هما (مفاعيل) و(فعولن) فإذا استعمل الأول بقى على وزن الهجج ولم يتجاوزه. وهو لا يتخطاه إلا إذا جاء فجأة بشرط هزجيّ ضربه (فعولن) فإذا ذاك يعود حالاً إلى الرمل.

وهذا التنسيق قد يبدو صعباً لمن لم يمارس نظم البند. ولكنه حين يمضى فيه سيجده سهلاً جذاباً خاصة لأن وراء هذا الشكل منطقاً موسيقياً دقيقاً. فإن الشاعر لا ينتقل من الرمل إلى الهزج إلا لأن (فاعلاتان) التى جاءت ضرباً للرمل تأتى بالمقطع (علاتان) المساوى للتفعيلة (مفاعيل) تفعيلة الهزج. أما كيف تتمّ النقلة من الهزج إلى الرمل فبورود ضرب الهزج (فعولن) الذى هو الجزء الأول من (فعولن فا) المساوية فى حركاتها وسكناتها للتفعيلة (مفاعيلن) نفسها فكأن الشاعر لم ينتقل من الهزج أصلاً مع إنه انتقل. إن الموسيقى العذبة الجميلة فى هذا الوزن قائمة على هندسية دقيقة تجعل السمع يقبلها قبولاً تاماً. لذلك يتم الانتقال دون أن يقصد الشاعر. أو أن الشاعر ينتقل -إن كان لا يعرف العروض- بالسليقة دون أن يلاحظ أنه انتقل. وتلك، فى نظرى، هى الطريقة التى نشأ فيها البند أول مرة، فلا أظن الشاعر جلس وقن ونسق ورتب للانتقال من وزن إلى وزن وإنما تم ذلك بفطرة موسيقية موهوبة، كما نشأ الشعر كله فى الحياة الإنسانية.

وسأتى بمثل على البند من قصيدة (الملكة والبستان) فى هذه المجموعة وهذا أولها مع تفعيلات كل شطر:

أَرْضُهُ تَبْرٌ وَأَسْرَارُ

فاعلاتن فاعلاتان (رمل)

وفيه ثمر النار

مفاعيلن مفاعيل (هزج)

سيولاً من تساييح وليمون وأسلحة وثوار

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعلتن مفاعيل (هزج)

وفيه يدفق الضوء إلى قلب العناقيد

مفاعيلن مفاعيل مفاعيلن مفاعيل (هزج)

وتخضلّ المواعيد

مفاعيلن مفاعيل (هزج)

تدوس الريح إذ تعبر في المرج سجاجيد

مفاعيلن مفاعيل مفاعيل مفاعيل

من العشب الطرى

مفاعيلن فعولن (هزج)

إنه بستان ثوار وزيتون شدى

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن (رمل)

في ثراه القمرى

فاعلاتن فعلاتن (رمل)

ولابدّ لى أن أتبه إلى أننى وقعتُ فى استعمال (مفاعلتن) تفعيلة مجزوء الوافر فى الشطر الثالث. وهذا يعتبر خطأ عروضياً لمجرد ورود مفاعيل -بضم اللام- المكفوفة فإنها تفعيلة هزجية لأن الكف لا يرد فى مجزوء الوافر. أقول هذا وأعتبره خطأ مع أن القدماء من شعرائنا قد وقعوا فيه قبلى مثل السراج الوراق، كما وقع فيه الشعراء المعاصرون أيضاً. وليس فيه ضير كبير فى نظرى ولذلك استعملته فى كل قصائد البند التى نظمتهما فقيها ترد التفعيلة (مفاعلتن) الوافرية، مع الكف الذى هو ظاهرة هزجية خالصة. كذلك يجب أن أعترف بأن شعراء البند القدماء لم يأتوا بتفعيلة الوافر فى سياق البند -فيما أعلم- فإن بنودهم كانت كلها من الهزج والرمل، أو من الهزج وحده أحياناً، فى حين جاء بندى أنا أحياناً من مجزوء الوافر والرمل وهذه إضافة أضفتها أنا إلى البند وأرجو أن تكون مستساغة. وسبب استساغتها أن تفعيلة مجزوء الوافر (مفاعلتن) يصيها العصب فتحول إلى (مفاعيلن) تفعيلة الهزج نفسها. ونحن العروضيين لانستطيع التمييز بين مجزوء الوافر المعصوب، والهزج إلا بشيء

واحد هو أن الكفّ - وهو حذف السابع من مفاعيلن - يدخل الهزج ولا يدخل مجزوء الوافر المعصوب. ومن ثم فأنا عندما أنظم بنداً من مجزوء الوافر - مع ورود تفعيلة أو تفعيلتين مكفوفتين - فلست أرتكب شططاً وهذا ما احتملته حتى أسمع القدماء من شعرائنا أحياناً.

ومهما يكن فإن محاولاتي في إدخال البند إلى شعرنا الحديث مجرد احتمال أطرحه في ساحة هذا الشعر، فإذا وجد الشعراء فيه موسيقية وجمالاً فليستعملوه. إنه يفتح لنا مجالات جديدة في الشعر الحر. ولمن شاء التوسع في دراسة البند أن يرجع إلى كتابي (قضايا الشعر المعاصر) حيث درست خطة وزنه بتفصيل كاف يساعد الشاعر الذي يحب أن يجرب قلمه في هذا اللون المتفرد.

ولابد لي أن أشير في هذه العجالة إلى أن لشكل البند - مثل كل شكل شعري - تأثيراً أكيداً في مضمون القصيدة التي يحتويها، فليس استعمال وزنين مجرد غواية عابثة وقعت فيها. وإنما اخترتُ لوزن البند - في هذه المجموعة - قصيدتين انتفعتا بشكله. ولا أريد الآن أن أكشف الأسرار التعبيرية التي يضمها هذا الشكل، وإنما أكتفى بطرح الموضوع الذي سيجابه الجمهور العربي أول مرة. تاركة التقنين والتحليل إلى فرصة أخرى، ومرجئة دراسة تأثيرات شكل البند في مضمون القصيدة إلى المستقبل لأن شكلاً ما ينبغي أن يشق طريقه أولاً بموسيقاه وبمعزل عن تحليلات الشاعر له وتقنياته.

وأقول إن الجمهور العربي سيجابه البند أول مرة، لأننا قبل اليوم ألفنا - أن نعتبره كما عبر الناقد عبد الجبار داود البصري (ظاهرة دواوينية ميتة) والأدباء كلهم لا يرون أملاً في أن نبذع شعراً معاصراً من هذا الشكل «البالي» كما يظنونه. وأنا - كما سبق أن قلت - لا أجد ارتباطاً بين الشكل والتقليدية وهذه مسألة نقدية أو من بها أعمق الإيمان. لذلك حاولت تحويل (البند) إلى قصيدة

حديثه . وكل ما أرجوه أن يكتب النجاح لمحاولتي فنضفى على هذا الشكل الجميل روحاً حديثاً ولعله أن يستعمله فى المستقبل شعراء أحدث منى فيعطوه من الجدة مقداراً قد لا أكون حققته أنا . وكل بداية قد تتصف بالوهن . هذه هى الصفة العامة لكل البدايات على العموم إلا إذا شاء الله غير ذلك ، وحقق شاعر الكمال منذ البداية .

* * *

أحب أن أقف كذلك عند الوزن الغريب الذى كانت منه قصيدتى «أغنية للصغيرة دالية» ، ودالية هى طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوى ، وحكاية هذا الوزن أننى كنت أكتب رسالة إلى عبده فذكرت فيها طفلته (دالية) وسألت الله أن يجعلها كما قلت نصاً «خضراء بَراقة مغدقة» . وعندما انتهيت من كتابة الرسالة وراجعتها لفتت نظرى هذه الكلمات الثلاث لأنها رنت فى سمعى موزونة على «مستفعلن فاعلن فاعلن» ومع أن هذا وزن غير مستعمل سابقاً فى الشعر العربى فقد لاح لى موسيقياً إلى درجة مقبولة . ولذلك أمسكت بالقلم فوراً ورحت ألعب بالوزن فى تحية للطفلة . (دالية) أكملت بها الشطر الأول الموزون الذى جاء عرضاً دون أن أزنه عامدة فكتبتُ :

خضراء بَراقة مغدقة	كأنها فلقية الفستقة
شفاهها شفق أحمر	كم حاول الورد أن يسرقه
الشعر سبحان من لمه	والصوت سبحان من رققه

وسرعان ما اكتملت القصيدة . وليس من عادتى أن أثبت شعر الإخوانيات فى مجموعاتى الشعرية . ولكنى فى هذه الحالة معنية بالوزن الجديد الذى اخترعته دون أن أتعمد الموسيقى . وقد راق الوزن للصديق الشاعر عبده بدوى فردّ على قصيدتى فى رسالته الجوابية المؤرخة ٣٠ / ١٢ / ١٩٧٣م بآيات عارضها بها وتغنى بطفلته ومنها قوله :

كانت وراء المبنى وردة	وفي ضمير السنا سقسقه
وحين زفت شدا نورها	فهز أيامى المطرقه
حتى إذا كان منها الشذى	والخطو والبسمة المورقه
والكرم فى لثغة عذبة	والطير فى أحرف مطبقه
هزّت من الشعر ينبوعه	ومن رفيف السنا أعمقه

وقد رأيت أن أطرح هذا الوزن على الجمهور الأدبى، كما قد تطرح كل تجربة فى الوزن، لعلّ فيها ماينفع فإذا كانت غناء ذهبت جفاء ولن نأسف عليها. أما إذا شاء شعراء آخرون أن يستعملوا الوزن فسنكون قد أضفنا جديداً ما إلى أوزاننا فى هذا العصر، وسأسمى هذا الوزن «الموفور» لوفور أوتاده، مثل الوافر، جرياً على طريقة المقنن الأول الكبير الخليل.

* * *

ومما أحب أن أشير إليه أيضاً أننى كنت فى عام ١٩٥٣ قد نظمت قصيدة فى ثلاث أغان سميتها «ثلاث مرات لأمى» وقد نشرتها مجلة الآداب إذ ذاك ودخلت فيما بعد فى مجموعتى «قرارة الموجة» وفى سنة ١٩٥٧ نظمت قصيدتى المعروفة «خمس أغان للألم» ونشرتها مجلة الآداب أيضاً وقد ترجمت هذه القصيدة إلى لغات أوربية مختلفة. وراقت فكرة نظم قصيدة موحدة فى أكثر من أغنية واحدة للشعراء فاستعملوها كثيراً ونظموا أربع أغان وستاً وعشراً ونحو ذلك. وقد بقيت منذ ذلك الحين أتمنى لو اخترعنا اسماً لهذا الصنف من القصائد، واهتديت الآن إلى أن نقول بدلاً من «ثلاث أغان» مثلاً «ثلاثية» وبدلاً من خمس أغان «خماسية». ومضيتُ فى تنفيذ هذا فأطلقتُ على قصيدتى فى هذه المجموعة «ثلاثية فى زمن الفراق» وهى فى الواقع ثلاث أغان نظمتها خلال فترة فراق. وأنا أرى أن هذه التسمية أفضل

من ذكر عدد الأغاني ويمكن الوصول بها إلى أى عدد فنقول: «سباعية» و«تساعية» و«عشارية» و«اثنا عشرية» على الصيغ العربية. ومن حق اللغة والشعر علينا أن نحاول دائماً وضع تسميات للأغماط الجديدة ننمى بها لغتنا إنماءً معاصراً نضيف به جديداً إليها ونسهل على أنفسنا مهمة التعبير عن الأشكال الحديثة التى لم يعرفها أسلافنا.

وبعد فهذه قضايا شعرية أثارتها فى ذهنى مجموعتى هذه وهى على وشك أن تلقى القراء. وقد ألفتُ ألا تطبع مجموعة لى إلا بعد أن أكون تخطيطتها بما فيها من قيم شعرية بمجموعة تالية لها تبدو لى أكمل وأحب. وهذا قدرى ومصيرى. فكل مجموعاتى السابقة بلا استثناء قد عانت هذا. وهو أمر فلسفتهُ فى مقدمة الطبعة الثالثة لمجموعتى (قرارة الموجة) الصادرة بالقاهرة عام ١٩٦٨ - والواقع أن إنسانة جديدة قد ولدت فى عام ١٩٧٤ لا أدري ما أسميها الرابعة أو الخامسة أو العاشرة. وستولد بعدها أخرى وأخرى، وأنا ذاهبة للقاء شاعرة جديدة تنبع من خفايا المستقبل وتحل محلّ الشاعرة القديمة فى نفسى. وهو الحدث الذى يتكرر بلا انتهاء لأن حياتى صيرورة مستمرة لا توقف لها.

نازك الملائكة

الكويت فى
١٠ ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ
٢١ نيسان ١٩٧٥ م

سوسنة اسمها القدس

إذا ما عويلُ رياح المنايا
غداً مرَّ يمحو صدى عُمُرنا
وصيرنا الموتُ مائدة الدود،
واستنبت العوسجَ المتشعبَ في شفتينا وفي شعرنا
وسافر طوفانهُ في شواطئنا الخضر
غَلغلَ مسراه في جُزرنا
إذا نحنُ متنا وحاسبنا اللهُ:
قال: ألم أعطكم موطناً؟
أما كنتُ رقرقتُ فيه المياهَ مرأياً؟
وحلَّيتهُ بالكواكب؟ زيتتهُ بالصبايا؟
وعرَّشتُ فيه العناقيدَ، بعثرتُ فيه الثمرَ؟
ولوَّنتُ حتى الحجرَ؟
أما كنتُ أنهضتُ فيه الذُرَى والجبال؟
فرشتُ الظلالَ؟
وغلَّفتُ وديانهُ بالشَّجرَ؟
أما كنتُ فجَّرتُ فيه الينابيعَ، كلَّلتُهُ سوسنا؟
سكبتُ التَّألقَ والإخضرارَ على المنحني؟

جعلتُ الثرى عابقاً لينا؟
أما كنتُ ضوأتُ بالأنجم المتحدر؟
وفى ظلمات لياليكمو، أما قد زرعتُ القمر؟
فماذا صنعتم به؟ بالروابي؟ بذاك الجنى؟
بما فيه من سكر وسنا؟

سيسألنا الله يوماً، فماذا نقول؟
نعم! قد منحنا الذرى والسواقى ومجد
التلول

وهذب النجوم، وشعر الحقول
ولكننا لم نصنها

ولم ندفع الريح والموت عنها
فباتت كزنبقة فى هدير السيول
نعم! ودفعنا بأقمارها للأفول
وقامر جهالنا بالضحى،

بالربى،

بالسهول

بسوسنة اسمها القدس، نامت على ساقيه
إلى جانب الراية
وفوق ثراها انحنت دالية

وَتُمْطَرُ فِيهَا السَّمَاءُ خُشُوعًا، تُصَلِّيُ الْفُصُولُ
وَيَرْكَعُ سُنْبُلُهَا، تَتَهَجَّدُ فِيهَا الْحُقُولُ
وَعَبْرُ مَسَاجِدِهَا الْعَنْبَرِيَّةُ أُسْرَى الرَّسُولِ
فَمَاذَا صَنَعْنَا بِوَرْدَتِنَا النَّاصِعَةِ؟

إِلَهِي تَعْلَمُ أَنْتَ، مَاذَا صَنَعْنَا
بِوَرْدَتِنَا، قَدْ نَزَعْنَا، نَزَعْنَا
وَرِيقَاتِهَا وَدَلَقْنَا شَذَاهَا الْخُجُولُ
وَهَبْنَا صَبَاَهَا لِأَذْرَعِ غُولِ
لَأَشْدَاقِ عَقْرِبَةٍ جَائِعَةٍ
فَكَيْفَ إِلَيْهَا الْوُصُولُ؟
وَنَخْشَى غَدًا أَنْ يَجِيءَ الضَّبَابُ،
وَلَيْلُ الضَّبَابِ يَطُولُ
وَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ أَقْدَامِنَا وَالْوُصُولِ
وَقَدْ تَمَطَّى عَصُورُ الضَّبَابِ بِنَا، وَتَزُولُ
كُؤَاكِبُنَا ثُمَّ تَأْتِي السِّيُولُ
وَتَجْرِفُ شَتَلَاتِنَا، وَتَطُولُ
ظِلَالُ الْكَأَبَةِ نَغْرَقُ فِي غَمَرَاتِ الذُّهُولِ
وَتَأْتِي الرِّيحُ وَتَمْسَحُ جَنَّتِنَا الضَّائِعَةِ

وتخبر أمانينا، وامتداداتها الشاسعة
ويطوى الذبول
سنابلنا ربّ عفوَك، ماذا نقول
وفي عتباتك كيف تُرى سيكون المثل؟
فأنت منحت الجناحَ الطليقَ، ونحن اخترعنا القيودَ
وهبتَ لنا القدّسَ أنتَ، ونحنُ
دفعنا بها لليهودَ
دفعنا بها يا إلهي، نعم،
دفعنا بها لليهودَ

الكويت في

١٢ ربيع الآخر ١٣٩٣هـ

١٤/٥/١٩٧٣م

سَهَر

حُبُّكَ يَا سَهَرٌ
يَسْكُنُ فِي الشَّغَافِ وَالْبَصَرِ
حُبُّكَ أَمْ صَلَاةٌ
وَالِهَةُ الْخَشَوَعِ؟ أَمْ رَعِشَةُ شَوْقٍ تُشْعِلُ الشِّفَاهُ؟
أَمْ رَقِصَةٌ سَحَرِيَّةٌ يَرْقُصُهَا غَجْرٌ؟
أَمْ أَنْتَ سَكْرُ الدَّمَوَعِ عِنْدَ صَوْفِي يَحِبُّ اللَّهَ؟
فِي سَهَرِي تَخْطِفُنِي عَيْنَانِ؟
أَمْ تَسْرِقُنِي إِغْمَاءَةُ الْأَلْحَانِ؟
أَمْ يَصْرَعُنِي وَتَرٌ؟
يُضْيِعُنِي فِي غَابَةِ الصُّورِ.

حُبُّكَ يَا سَهَرٌ
أَمْ فَرَحَةُ الْمَطَرِ؟
عَلَى الثَّرَى الْوَلَهَانِ تَحْتَ حَرَقَةِ الْهَجِيرِ
بَعْدَ شُهُورِ سِتَّةٍ مِنْ لَمَسَاتِ الْمَطَرِ الْأَخِيرِ
حُبُّكَ يَا سَهَرٌ
عَطْرُ زَنَابِقٍ نَدِيًّا قَدْ انْهَمَرِ

على مسائي نائراً فجراً من الأنغام والصُّورُ
وباسطاً تحت خدودي الضوءَ والحريزُ
مُضَيِّعِي فِي سَكْرَةِ الْعَبِيرِ

وَأَنْتَ يَا سَهْرُ
ضوءٌ من السماء فوق هُذُنِي انْتَرُ
كَوَاكِبُ بِنَفْسِجِيَّةٍ،
قد نَعَسْتُ فِي وَهَجِ الْمِيَاهِ
تَسْبِيحَةً تَهْمِسُهَا مَآذِنُ فِي وَلَهِ الصَّلَاةِ
يَا لَذَّةَ حَزِينَةٍ، يَا قُبْلَةَ الْإِبْرِ

خَذَنِي يَا سَهْرُ
حَبِيَّةٌ تَضُمُّهَا، تَأْسُرُهَا، تُطْلِقُهَا،
تَقْتُلُ مَا تَشَاءُ مِنْهَا أَنْتَ يَا سَهْرُ
تَلْمَسُ خَدَّيْهَا شِفَاهَا تَشْرَبُ الدَّمْعَ
وَتُشْعِلُ الشُّمُوعَ
فِي مَقْلَتَيْهَا بَانْعِكَاسَاتٍ مِنَ الْقَمَرِ
جَوْعٌ دَمَوَعِي،
أَوْ أَذِقْهَا ثَمَرَ الضَّوِّ

وذوَّبَ عبرها الصُّورُ

يا أنتَ، يا هوايَ، يا سَهَرُ

يا سَهْرِي، يا فَجْرُ، يا مِيلادُ

سنبِلتي المُنمَى عليها من أريج المرج والحصاد

يا مطلع الحنان من أفق العيون السودُ

تغطس في بحور أشواقى شفاه الوتر المشدودُ

وهُدب عيني نابتٌ في جُزُر السَّهادُ

وليلتي رَمادُ

وفي دموعي اغتسلتُ كلُّ جراح العودُ

أهواك يا سَهَرُ

يا لمعة القمرُ

في عمق مرآة دموعي، يا روى النَّظَرُ

ويا اختلاجات الندى في ورق الشَّجَرُ

أهواك يا ارتواءتى، يا عطشى

يا حُرْقَةً معصورةً من ليلَى المرتعشِ

يا فرحة الدمع، ويا قساوة المطر

من أنت يا سهر؟
أحضر حبٌ يحتوينا في الدُجى؟
أم إصبعُ القدر؟
هل جئتنا بخنجر الجراح؟
هل تسكبُ الدموع في جوارنا، وتُشرع
الأقداح؟
يا شفرة الرياح
يا ممطر الأحزان والأفراح
لن ينفع الحذر
ونحن ما أسرع ما يصرعنا السهر
سكينه يهدى لنا العتمة والمصباح
ويمسحُ الدماءَ عما
في أغانينا من الجراح
واللون في شفاها يزداد وهجاً
في الدياجير ويختصر

يحملني السهر
إلى حبيبي في أراجيح من الزهر
وحول وجهينا الحزينين السماواتُ ارتمتُ

أبعدَ مما يصلُ النَّظْرُ
تكسرت من حولنا أشعةُ النجومِ
وانتشرت غداثُ الغيومِ
وامتقع القمرُ
ونحن ضعنا، لم نجد
لنا، لشخصينَا بوادي الليلِ من أثرِ
ولم نزلْ نجمين مفقودين في مجاهل السَّهرِ

خذني يا سهرُ
إلى حبيبي تحت نصف الضوء في السَّحرِ
عبرَ المسافات لنا لقاءُ
مُضيَّعين في سماوات من الضياءِ
ولا نهايات غريقات المَدَى زرقاءُ
موسقها القمرُ
خذني يا سهرُ

إلى حبيبي واقطف القلب لهُ
تعريشةً مبهورة الثمرِ
فتحت عينيه أنا سأسهرُ القدرُ
وأسهرُ الزمان أطوى اللانهاياتِ

على أجنحة الوتر
وأدمعى العذبة لى رفيقة السقر
وبسمة شاحبة على فمى، ودمعة خرساء
ووردة حمراء تحت الثلج فى شتاء
ومنية المطر
فى شفة الصحراء

أنا ومن أحبُّ يا سهر
أرجحنا القدر
واندرف القلبان دمعاً،
سخن الشوق،
وساق الوردة انعصر
ونحن يا سهر
طفلان مرميان
طفلان سهرانان ضائعان
يلملمان الدمع والأصداف عند شاطئ البحر
طريقنا الساهر مزروع بورد الحزن والحنان
والعود فى أحضاننا انكسر
تقطعت أوتاره، وانفردت

كلُّ المفاتيح على الحجرِ
تساقطتُ جنائزُ الحجازِ والصَّبَا
وانهمرتُ في البُعدِ غيمةً،
وانكسرتُ من حولنا الرُّبَى

وانثرت أعمارنا،

أعمارنا،

أشعارنا

واللونُ في خدودنا خَبَا

وأنتَ ما أهدى لنا القَدَرَ

يا مَطَرَ الحنانِ، يا سَهَرَ

صباحنا سَهَرَ

وليلنا سَهَرَ

ضباعنا في لا نهايات الهوى سَهَرَ

من سَهَرِ أهدابنا مبلولةً

من سَهَرِ أنغامنا مقتولةً

والسَهَرُ الوسنانُ في عيوننا فترَ

وانهمر المَطَرُ

واغتسلَ القمرُ

في دمعنا، ونجمنا،
فيما وراء الأفق انحدر
والغسق الواله، ألقى شوقه
في البحر وانتحر
حبيبنا، يا قبلة السكين، يا سهر
عيوننا باتت سريراً والهأ
فارقاً وعشش أنت والقدر
قد خضع الوتر
يا طفلنا العذب وقد تهجد النظر
مختبئاً في أدمع غريقة في سحب الصور
نحن تصوفنا هنا،
وأنت صوفي أغانينا السهاري،
أنت يا سهر!

الكويت في

٤ ذي الحجة ١٣٩٣هـ

٢٨ / ١٢ / ١٩٧٣م

أَقْوَى مِنْ الْقَبْرِ

يوم ٥/٥/١٩٧٣ - انبعث صوت أمي مسجلاً على شريط وهي تلقى شعرها، بعد أن فقدنا صوتها عشرين عاماً، منذ وفاتها شهيدة سنة ١٩٥٣ ودفنها في لندن.

بجنّاحين من حُرقة وحنانٍ
صَوْتُ أُمِّي أَتَى عَابِقاً مِنْ وَرَاءِ الزَّمانِ
من وراء مدى اللانهاية، من شُرُفات مكانٍ
خلف أُفق رِوَايَ، وخلف العِيَانِ
من وراء حُطّام المزارع، من عَطَشِ الإنسانِ
في سهول فلسطين، في ليلها السَّهْرانِ
من وراء حقول الضبابِ
وجدار العذابِ
من متاهات لندن، حيث الدجى والدخانُ
جائمانِ على صدرها جائمانِ
وعلى قبرها ينحنى كوكبانِ
وترفُّ على حزنه وردتانِ
في متاهات لندن حيثُ السنونو يموتُ
ويحيا الغرابُ

حيث كنا عطاشاً إلى شفة الأكواب
فسقينا السراب
حيث جرّحنا الموت، واحترقت شفّتنا
وأكلنا أسانا
وغمسنا أناشيدنا في الضباب
ونسجنا لأعوامنا كفنّاً وقبرنا رؤانا
وتعقّبنا دمعنا واشترانا

صوتُ أمي أتى دافئاً كأريج التراب
في مروج فلسطين، صوت انسياب
لجداول مُغمى عليها من العطر. صوتُ
انسكاب
لرحيق كواكب فجرية بيضاء
بضة الأشداء

ينحني كوكبان على القبر يا أمي
وترفُّ على صمته وردتان، فمن أين يا أمي
جاء هذا الشحوب؟
ما تُراه إذن سرُّ هذا النضوب؟
فجيبك ليل، ولون الشفاه قطوب

ووراء عيونك حُزنٌ غروبٌ
يختفى وجهك العذب في غيمٍ
يتساقط نجم على نجمٍ
وأهلَّتكَ الغامراتُ تصير إلى فحمٍ

كلَّ يومٍ تموتين في القُدس، كلَّ صباحٍ
يقتلونك، تنقل أخبار موتك سودُ الرياحِ
تسقطين شهيدَه

في الشَّعَابِ القريّة والطُرُقَات البعيدَه
ترقدين مُخَضَّبَةً بدماء العقيدَه
تقعين بنابلس مُخَنَّةً بالجراحِ
وتهيمن ظمأى شريدَه

في دروب الظلام وحيدَه
تسكنين جراحَ القصيدَه
فالخيامُ البريئةُ يُقَصِّفُ سكَّانُها وتباحُ
والجراحُ التي نَشَفَتْ حفرتها جراحُ
والدموعُ القديمةُ تغسلُها
كلَّ يومٍ دموعٌ جديدَه
خَسِيَ الدَّمْعُ، إنَّ الخيامَ عنيدَه

وأمانى العدو بليده

والنجوم بعيدة

كثُرَ القتلُ يا أمى

وتعدّد موتك حين رأيتِ حمانا

يُسْتَباحُ ونُرْمى ولانرمى

والعدو يصادرُ حتى تسايحنا وكرانا

وطفولتنا ودمانا

ويعشّش ملء بساتيننا وقرانا

يسكن منا مزقَ الدم والعظم

وترين عدوك يا أمى

يتبادل أرضك، أرض الجدود، هدايا

وله النصر فى كلّ حرب، ونحن الضحايا

المأذن والعتبات تُساقُ سبايا

والقرائين حول نحور الصبايا

يقطعون سلاسلها بالسكاكين يا أمى

وتثورين فى القبر يا أمى

تستحيلين جرحاً ينايعة القانيه

تصبغُ الحلمَ والموتَ، أمطاره تهْمى

وقصائدك الداميه
ملحها يُشعل الحزن والنار في عظمي
وأحسُّ لظى غليانك في جسمي
وأضيع كياني وأغيتي واسمي

وأحسُّك، أمي، في قبرك العربيّ الحزين
في الثرى الأجنبيّ، أحسُّك ترتعدين
تدفعين الردى في عناد، وتتصبين
يستحيلُ ترايبك عاصفةً، يُصبحُ الياسمينُ
فوق قبرك لغماً يُقاتلُ
وعظامك تُصبحُ تكبيرة وقنابلُ
وقصائدك المُحرقات تهزّ كرى الحالمين
تنهضين من القبر غاضبةً تنهضين
من دمائك ينطلق الصاروخ وتتففض
السكينُ

من شفاهاك تنمو المروجُ، وتعلو السنابلُ
وعلى رَجْعِ شعرك يورق غُصْنُ الجليلِ
تنهضُ القُدسُ، تزحفُ أنهارنا، يستحيلُ
صمتنا خنجراً، مدفعاً، ويصيرُ النخيلُ

لَهَبًا زاحفًا ويُقاتِلُ
وتُحاربُ أعداءنا سُرقَاتُ المنازلِ
والشباييك،
والبحر،
والْمُنْحَنَى،

والمناجل
ويُحاربُ حتى النسيمُ البليلُ
وعلى رجعِ شِعْرِكَ ينهضُ كلُّ قتيلٍ
يتحدّى صواريخهم، يتحدّى المقاصلُ
وعلى رجعِ شِعْرِكَ سوفَ تسيلُ الجداولُ
وتحنُّ الحقولُ لوقعِ المعاولِ
ويصيرُ الظلامُ نهارَ مشاعلٍ
آه، أمّى، وتستقبلين
يومَ نصرٍ، وخصبٍ وضيءٍ الجبينِ
عربيَّ الجدائلِ
عربيَّ الجدائلِ

الكويت في

٨ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٠/٥/١٩٧٣م.

الهجرة إلى الله

عرفتك في ذهول تهجدى، وقرنقى أكداس
عرفتك في اخضرار الآس
عرفتك في يقين الموت والأرماس
عرفتك عند فلاح يبعثر في الثرى الأغراس
وتزهر في يديه القاس
عرفتك عند طفل أسود العينين
وشيوخ ذابل الخدين
عرفتك عند صوفى ثرى القلب والإحساس
عرفتك في تعبد راهب في خشعة القداس
عرفتك ملء موج البحر يركض حافى
القدمين
وأهداب العيون الزرق واستغراق الشفتين
عرفتك في صدى الأجراس
عرفتك ملء ليل يُمطر الدنيا
خيوط رؤى، وعطر نَعَاس
وتلقى في طريقى الورد أكداساً على أكداس

وتسقينى بأعلى كاسٍ
وجدتك ماثلاً فى ضلع أغنيّه
وفى حُزن الدياجير الخريفية
وجدتك تحت جرح الوردة العطشى
وجدتك فى التراتيل المسائية
وتبنى تحت أستار الدجى عشنا
لقبرة مروعة وقمرية
للأجثة مشردة وأضلعها على الأحزان
مطوية

لقافلة مهاجرة عن الأوطان منفيه
وجدتك ترسل المطرا
ترشّ يباب أرضٍ غير مسقيه
وترويها بأكواب سماويه
تعلق فى سماء وجودنا قمرا
وتهديه إلى ليلة أحزان ضبايه
وتمنحه إلى بيارة ظمأى
حشائشها من الأمطار منسيه

وجدتُكَ تَبْذُرُ الإِصْرَارَ ملء سواعد العمّالِ
رأيتُكَ تَرْدَعُ الزَّلْزَالَ
عن القرية والصبيان والمسجدِ
رأيتُكَ سَكْرًا في لثغة الأطفالِ
وتعطى اللحن سحرًا وإن لم يسأل المُتَشَدِّ
وتأتينا بلا موعدِ
وتفتح مُغْلَقُ الأَقْفَالِ
مليكي، أنت طعم الصيف في عُمُرِي
وأنت تألق الأَقْمَارِ
هواك كواكبٌ وبحارُ
طموحُ المدّ أنت، وأنت سرُّ تَحْرُوقِ الجُزْرِ
وأنت خصوبة الأشعارِ
وأنت عذوبة الواحات في قَفَرِي
وأنت تبلّج الأسرارِ
وأنت تدفقي أنت انبثاق الضوء والعطرِ
نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئ الخُضْرِ
وفي رُوحِي سكبت النارُ

لك الأورادُ والصلواتُ أنثرها
فدا عينيكَ يا ملكي، يواقيتي أكسرها
وبين يديك أوراقى وأعوامى أبعثرها
أجىء وعودى المبهور منخطفٌ من العطر
بصلى الوتر المشدود ولهاناً
ويهمس باسمك الشّعري
لعلك ممطري ورداً، لعل رؤاى تغمرها
شذى فتفيض بالأصداف والمرجان أبحرها
ويركعُ نشوةً ياقوتها القانى وممرها
زوارق حاضرى فى جدول الذكرى تسيرها
وأيامى بعطر ضيائك الشفاف تمطرها
ينابيعى تفجرها
وأعماقنى تطهرها
وأشعارى السماويات ينبع منك سكرها
وحسبُ لحونى الولهات أن حبيبى الملكى يذكرها
ولمس الله، لمس الله
يلونها، يعطرها
يرقرق سره فيها وينثرها
على القارات، فوق عرائس الغابات والأمواه
أريج هدى، ولمس صلاه

مليكى طالت الرحلة، طالت، وانقضت أحقابُ
وبين عوالمٍ مقفلةٍ أبحرتُ، أسألُ، أسألُ الأبوابُ
حملتُ معي جراحاتِ الفدائيينُ
وطعم الموت في أيلول، طعم الطينِ
حملتُ معي هموم (القدس) يا ملكي وجرح (جنين)
وليلاً شاهق الأسوار لا ينجابُ
فأين البابُ؟ أين البابُ؟
قراييني مكدسة على المحرابِ
وقرآني طواه ضبابُ
وذلة مسجدي الأقصى تقلبني على سكينِ
ولا معتصمٌ أدعوه، لا فينا صلاح الدينِ
ننام الليل، نصحو الفجر مجروحينِ
ومطعونين، مقتولينِ
وأنت غضبت يا ملكي، تبارك وجهك الغضبانُ
فكيف نهادن الطغيان؟
وكيف نصافح الشيطان؟
ألم تُخصب مدائننا بعطر الورد والقرآن؟
فكيف نبيت مسبيين؟

وكيف ننام متفيين
عن الأوطان؟
أكاليل الزهور ذوت سوى زنبقة الأحزان
مساكننا على فوهة البركان
وأنت تظل يا ملكي، مع القتلى، مع الجرحى
تظلُّ مرابطاً سهران
ونحنُ هنا أضعنا الدين
وقاتلنا أحبنا الفدائيين
سكبنا الدم في بيروت، أهرقناه في عمان
بأيدينا جعلنا أرضنا مقصلة الإنسان

الكويت في

٢٨ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ

١٩٧٣/٦/٢٩م

الملكة والبستان

[أذاعت وكالات الأنباء يوم ٨ / ٤ / ١٩٧٣ أن اليهود
فى إسرائيل أهدوا إلى الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا
قطعة أرض فى فلسطين المحتلة وأنها قبلت الهدية
تعبيراً عن صداقتها مع الطائفة اليهودية]..

أرضه تُبرُّ وأسرارُ
وفيه تُثمرُ النارُ
سيولاً من تساييح، وليمون، وأسلحة، وثوَّارُ
وفيه يدفقُ الضوء إلى قلبِ العناقيدُ
وتخضلُ المواعيدُ
تدوسُ الريحُ - إذ تعبرُ فى المرج - سجاجيدُ
من العُشبِ الطرى
إنه بستانُ ثوَّارٍ وزيتون شدى
فى ثراه القمرى
سنديان، ونهور، وتواريخُ قديمة
لم تزل فيها بقايا غمغاتٍ من ترائيلٍ وخيمه
نقلتُها شفةُ الريح وألقى
عبرها ليلُ فلسطين همومة
ونداه وغيومه

وقع البستان فى الأيدى اللئيمة
صادر الباغى نسيمة
ويداهُ بعثرت نسرتهُ، جزّت كرومة
حصدت حنطتهُ، أوراده الحرّى، نجومه
وعلامات الجريمة
أغمض العالم عنها مقلتيه، وطواها فى الأضابير
زواها بين أكداس التقارير
ومالكُ ذلك البستان قد شرّد فى تيه الأعاصير
فلا تذكره إلا العصافير
ولا تبكى عليه غير أخشاب النواعير
يرى تربتهُ مسيةً، يُنصر تهويد الأزهير
وبلور سواقيه مباح للخنازير
وأهلوه عطاشٌ فى الخيام
سكنوا فى شفة الجُرح بقايا من عظام
ويريد العالمُ الناسى لهم أن يتغنّوا بالسلام
ويعيشوا فى وئام

ثم ماذا؟ هُرِعَ السارقُ يهدى الملكه
فلذةً من حقلنا مخضلةً عذراء مثل الليلكه
وتلقت بالقبول الملكه
وانحنت تغمره بالبركه
بهرتها ظلل الخُضرة في أشجاره المشتبكه
واستباها قمرٌ في ليله، من فضةٍ منسبكه
لم تر البستان مصبوغاً بأنهار الدم المنسفكه
وتناست يدها أن تسأل اللص:
وهل تُهدى الربى المتهكه؟
ألف عذر منك يا سيدتى، واعلمى أن الصهايين لهم
منطقُ الذئب، وذوقُ السمكه
واسألى يا ملكه!
دمُ قومي من ترى قد سفكه؟
واصبرى حتى نلاقيهم غداً في غليان المعركه
فعميقٌ وطويلٌ دربنا، وفقيدٌ ضائعٌ من سلكه
يعبر التيه وسيناء خطى مرتبكه
ثم يهوى ميتاً يا ملكه!

واسمعى سيدتى صوتى أنا، صوت فلسطين
حقولى لم تزل ملكى بما فيها من القمح، من الشمس،
من الطين
وأرضى هذه دربُ النبوات وميلادُ القرائين
حصاها خاشعٌ لله، والوردُ قرابينُ
فلن أتركها مصلوبةً عند الصهايين
ممزقة، مفتحة الشرايين
وعرش البغى لن يطلع من جرح الملايين
فأجراحي ستنمو بين أيديهم ثعابين
وأنهارى سكاكين
وآبارى - إذا اغترفوا - براكين
وما لهمو على رملى عناوين
وليس لهم - إذا دققت سيدتى - بساتين
وليس لهم بساتين

الكويت فى

١١ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ

١١-٧-١٩٧٣م

رحلة على أوتار العود

ياخذني من يد أحزاني في رحلة حبٍ صيفيه

ويداً بيدٍ أنا والأوتارُ

نرحل نحو بلاد الأقمارُ

في غابات الأنجم، في بيدٍ منسية

ورؤانا تسبحُ في بركٍ مرجانية

نبحر محمولين على موجة أغنيّه

نرحل في رؤياً غسقيّه

وشراعُ سفيتنا أذبالُ المغرب فوق رُبى ويحارُ

أبعدَ مما تصل الأشعارُ

أنا والأوتارُ

ضعنا في غيم محطّاتٍ لا مرثيه

في منعرجاتٍ بيضٍ من إغماءة وجدٍ صوفيّه

وسكبنا الدفءَ ولونَ النارُ

في برد الأرصفة السهرانة تحت رياحٍ ثلجيّه

يحملنى العودُ

بطفولته، وبراءته، نحو بلاد الظل الممدودُ

نحو الشفق المفقودُ

والعودُ صبيُّ يضحكُ، يلثغُ، لثغتهُ تشرينيه

وله سُبُحاتُ روحيه

وعيونُ سودُ

طافيةٌ فوق سحابة دمع شتويه

والعودُ إلهٌ إغريقىٌ يرحلُ فى آفاق ورودُ

ويجوبُ العالمُ فى مركبةِ قمريه

العود يصلى يا ربّى، وصلاة العود سماويه

وروى الأوتار معطرةً قرآنيه

اللحنُ خشوعٌ وتساييحُ

فيه تمتمةُ النبع وفيه عصفُ الريحُ

فيه همساتُ قرنفلتين للوح ورود جوريه

من بين يديَّ يسيلُ الرستُ تراتيلاً سمفونيه

وأصابعُ كفى دقُّ صلاة صوفيه

آلهُ تسيلُ ملونهً بأريج الله

فالموسيقى دربٌ ممتدٌ نحو الله

الموسيقى شمسُ زرقاءُ أثريّة
سُفنُ بيضاءُ شراعيّة
أنشودةُ حبٍ غجريّة
وأنا والعودُ لحونٌ ولَهى واستغراقُ صلاةٍ
ينحدرُ اللحنُ نهاونداً، وصَباً، ويكاهُ
يتفجّرُ من نبعٍ يَدِيّه
شوقُ التحميلة:
إنى تهتُ وراءَ بحورٍ من سِيكاه
والمرسى عند شواطئكَ النورانيّة
يا مرفأً روحى، يا ربّاه
المسنى لمستك الحية
أودع في كفى حسَّ شفاءٍ
ابعثنى أغنيةَ خضراءَ ربيعيّة
قطرني أنغاماً وصلاةٍ
وقصيدةَ شوقٍ عسليّة
حطّم مجدافى عند شواطئ جزر الرّسّات الوردية
ضيّعنى فى أبد الدوكاه

الكويت فى

١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ

١٧-٧-١٩٧٣م.

ثمّ يتفجّر العسل

«سمعت الشاعرة أن في الخليج العربي، وسط الماء
الملح، عيون ماء عذبة كان يعرف أماكنها الملاحون
الكويتيون ويشربون منها خلال رحلاتهم الطويلة
المضنية لصيد اللؤلؤ».

قالت محدثتي الحزينة في شرود:
إن الظلام سلاسل خنقت مرافئنا،
أغانينا،

كواكبنا،

وجرّت كل أعناق المدائن والحدود
إن الضباب مُرابطٌ يأتي علينا،
جارفاً دعواتنا الحرى ويجتاح السدود
قالت: سيقتلُ ركبنا هذا الظلامُ
وفجرنا عنقاء ليس لها وجودُ
أعداؤنا متربصونُ
من بين أيديهم تُساقطُنا السماءُ حجارةً
والشمسُ حمراءُ العيون
والبحرُ إعصارٌ يسيلُ،

ووجهه مدن غريقات

وهدأته جنون

ويفتح حول خيامنا شدق المنون
أسنانها يقطرن من دمننا، ونحن مقطعون

قالت: فضانا شاحب، وعلى الظهيرة غيمة،
وثمار كل كرومنا عنب الزوابع والرعود
ووجوهنا ممسوحة،
وظلالنا معقوفة

ويطل حتى من مرآيانا اليهود

قالت: ويحسبنا الوجود

أشتات جزارين، مصاصي دماء

رغباتنا محمومة، وقلوبنا خشب فليس لنا ضياء

وعيوننا فرغت، وأذرعنا سواعد مومياء

قالت: وإسرائيل ظنوها تساقينا البشاشة والورود

تهدي لنا قبل السلام، نلننا من عمق أودية الشرود

فترش نحن سماءها

بالنقط، والدم، والحقود

وخيالنا المسعور يطعننا، يبعثر في الثرى أشلاءها

قالت وهذا العالم الحرُّ الكبير يظن أنا معتدونُ
ويظن إسرائيل فرخَ حمامة، ودماً يسيلُ،
ونحنُ نحنُ السافكونُ

قالت: إذن من أين ينبعث الأملُ؟
والياسُ عَشَّشَ في أغانيها، وفي دمنّا اشتعلُ
والحزنُ نجمٌ مُطفاً في أفقِ أعيننا ارتحلُ
من أين يأتينا الضياءُ إذن؟
وكيف ترى سيثالُ العسلُ؟
من أين تنبثقُ السنابلُ والشُّعْلُ؟

وأجبتها: لا تجزعي حتى إذا
ضربت شواطئنا سياطُ الريحِ،
واغتالت قوافلنا مفازاتُ الضياعِ بلا حدودُ
حتى إذا ما عَشَّشتُ في جلدنا مدُنُ اليهودِ
لا تحزني أختاهُ، إن راحت تطاردنا الرياحُ الناقماتُ
ويقتفى خطواتنا الغيمُ اللدودُ
فالأفقُ فيه لنا وعودُ
ومن الليالي الثعلبياتِ العدوّةُ،

سوف يَنْبُتُ حولنا الفجرُ الودودُ
والضوء يكحلُ هُذبُ أعيتنا وتلثمنا شفاءُ من ورودُ
مثل الخليج الملح تقطعه طَوَالِ الصيفِ سَفْنُ
وتظنُّ أن خليجنا عطشٌ وحزنٌ
جهلتُ ففي أغواره فرحٌ وأمنٌ
في مائه ضوءٌ ولحنٌ
سَمَكٌ، وياقوتٌ، وغصنٌ
ويظلُّ للآمال في أمواجه ركنٌ...، وركنٌ
فوراءَ آماذِ الملوحة والضباب،
عيونُ ماءٍ كالعصيرِ
فيها العذوبةُ، والبرودةُ، والعبيرُ
عذراءُ باردةٌ تغنى للعطاش
ومذاقُ سكرها يحلّي البحر في ولّه،
وشوق،
وارتعاشُ
يعلو كبلورٍ يثرثر صافياً في غورِ هاتيك المياه
ينسابُ متشرباً كأشعة الحياة
يا حرقةً عربيةً ذوقى ثلوجاً،... يا شفاءُ!
البحر منسكبٌ أمامك عنبراً،

عسلًا،
ومدًا من رشاشٍ

إن كان قد دَقَّ الرحيقُ
في عُمقِ أعماقِ الملوحة، فالطريقُ
من حيثُ نحنُ إلى فلسطينَ السليبه
سيهلُ نبضُ فيه من جُثثِ القرى السودِ
الكثيبه

وستُمطر الدنيا على المَدُن الجديبه
ومن الياب سيطلُعُ الغصنُ الوريقُ
وسنبُلُغُ البيارةَ العُشبيَّةَ الحُضنِ الحبيبه
ونُتيمُ حُرُقَتَنَا على حَبَّاتِ تربتها النقيّه
ويسيلُ نُسُغُ الضوء في أعنابها الشُّقرِ النديّه
وتُفِيقُ مقبرةُ الأغاني في حناجرنا الشقيّه
وخيامنا الرثاءُ تخرج من مناهتها الرهيبه
وتزول إسرائيلُ من قلب العروبه

الكويت في

١٠ شعبان ١٣٩٣هـ

٧-٩-١٩٧٣م.

الأميرة النائمة

«يرد في قصص الأطفال أن أميرة مسحورة بقوة شريرة
تنام مائة عام، ويكتب لها ألا تستيق من نومها إلا إذا
اقتحم قصرها أميرٌ يحبها ويصل إليها ويقبلها
فتستيقظ.»

الكلمه

في صفحة القاموس مثلُ وردة ملثمه
عطورها خفيةً مُطلسمه
ألوانها مستورةٌ، مثل الظلال المبهمة

والكلمه

أميرةٌ نائمةٌ مبتسمه

أغقت عصوراً في انتظار العاشق الأميرُ
يأتى من المجهول، يُصنحى الصيف والعبيرُ
يوقظُ تلك الحلوة المهوِّمه

والكلمه

حوريةٌ، غافية، مُنعمه

يُخرجها الشاعر من عزلتها لآلئاً عُذرية الأصدافُ
في أبحرٍ بعيدةٍ تائهة الضفافُ

يُنْثَرُهَا عَرَائِسًا مَائِيَّةً فِي أَفْقٍ مَفْقُودٍ
وَشُرْفَةً مَسْحُورَةً الْأَسْتَارِ لَمْ يَسْمَعْ بِهَا الْوُجُودُ
تَفْتَحُ شَبَاكًا عَلَى عَوَالِمِ الْأَطْيَافِ
كَمْ لَفْظَةً تَنَامُ فِي الْقَامُوسِ
أَحْرَفُهَا بِرَاعِمٍ، أَجْنَحَةٌ، شَمُوسُ
مَحَارَةً كُنُوزُهَا مَطْوِيَّةٌ
عَبِيرُهَا مَحْبُوسُ
أَصْدَاؤُهَا أَجْوَاءُ سَمْفُونِيَّةٍ
وَلَفْظَةً عُرُوسُ
وَلَفْظَةً جَنِّيَّةٍ
وَلَفْظَةً سَوْسَنَةً بَرِّيَّةٍ
وَلَفْظَةً شَفَاهُهَا كَوْوَسُ
وَلَفْظَةً تَفَاحَةً طَرِيَّةٍ
وَلَفْظَةً زَنْبَقَةً مَبْلُولَةً نَقِيَّةٍ
فِي شَاطِئِهَا أَبَدُ
إِشْرَاقَةٍ رُوحِيَّةٍ وَمَوْلَدُ
وَلَا نِهَآيَاتٍ سَحِيقَاتُ الْمَدَى مَنْسِيَّةٍ

ولفظةٌ صبيّةٌ عذراءُ
نائمةٌ على ضفافٍ ساقية
فكلُّ حروفٍ قصّةٌ،
وشمعةٌ،
ودالية
ولفظةٌ حروفُها شتاءُ
ولفظةٌ إغماءُ
ولفظةٌ بركةٌ ماءٍ صافية
ولفظةٌ سُنْبلةٌ ترقُصُ ما بين المروج حافية
ولفظةٌ في رَجْعِها تموجُ الرمالِ في الصحراءِ
يكمنُ فيها عصفُ رِيحٍ نائيةٍ

ماذا تقول الكلمة؟
في صفحة القاموس نمتُ طفلةً مشتاقةً مُتيمه
فمن ترى يوقظُنِي لأكشف الأسرار؟
وأرفع الأستارُ
عن عالمٍ أبعاده المُطلّسمه
عميقةُ الأغوارُ

ماذا تقول الكلمة؟
إني أنا طريةٌ وملهمه
جميلةٌ وخصبةٌ مثل ندى آذارٍ
ومثل لون النارِ
إني أنا لذيذةٌ مثل صلاةٍ عذبةٍ مُتمتمة
في الكعبة المكرمة
إني أنا عاطرة كالبرعمه
إني أضىءُ مثلما تشتعلُ الأقمارُ
أنير للثوارِ
دربَ الليالي المعتمه
أفتحُ في وجوههم نافذةَ النهارِ
أرشُ في أنغامهم طعمَ ضياءِ سائلِ
أذيب فيه نكهةَ البهارِ

ماذا تقول الكلمة؟
في عتمةِ القاموس أبقى طفلةً دميتهَا محطمة
تاريخها مخبئٌ، أحرفها ميثمة
أبقى أنا أميرةٌ مسحورةٌ منومة
حتى يجيء شاعرٌ يوقظني من غفوتي

يعيد لى حراتى وفتتى
يكتشف التاريخ فى حروفى الولهى وفى أشعتى
ييعثنى أغنية مُغمَغمه
يمطرنى رشة خصب وشذى،
وفقرة من ملحمة

القاهرة فى

١٢ رجب ١٣٩٣هـ

١٠-٨-١٩٧٣م.

الخُرُوجُ مِنَ الْمَتَاهَةِ

أَيْنَ نَمَضَى وَحَوْلَنَا التَّيَهُ وَالْعَثُ
زَحَفَ اللَّيْلُ مَلءَ أَعْيُنَنَا، مَل
وَالدهَالِيزُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا تُعْ
يَتَقَاطِعُنَ، يَتْرُكُ الْغَيْهَبُ الْغَيْهَ

حَمَةٌ فِي غَابَةِ الضَّبَابِ الْمَاحِي،
هَتَافَاتِنَا، وَمَلءَ الْجِرَاحِ
وَلُ مَلَوِيَّةٌ كَدْرِبِ كَفَاحِ
هَبَ شِلَوًا، نَهَبَ الرَّدَى وَالرِّيَاحِ

دُرْبُنَا نَائَهُ: سَلَالِمُ تَمْتَسِدُ
كَلَّمَا صَعَدَتْ خُطَانَا مَضَى السُّدُ
سَلَّمَ صَاعِدُ بِنَا، لَوْلِي
سَلَّمَ هَابِطُ إِلَى جُورَفِ نَهْرِ

دُولا تَنْتَهِي لَأَيَّ مَكَانِ
لَمْ يَرْتَجِ ضَارِبًا فِي الدَّخَانِ
يَتَلَوَّى تَلَوَّى الْأَفْعَوَانِ
زُبُقَى، إِلَى فَمِ الْبُرْكَانِ

وَوَجَدْنَا أَنَا دَخَلْنَا إِلَى سَجْجِ
أَيُّ جَوِ مَعَكِرِ شَبِيحِي
لَيْسَ يُفْضَى إِلَى دِيَاغِيهِ بَابُ
كَيْفَ جِئْنَاهُ؟ أَيْنَ مَخْرَجُنَا أَيْ

مِنْ رَهِيْبِ، مَكْهَرِبِ الْأَسْوَارِ
رَاسِخِ اللَّيْلِ، مَسْتَحِيلِ النَّهَارِ
لَا وَلَا فِيهِ كَوَّةٌ فِي جِدَارِ
مَنْ إِذْنُ يَا بُرُودَةَ الْأَحْجَارِ؟

عن يمين، وعن يسار ثعابين
فيمين مكشّر الفم عن أنف
ويسار يُصيب في جرحنا الملد
بين هولين حاقدين، إلى أي

ن، حقود، مطامع ذبيية
ياب وحش أحداقه همجيته
ح، ولمسات كفه دموية
ن ستمضي في العتمة اللولبية؟

بينما نحن في متاهتنا النك
جرحنا ممطر، ونأكل شوكة
وطريق أنى مشينا مخيف
بينما نحن.. إذ تدفق فجر

راء بين الأشباح والأغوال
وكرانا مفاوز وسعالي
أسود الضوء مخلي الظلال
نابض العطر من وراء الليالي

وتشير السهام هامة تك
صاحياً لئن الثرى كوكبياً
من تراه هناك ينتظر الرك
من تراه هذا النصير الأثيري

شف درياً مسربلاً بالضياء
بعد تلك المفازة الصفراء
ب المدمى المعذب الأشلاء؟
تجلّى في أفقه اللانهائي؟

شاطي ما له حدود ويخبو
جبهة تمطر الوجود وكف
أيها العطر! يا سماء أغاني
يا دليلاً نحس إصبعه فو

عند أمواج بحره كل نوع
نهر حب ولجة من ضوء
نا! ويا وردة الرؤى والدفء!
ق أسانا ووجهه غير مرئي

كَفَّهُ فِي الْمَتَاهِ مَمْدُودَةٌ نَحَدُ
حُبُّهُ عَابِقٌ وَلَكِنَّا نَهْدُ
نُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهُ، نُسَلِّمُ التَّيْدُ
فَمَتَى نَتَّبِعُ السَّهَامَ إِلَيْهِ؟

وَالْأَمَّ ابْتِمَاعِدُنَا عَنْكَ يَا أَجْدُ
نَتَحَاشَى نَبْعَ الْعَدَالَةِ لَا نَقْدُ
إِنَّ هَذَا الْجَبِينَ مُسْتَتَبِتُ النَّصْدُ
فِي ثَنَايَا بِرَيْقِهِ رَقْدَتْ أَحَدُ

وَسَتَنْجُو مِنَ الْمَتَاهَةِ مَبْهُو
لَا الدَّهَالِيْزُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا تَنْدُ
لَا الْأَغَانِيْ عِبَاءٌ عَلَى الْقَلْبِ لَا الْحُبُّ
وَسَنَبْنِي لَنَا غَدًا مِنْ ضِيَاءِ الشَّدُ

وَأَعَاصِيرُنَا تُضِيءُ دُجَانَا
رُبُّ مَنْهُ إِلَى جَمُودِ أَسَانَا
هَ مَفَاتِيحَ عُمُرِنَا وَمُنَانَا
وَمَتَى تَعْرِفُ الضِّيَاءَ خُطَانَا؟

حَلَّ وَعَدَ فِي تَيْهِنَا الْمَكْفَهَرُ؟
طَفُّ مَنْهُ وَرَدَ السَّيْنِ الْخُضْرُ
رِ وَمَسْرَى سَنَا عَمِيقِ الْغُورِ
لَا مُنَا فِي ضَبَابَةٍ مِنْ عَطْرِ

رَيْنَ تَقْتَادُنَا يَدُ مَجْهُوْلِهِ
هَارُ، لَا يُبْصِرُ الْوُجُوْهَ الْقَتِيلَةَ
غَرِيبُ وَلَا رَحِيقُ الطَّفْوَلِ
حَمْسٍ، مِنْ كُلِّ مُنِيَّةٍ مَعْسُولِ

القاهرة في

٢٤ رجب ١٣٩٣ هـ

٢٢-٨-١٩٧٣ م.

ثلاثية في زمن الفراق

-١-

في دروب الرياح

هل يا حبيبي بعثرتنا شاسعات البلاد؟
هل فرقتنا الرياح؟
وهل ترى قد سكنت شهرزاد
عن الكلام المباح؟

من يا ترى ألقى بنا للرياح؟
عصفورتين دون عشٍ دافئٍ أو جناحٍ
ترمقنا الجوارح الكاسره
بنظرة أهدابها مسمومة، أحداقها باتره
تشرينا كأنما دماؤنا بحيرة تُسبّاح
من يا حبيبي قد بنى بيتنا
هذا الجدار من ترى أسلمنا للجراح؟
ومن ترى أودع أشعارنا
أستار هذى الظلمة الناخره؟
وهل ترى يأتي إلينا الصباح

بعد ليالى السَّهر العاصره؟
وهذه الصحراءُ هل بعدها
تسقى رؤانا غيمةً ورديةً ماطره؟
برشةً من حبنا عاطره؟
ترطبُّ الأشواق، تشفى كل جرح حفرتهُ الرياحُ
وكل ليل قاتم خَلَفُوا
أشواكهُ فى الظَّهر والخاصره

ويا حبيبي هل ترى قد صمتت شهرزادُ
عن الغناء المباح؟
هل أسلمتنا للبلادِ البلاد؟
واستعبدتنا الرياح؟
فلا شذى من أمسنا يُستَعاد؟
ولا يُطلُّ الصباح؟

-٢-

رسالةٌ منه

رسالةٌ منه نهورٌ أخضرارُ

مثل الدوالي، والرؤى، مثل انبلاج النهارُ

رسالةٌ أنا إليها سَفُنٌ تائهةٌ في بحارُ

تأتى إلى من حبيبي كشفاه المطرُ

كقبلة الثلج على قوافلٍ قد أحرقتها القفارُ

رسالةٌ تأتى: ورود الشوق فيها، ومذاقُ السَّهرُ

حروفها محطة إلى مراسيها سياوى القطارُ

رسالةٌ مثل صلاة الوترُ

مثل انبهار دجلةٍ فى أمسيات القمرُ

تمضغنى ليلتى الساهدة

أنتظر الصباح يأتينى بها، بالشَّقة الوافده

رسالةٌ من يده، دفءٌ منى لأدمعى الباردة

سطورها أصابع تحوى يدي فى ولّه واحتراقُ

ألفاظها شفاهٌ حبٍ عطشت وراء ليل الفراقُ

حروفها سنابلى الواعدة

بأننا سنلتقى عن قريب
أنا ومن أحبه، نخرجُ من هذا المتاه الرهيب
من ظلمات هذه المفازة الراكده

بعد رحيل شاسع ذاهل
بعد دُجىٍ ماحل
بعد روايى الظمأ القاتل
بعد ذرى ممحوة، بعد تلال انتظار
قطار أحلامى يدانى شُرُفات الديار
ياوى إلى محطة من أنجم، من مطر هاطل
من فضة، من كهرب، من بهار
ومن عبير دافئ سائل

رسالة إليه

أسقيها من موجة شوقي
أبقى أسقى
في حلمي، ومسافة صحوى
أسقى أسقى
أطعمها أعناب دموعي
أمنحها إيقاع خشوعي
أسكنها كل مدائن قلبي، لا أبقى
أضعفها شفتي، أشعاري، سفني، طرقي
سأغمس أسطرها بدواة من عبراتي ونجيعي
وفواصلها سيسجلها قلم من أحطاب ضلوعي
أبحرُها سوف تضيئني لا أعرفُ غربي من
شرقي
ينكسرُ المجدافُ وأبحر دون قلع
حبلى من هذبي المنزوع
صاريتي غيمة أحزان، يرقُ شوق
يا أمواجُ انشقي، انشقي

عن ساحرة وعروس بحور
تمسح جرحى ودموعى
تضمن أن أعبر كالبرق
للشاطىء، حيث حصادُ نجومى وزروعى

لحيبى أكتب تحت الليل رسالة حُب
والظلمة كلبٌ وحشىٌ يجثم قريبا، والريح تهبُ
هل أكتبها بقمى؟ بقمى؟
أأريقُ على الصفحات حُروقي؟
إعصارى؟
وصراخ دمى؟
أأصور شوقى أم أرقى؟
ورماد مسائى المحترق؟
أم أسقيها عبرات تترف من قلَمى؟
تذرو أنقاضى وخرائب روحى فى أودية الورق؟

كلا، لا يكفى، لا يكفى
سأكون أنا الكلمات، سأكمنُ فى الحرفِ
سأكون إليه أنا (الساعى)

و(الطابع) هُدْبِي وذراعِي

و(العنوان): عمارة حَبِي

شارع قلبي

و(الرسلة) الولهي المسجونةُ خلف مناهات الأبعادُ

عبر الصحراء بلا مطر يشدو، وبلا ضوءٍ لا زادُ

وبريدي جويٌ فلتخدشني الريحُ

ولتجمدُ من بردٍ كَفِي

إني أتمدّي أوردتي، أقتلُ خوْفِي

أصرع ضعفي

ولتحلّك ظُلُماتي فالشوقُ مصابيحُ

ونجومٌ، وهواي فسيحُ

وشتاءٌ حولي ووداعةٌ وجهك صيفي

وليكُ جسمي من صلصال، فالحبُّ لركبتي روحُ

ولتك أجوائي غامضة الجبهة،

إن هواك وضوحُ

والظلمة بابٌ مفتوح

وسأهبط في شارع قلبي

وأطوفُ خاشعةً حول عمارة حَبِي

السَّلمُ مغراجي، والشَّقة لي محرابُ
وأدقُّ، أدقُّ، أدقُّ البابُ

افتح يا من هو أغلى من كل الأحياءِ
لكَ عبرَ الجوّ رسالةُ شوقٍ من لحمٍ
من أعصابٍ، من قلبٍ يرقصُ، من عظمٍ
ولها شَفَّةٌ تنبضُ باسمكُ

باسمكُ، باسمكُ، باسمكُ، باسمكُ
فتلقَ بريدك من شرفاتِ الليلِ،
ومن شَعَرِ الغيمِ

يا ضوئي!

يا عطري!

يا مجدي!

يا نجمي!

٨ رمضان ١٣٧٣ هـ

٤-١٠-١٩٧٣ م

عناوين وإعلانات في جريدة عربية

صيدا تقضى ليلة مروعة
خريطة جديدة موسعه
لدولة العدو. غولدا صرحت بأن إسرائيل لن تلين
بأنها ستقتفى خطى الفدائيين
تسقيهمو من كأس موت مترعه
لبنان ينهار جنوباً. غارة
فوق القنال مزمعه
سيدتى ماذا ستلبسين؟
فى سهرة الليلة فى أى وشاح سوف تظهرين؟
سيدتى كونى شباباً ساخناً وزوبعه
استعملى عطور باريس اكرعى من خمرنا المشعشه
فخمرنا قد قطر الربيع فيها عطره وأذمعه
تمتنى فالعمر يمضى راكضاً، والسنوات مسرعه
وأنت تتهرمين
والخمر يا سيدتى زنايق وتين
بريجنيف باسم لنكسن
بشرى غد للعالمين عاطر ملون

مستعمراتٌ جُدُّدٌ سَتَبَتْنِي عَلَى حُدُودِ الْأُرْدَنِ
أَظْفَارُكَ الطَّوَالَ يَا سَيِّدَتِي أَطْلِيهَا

بَصْبَغٍ قَرْمَزِيٍّ لَيِّنٍ
كَأَنَّهُ رَجَعُ غَرِيقٍ ذَاهِلٍ مِنْ تَمْتَمَاتِ أَرْغَنِ
يَهَاجِرُ الْيَهُودُ مِنْ مُوسَكُو - وَيُعْفُونَ مِنَ الضَّرِيْبِهِ -

لَأُورُشَلِيمَ الْحُلُوةِ الْحَبِيبَةِ
رَاقِصَةً فِي مَسْرَحِ الْبَجْعَةِ كَالْأَغْنِيَةِ الْمَسْكُوبَةِ
جَنُوبُ لُبْنَانَ قُرَى مُرَوَّعَةٍ
أَوْصَالُهَا مُقَطَّعَةٌ

سُكَّانُهَا إِلَى الْقُبُورِ جُثَّتْ مُشِيعَةً
بُيُوتُهُمْ خَرَائِبٌ مَنثورَةٌ، أَعْمَدَةٌ مُخَلَّعَةٌ
حَرَائِقُ مُنْدَلَعَةٌ

رَاقِصَةُ الْبَجْعَةِ مَيَّسَاءُ كَأَغْصَانِ الْكُرُومِ الْمَمْرَعَةِ
خُدُودُهَا مِنْ حَمْرَةٍ مَبْقَعَةٍ
شَبَابُهَا مَا أَرَوَّعَهُ!
وَحَصْرُهَا مَا أَبْدَعَهُ!

أَغْنِيَةٌ جَدِيدَةٌ تُنْشِدُهَا نَجَاةُ
هَذَا الْمَسَاءِ، حَفْلَةٌ سَاهِرَةٌ وَعَشْرُ رَاقِصَاتٍ

عُرِيَّ وخمرٌ، خاسرٌ مَنْ لَمْ يَذُقْ
الكأسُ تلوَ الكأسِ حتى يترنَّحَ الأفقُ
حتى نكونَ قد تخلصنا من اليهودِ
وبالأغاني قد رصفنا دربنا الحرَّ، غداً نعودُ
إلى فلسطينَ فبالكؤوسِ حررنا ترابَ الوطنِ المفقودِ
في هذه الليلة، نُحيا سَهَرَاتٍ ممتعه
نخب العدوَّ نخب آلياته المدرَّعة
وطائراتُ فانتومٍ تخرقُ حُجُبَ الصوتِ في سمائنا
ثم تعودُ فرحةً مندفعه

أمريكةٌ تدعمُ تل أبيبَ من أرصدةِ العروبةِ المجمعه
لبنانُ طفلٌ ضائعٌ، خدودهُ ممتقع
ألفاظه راعشةٌ متَّقده
ويستجيرُ كلُّ يومٍ صارخاً بالأممِ المتَّحدة
يصبُ ما بين يديها أدمعة
يشكو لها ما يصنعُ العدوُّ يرجوها سدىً أن تمنعه
يسألها أن تصفِّعه
أمريكة سيِّدة الفيتو ونحنُ لم نزل خيامنا مهَّدده
سلاحنا ألفاظنا الهادرةُ المعريده

ذَلَّتْنَا بَيْنَ يَدَيِ عَدَوْنَا تَصْبِيحَ فَيِ عِيُونِنَا
تَضِجُ مَلَأَ الْأُورْدَةَ
وَلَمْ تَزَلْ أَعْنَاقُنَا تَحْتَ سَكَكَيْنِ الْيَهُودِ
لَمْ تَزَلْ مَمْدَدَهُ
فِي مَطْعَمِ الْوَادِي خَمُورٌ جَيِّدُهُ
يَا سَيِّدِي وَتَتَقَى مِنْ تَشْتَهَى : آنَسَةٌ أَوْ سَيِّدُهُ
وَنَحْنُ تَحْمِينَا حُكُومَاتُ شِدَادٍ وَرَعَهُ
تَسْهَرُ طَوْلَ لَيْلِهَا، تَعْمَلُ لَاسْتِرْجَاعِ كُلِّ قَرْيَةٍ مُضَيَّعِهِ
وَالْعَرَبِي لَمْ يَزَلْ يَصْطَافُ فِي الْعَالَمِ شُهُوراً أَرْبَعَهُ
مَنْهَجُهُ هَذَا الصَّبَاحَ رَحْلَةً نَهْرِيَّةً وَأَشْرَعَهُ
وَالْأَمْسِيَهُ
فِي مَسْرَحِ الْأَوْبِيرِجِ بَيْنَ رَقْصَةٍ وَأَغْنِيَةٍ
حَوْلَ الْكُؤُوسِ الْمُنْسِيَةِ
بَيْنَ ذِرَاعِي بَضَّةٍ مُسْتَرْخِيَةٍ
دَافِئَةٍ مِنْ أَجْلِ عَيْنِيهَا تَطْيِبُ الْمَعْصِيَةِ
جَرَائِدُ مَنْوَعَةٍ
مَا بَيْنَ حَدِّ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ تَبْقَى إِمَامُهُ

وللعناوين صدَى وقرقه
ثم تذوبُ في ثوانٍ، تتلاشى الزوبعه

القاهرة في

١٩ رجب ١٣٩٣هـ.

١٧-٨-١٩٧٣م.

القنابل والياسمين

فى ليلة ١٠-٤-١٩٧٣ دخل الجيش الصهيونى بيروت
وصيدا، ونسف البيوت وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم
هاجم مخيمات اللاجئين، وغادر البلاد دون أن يعترضه
أحد. والشاعرة هنا توجه العتاب إلى الأمة العربية كلها
لا إلى الشعب اللبنانى وحده.

من البحر أقبل، هاجم بيروت تحت الظلام
وجاس الشوارع ينسف، يذبح
ويصدح فى كفه طائر الموت يصدح
وبيروت وسنى تقاتله فى المنام
وصيدا، على البحر، عش حمام
أما فى ديار العروبة كلب فينبج؟
أما من نعاج فتنتطح؟
وهل نحن أعمدة من رخام؟
وحتى الرخام،
له عصب، ويمج المذلة، ينهض للانتقام
وحتى القبور المهانة ترتج فيها العظام
وتغضب، تهجم، تجرح

وبيروتُ وسنى بأوديةِ الحُلُمِ تَسْبَحُ
ويسرح فيها العدو ويمرح
وفيه دمٌ فوق أرصفة الليل يُسْفَحُ
وعبر شوارعها شوكةٌ من لظى تفتَحُ
فكيف تنام؟
فكيف، بحق الكرامة، كيف تنام؟

وهل نحن طينٌ؟
وهل لحمنا ودمانا من الحشَبِ المائت؟
فلا الجرحُ وردٌ، ولا الموتُ دينٌ؟
ولا الكبرياء سوى النبض في معدن صامت
لماذا يُغارُ علينا ونَرْضَى؟ ويسقط منا المئاتُ
ونستقبلُ القصفَ والطائراتُ
كأنَّ القنابل فوق مدائننا ياسمينُ
كأنَّ إهاناتهم برتقالٌ وتينُ
كأنَّ المذلة دفءٌ،

وأغنيةٌ،

وحياة

لماذا يضيع الدم العربيُّ؟ وكيف يهونُ؟

وجذر القرابة فوق ثرانا متينٌ
وفيم نشردٌ من أرضنا؟ وتمرّ السنينُ
تليها سنينُ
ونسكت لا نتمرّد، لا نتمزّق، لا يعترينا
الجنونُ
كأنّا بلا ذكرياتٍ
ولا حرّماتٍ
نشيع بالرقص والبسمات
جنائزنا الشاحبات الخضيه
نكفن من دون رعشه
ولا وله شهداء العروبه
ونُرقدهم من شعاراتنا فى توايت هشه
وينسج حولهمو الصمت ليلاً عريضاً
ووحشه
أتلك الوجوه المدمّاء؟ تلك الرؤوس الحبيبه؟
نبعثرها فى مقابر من كلمات؟
نحارب قاتلها بالمواويل والأغنيات؟
فليس لنا بين ضوء النجوم جبينُ
ونضحك فى وجه أعدائنا ونلينُ

ونحن على جذع أنفسنا فى الشوارع نُصَلِّبُ
ولا قلبَ فىنا يثور ويغضبُ؟
ولا ليلُنا فوق شوك وسائدنا يتقلبُ
ولا الجرحُ يصخبُ
ولا أكؤسُ الذلِّ تنضبُ
ولا الخدُّ يشحبُ
ولا يعترينا إلى أمسنا الكوكبى حنينُ
ولا نتذكرُ أن الحضارة كانت لنا، والوجودُ جنينُ
ولا نحن نخلعُ ثوبَ الحرير المذهبُ
ولا حزنُنا يترهبُ
وموطنُ آبائنا فى السلاسلِ ثاو حزينُ
كقبرة فى الدياجير ترقبُ ومضضُ ضحى لا يحينُ
وتسخرُ منا الوجوهُ الغريبة
وتجلدنا بالسيّاط رباحُ رهيبه
ويحجبُ جبهتنا فى الليالى ضبابُ مهينُ
ونزعم أن الزمانَ غلامُ لعبٍ خؤونُ
وأن العدوَّ لعينُ
ويسرقُ أنهارنا ودمانا العدوُّ اللعينُ

ونحن امثالٌ، ونحن سكونٌ
وأيامنا سهرٌ ومجونٌ
تمرّ علينا الرياح الجديده
بلا مطرٍ أو خصوبه
ويحملٌ واحدنا نعشه وصليبه

سنقسم بالله،

بالقدس،

بالنار، لا نتطيبُ
ولا في خصور الأغاني نبيتُ الدجى نتقلبُ
ولا من عير البيادر نشربُ
إلى أن نعود إلى الوطن المستباح المعذبُ
ويصحبُ عودتنا ألف كوكب

الكويت في

١٠ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٢-٤-١٩٧٣م.

اختلاجات نحو القمّة البيضاء

-١-

صوتهُ يأتي
من خفايا ديار النفسج
مثل أصداء حلم تموج
مثل موجة أغنية تسقى شاطئ الصمت
صوتهُ أبداً يأتي
كبياض شراع، كفجر تبليج
كسراج توهج
مُفرقاً في وضائه بيتي
كاندفاع حياة يفيق على نبضها موتي

صوتهُ المورق الغامض
صوتهُ الوامض
عابراً كرفيف جناح فرأشه
في دمي أتحسّس نبرته وارتعاشه
ساكباً في صلاتي رشاشه

-٢-

هو وردنى وتسبيحتى وشروقى
هو سكرُ أدعيتى وانخطافى العميقِ
هو ضوءُ هلالى الذى يلمعُ
آه لو أننى أسمعُ
خطوةً فى سكون طريقى
مثل ضوء خفى الشعاع، ملقَعُ
عبر صحراءِ عمرى المضيقِ
آه لو كنتُ ألقط موجته فى عروقى

-٣-

يتعقبنى دافئاً كالنشيدُ
يملؤ الكأسَ لى ألقاً ويزيدُ
من سماواته يتفجرُ لى مددُ
يتلقفنى أبدُ
ويلمُ شتاتى من مدن التشريدُ
فمتى سأكونُ له؟ إننى أنأى وأضيعُ
فى شؤون نهارى البليدُ

برقُ مشترياتى يخدعنى عن سناه الرفيعُ
من خلال أصابع كفى يفرُّ اخضرار الربيعُ
لا أذوقُ ندى ذلك الترجيعُ
لا أعى الأغنيات الأثيرية النادية
وهداياه فى غفلتى تبدد فى نهر أيامه
وأضيعُ
مثل كل القطيعُ
فى التوافه، تَسْرِقُنِي مُتَعُ الأهواءُ
ومليكى يرشُ ازرقاقاً،
وشمساً،

وحباً على صمتٍ أوتاريه
من سماواته الصافية
ناثراً رشرشات غناء
فتضيّعها لَمَسَاتُ أصابعى الوانية
وأضلُّ طريقى إلى القمّة البيضاء
يتعطلُ وردي ويُخجَبُ قرآنيه
يستحيل وصولى إلى الشرف الزرقاء
وصلاتى تسقطُ أوراقها عن شفاهى الترابية
اللاهية

وأظل حبيسة مملكتي الخاوية
ومسالكها العارية
وهنالكَ، عندكَ، تتقلُّ الريحُ والأشْداءُ
من سماءٍ ملوَّنةٍ لسماءٍ

-٤-

يا ضياعي وعُقمُ وجودي
بين تهويمتي وصليل قيودي
تتقاذفُ رُوحِي رِيحُ جمودي
وأجوبُ بحار جليد
ومُحَالٌ وُصولي، مُحَالٌ وُرودي
تتقطعُ أوتارُ عودي
وَألمَ حُطَامِ نشيدي
وأضيعُ حدودي

-٥-

فيم أغرقُ طول النهار؟
خلف غفلة أيّ جدار؟
أيّ قبر غليظٍ حواني؟

وَحَجَّبَ رُوحِي أَيَّ سِتَارٍ؟
كَيْفَ أَصْعَدُ؟ إِنْ جِئْتَنِي صَبَاحُ مَكْبَلٍ
طِيلَةُ الْيَوْمِ فَوْقَ صَحَائِفِ كُتُبِي أَرْحَلُ
عَبْرَ أَوْدِيَةِ الْحَرْفِ أَبْحَثُ عَنْكَ وَأَذْهَلُ
عَنْ تَرْقِرُقِ أَمْوَاجِ خَطُوكَ قُرْبِي
أَتَعْطِشُ فِي غُرْبَتِي، أَتَحْرِقُ فِي جَدْنِي
وَعَلَى عَالَمِي - دُونَ أَنْ أَدْرِي - تَهْطُلُ الْأَمْطَارُ
يَتَسَاقَطُ بَرْدُ نَدَاكَ، يَلَامِسُنِي آذَارُ
فِي جِئْتَنِي، فَلَا تَتَقَيَّظُ فِي عَوْدِي الْأَوْتَارِ
لَا يَمَسُّ النَّدَى قَلْبِي
أَهْ يَا مَلِكِي، أَهْ يَا رَبِّي
إِنْ قِيدِي عَارُ
وَجُمُودِي انْتِحَارُ
وَدَمِي صَامِتٌ، وَالتَّقَاطِي مَعْطَلُ
أَهْ لَوْ أَتَحَلَّلُ
مِنْ قِيُودِي لَكِي أَتَذُوقُ ضَوْءَكَ
وَأُشَارِفُ نَوْءَكَ
إِنْ عَطْرِكَ أَعَذِبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَجْمَلُ
وَضِيَاؤُكَ مَنَسْكَبٌ، وَنَشِيدُكَ جَذْوَلُ

ونسيمك مُخمل
فمتى سوف أرحل؟
لضفاك؟ كيف أذيبُ قيودي؟
وأنقى وجودي؟
كيف أهربُ؟ إن طريقى مُقفل
وستارى البليدُ الكثافة مُسدل
وستارى مُسدل

الكويت فى

٥ من ذى القعدة ١٣٩٣هـ

٣٠/١١/١٩٧٣م.

لِلصَّلَاةِ وَالثَّوَرَةِ

«تلقت الشاعرة بطاقة تهنئة بعيد الفطر عليها صورة
لمسجد قبة الصخرة بالقدس».

يا قبة الصخره
يا وردُ، يا ابتهالةً مُضيئةً الفكره
ويا هُدىً تسبيحه علوية النبره
يا صلوات عذبة الأصداء
جاشت بها الأبهاء
يا حُرقة المجهول، يا تعطش الإنسان للسماء
يا وله الركوع، يا طهرة
يا وردة الخشوع، يا نداء، يا عطره
يا مسجداً أسكت تسييحاته صهيون
من أجل حلمٍ وقع مجنون
كبل في أرجائه الصلاة والحضره
ولوّث المحراب والحضره

يا قبة الصخره
يا جرحُ،
يا ضمادُ،
يا زهره
يا سهرَ الجراح في ارتعاشة الشفاه
يا حرقه الدعاء، يا تنهد الصلاه
هل تنبضُ الحياه؟
في هذه الأذرع والجباه؟
هل تدفق العطور والألوان والمياه؟
ينبجس النبع من الصخره؟
ويُنبت القداء ورداً ساخن الحمره؟
نسقيه من تمتمة الدعاء
من حمرة الدماء
نُطعمه سنابل القداء
نختصرُ الزمانَ في تسبيحة ثرة
يصرخ فيها عطشُ الثوره

يا قبة الصخره
حيث الخرابُ مُسَدلاً شعرة
يا أثر السجود في الجباه
يا صلوات لامست عطورها الشفاء
يا وردةً روحيةً الخدودُ
قد ذبلت ولم يحس موتها الوجودُ
يا مسجداً عطشاناً للقرآن والسجودُ
مُسائلاً كيف اختفى تهجدُ الرُّواقِ؟
وأين تسيحاته الصوفيةُ الأشواقِ؟
ولهفة الجدران، وارتعاشة العمود
ورحلة البخور في تسيحة سائحه
وراء أهذاب العيون السودُ
كم ضرعت نوافذ، وأمطرت أدمعها أبوابُ
في صرعة العذابِ
كم رتلّت حكاية الإرهابِ
لوردة يتيمة، عذراء، مصفرة
عطورها اضطرت إلى الهجره
دماؤها تحدرت وانسكبت
على المصلّى قطرةً قطره

يا قبة الصخره
يا حق، يا إيمان، يا ثوره
شمس حَزيران طوتها غيمه في الفجر
فانطوت
وأُسدل الستارُ والرواية انتهت
أقمارها هَوَتْ
أنجمها قد أغمضت عيونها، آفاقها خَوَتْ
ورودها تحت ثلوج الظلمة انحنَتْ
ودولة اللصوص والقروذ
ترشفت دماءنا الحمراء وارتوت
ومزقت أظفارها ليونة الخدود
وأنشبت مخالب الحقود
في لحمنا،
في كبرياء الأرض،
في مراقد الجدود
غداً غداً، تزغردُ الرعود
فلتسقطي يا دولة اليهود
ما زلت في سكره

مَيِّتَةُ الضَّمِيرِ فِي تَهْوِيْمَةِ قَذْرَةٍ
تَبْعَثِرِينَ السُّمَّ وَالْأَشْلَاءَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخُضْرَةِ
وَتَمْلَأِينَ الْكَأْسَ بِالدَّمَاءِ وَالْخَمْرِ
وَبِاسْمِ مَاذَا تُنَمِّعُ الصَّلَاةُ فِي الْخَضِرَةِ؟
وَبِاسْمِ مَاذَا يُسْرِقُ الْأُرْدُنُّ وَالْبَيَّارَةُ النُّضْرَةَ؟
وَبِاسْمِ مَاذَا تُقَتِّلُ الزَّهْرَةَ؟

يَا قَبَّةَ الصَّخْرَةِ!
يَا حَقْلَ قَمْحٍ نَادِبِ عَطْرَةٍ
يَا أَرْغُنًا مَقْطَعِ الْأَوْتَارِ
يَا مَعْبِدًا مَرْوَعِ الْقِبَابِ وَالْأَحْجَارِ
بَيْنَ يَدَيِ جَزَارِ
يُقَاتِلُ الْوُرُودَ وَالسَّلَامَ وَالْأَقْمَارِ
يَسْطُو عَلَى الثَّمَارِ
وَيَنْسِفُ الْبُيُوتَ ظُلْمًا، يَحْرِقُ الْأَشْجَارِ
يُشَرِّدُ الصَّغَارَ وَالْكَبَارِ
مَنْ أَرْضَهُمْ فِي لَيْلَةٍ ضَائِعَةِ النَّهَارِ
أَصَابِعَ لِلْغَدْرِ إِرْهَابِيَّةِ الْأَظْفَارِ
يَا قَبَّةَ الصَّخْرَةِ

يا جنحَ ليلٍ فاقدِ فجره
متى ترى مستنفضُ الغبارِ
عن وجهنا، ونرفعُ الحصارَ؟
متى ترى نقتحمُ الأسوارَ؟
وغنوةُ الأمواجِ والخلجانِ والأغوارِ
تهمسُ في أسماعنا بأعذبِ الأشعارِ
هتافها ينبضُ بالأسرارِ
فلنبداً الإبحارَ
قلوعنا والهةُ والدقةُ انتظارَ
وفى المدى جزائرُ المرجانِ والمَحَارِ

يا قبة الصخره!
متى نصلى فيك؟ هل ستبتُ البذرهِ؟
هل نعبّر المسالك الوعره؟
ترمقنا ذئابها بالنظرة الشرره
يا قبة الصخره
وجهك هل نحظى به يا عذبة النظره؟
ونحن قد شطَّ بنا المزارُ
تقاذفتنا اليدُ والبحارُ

وطوّحت بركبنا وأهلنا الأسفارُ
ترفضنا الكهوفُ، والغابات، والأمصارُ
خيامنا على خطوط النارُ
وزادنا التقوى وملح الأدمع الغزارُ
يا قبة الصخره!
متى نرى أبوابك القدسيّة البرّه؟
وننتهى إليك عبر الشعب الخطره؟
يا قبة الصخره
يا صمت، يا ضياع، يا حيره
جرارنا خاوية، متى تُرى تمتلئ الجرار؟
حقولنا قد ييست، فهل تُرى تسقط الأمطار؟
وعند بوّاباتنا تنتظر الأقدار
متى نصلى؟
إنما صلاتنا انفجارُ
صلاتنا ستطلع النهارُ
تسلح العزل، تُعلّى راية الثوارُ
صلاتنا تستنعل الإعصارُ
ستزرع السّلاح والزنبق فى القفارُ
تحولُ اليأس إلى انتصارُ

صَلَاتُنَا سَتَقِلَّ الْجَذْبَ إِلَى اخْضِرَارِ
وَتُطْعَمَ الصَّغَارُ
فَاكْهَةِ الصُّمُودِ وَالْإِصْرَارِ
صَلَاتُنَا إِنْ ذَارُ
إِلَى عَدُوٍّ خَادِعٍ غَدَارُ
تَارِيخُهُ قَدْ كُتِبَتْ سَطُورُهُ
بَرِيْشَةِ الْمَكْرِ وَحَبْرِ الْعَارِ
يَا قَبَةَ الصَّخْرَةِ مِنْ صَلَاتِنَا سِيرَتَوَى آذَارِ
وَتَبَّتْ الرِّايَاتُ وَالْثَمَارُ
صَلَاتُنَا تَفْجِرُ الْأَنْهَارُ
وَتَبْعَثُ الْغَنَاءَ وَاللِّيمُونَ وَالْأَحْرَارُ
تُعِيدُنَا لِلْوَطَنِ الْمَسْرُوقِ، تَمْحُو الْعَارُ

يَا قَبَةَ الصَّخْرَةِ
يَا رَمَزُ، يَا تَارِيخُ، يَا فِكْرَةَ
غَدَاً يَخْتَلِجُ اسْمُ اللَّهِ فِي الْقُدْسِ وَفِي الْخَلِيلِ
يَتَنَفَّضُ الْعَدْلُ الْمُدْمَى صَارِخاً، يَسْتَيْقِظُ الْقَتِيلُ
تَنْبَتَ مِنْ دِمَائِهِ، زَهْرُهُ
فِي عَطْرِهَا سُمٌّ، وَتُخْفَى كَأْسُهَا جَمْرُهُ

تَسْكُبُ فِي أَشْدَاقِ إِسْرَائِيلَ
مِذَاقَ هَوْلٍ زَاحِفٍ مِنَ الْفِرَاتِ الْعَذْبِ حَتَّى النِّيلِ
عِنْدَئِذٍ يَنْطَفِئُ الْغَلِيلُ
وَتَرْتَوِي جَدَائِلُ الزَّيْتُونِ وَالنَّخِيلِ
وَتَتَعَسُّ الثَّارَاتُ بَعْدَ السَّهَرِ الطَّوِيلِ
كَأَنَّمَا خِيَامُنَا عُدْنَ مِنَ الرَّحِيلِ

يَا قَبَّةَ الصَّخْرَةِ
يَا لُغْمُ، يَا إِعْصَارُ، يَا سَجِينَةَ خَطَرِهِ
عَلَى الَّذِي يَسْجِنُهَا، غَدًا يَصِيرُ سَجْنُهَا قَبْرَهُ
يَا قَبَّةَ الصَّخْرَةِ
حَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى هَوَانَ الْأُمَّةِ الْحُرَّةِ
سَيَهْطُ النَّصْرُ عَلَى مِرْتَلَى الْقُرْآنِ
عَلَى الْمُصَلِّينَ، وَفِي صَوَامِعِ الرُّهْبَانِ
عَلَى الْفِدَائِيِّينَ فِي أَوْدِيَةِ النِّيرَانِ
غَدًا، هُنَا، يَنْفَجِرُ الْبَرْكَانُ
وَيَبْدَأُ الطُّوفَانُ
يَتَفَضُّ الشَّهِيدُ فِي الْأَكْفَانِ
وَيَكْسِرُ الْقُضْبَانِ

يقاتلُ الأسيرَ والسَّجَّانُ
يتتصر الإنسانُ
يرتفع الأذانُ
حرّاً عبيريّ الصدى من قبة الصخره
يرطبُّ المهامة القفره
ويُعلن الصلاة، والجهاد، والثوره
في القدس، في الجولان، في سيناء
في المَدُن العذراء
في الريف، في سجون إسرائيل، في الصحراء
في الأرض، في السماء
سيستحيل الماء والتراب والهواء
مدافعاً فاغرة، وثورة حمراء
تزلزل العصاة السوداء
فيسقط الطغيانُ
ويزهق الباطلُ والبهتانُ
ويمكرون مكرهم، ويمكر الرحمنُ

الكويت في

٧ شوال ١٣٩٢ هـ

١٢-١١-١٩٧٢ م

سَبَبُ التَّحْرِيرِ

«يوم السبت ١٠ رمضان الموافق ٦ تشرين - أكتوبر -
بدأت قواتنا العربية تحريرها لسيناء والجولان وسجلت
نصراً كاسحاً وعند هذا نادى أميركا أن على العرب أن
ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت».

قبل يوم السبت كنا مستذلين
وفي أعيننا يبكى ويمطر ليلُ تشرين
وكان الحزنُ، خلف شرود نظرتنا، سكاكينُ
تسولنا على أسوار بياراتنا، عشنا
جوعاً تحت ظل نخيلنا المضيئ
وفوق مشارف الأوهام شيدنا
مساكننا، وفي أروقة الكلمات خيمنا
وفي الحلم ملكناها، فلسطينُ
وبياراتها كانت لإسرائيل، كان لها
شذى الزيتون والتينُ
وعطرُ الرمل كان لها، وكانت نكهة الطينُ
وشيعنا جنائزنا وبين قبورنا تهناً
مشيناً فوق أرصفة اللظى في طور سيشينُ

أكلنا الثلج والريحَ شتاءَ
وصباحَ السبتِ أصبحنا ضياءَ
وتوهجنا، أنرنا ليلَ سينا الحزينِ
وتفتحنا وروداً،
ورصاصاً،
وغناءَ
شَقَّةَ الجولان غنَّتْنا، وحررنا لواءَ فلواءَ
من مغانينا السبيِّ
وانتزعنا أرضنا من بين أشداق الذئاب الهمجية
انتزعناها من الإرهاب، من ذلِّ سراديب الطُغاة
البربرية
وجعلنا رملها كحلاً لأهداب العيون العربية
لم نعد تحت سَمَها غرباءَ
والدجى، عبر صحارى عُمرنا الدامى أضواءَ
فى صباح السبتِ صارت عينا صفحة مرآة
وأومض خلف شاطئها سنا الله
وعبر بحار ذلتنا أطلتْ جزرُ النصرِ
عرفنا المدَّ بعد ملوحة الجزرِ

أحاط بنا شذى همسٍ
يقصُّ حكايةً من دفتر الأمس
عن المجد الذي غمَسَ بالضوء ربي (بذر)
وحيث (محمد) معصويةً يُمناه بالشمس
وفي الجولان والأودية المصعوقة الخرس
بريق صمودنا أو مضى في الصدر
وفي الشعر

وفي سيناء أورقنا وأزهرنا
وسالت من أصابعنا بحيرات وأمواه
تدقق سيلنا والسهل منهمر صواريخاً
وليلُ عدونا تاه

حملنا الشمس فوق أكفنا، صرنا رؤى في
شفة العصر

وأمطر نصرنا الخصب على الجولان فلاً
بعد ست من سنين كالحات
عبرها كنا قتلنا نحن قتلا
ومُضغنا تحت أنياب الصهايين نهراً
ومُضغنا نحن ليلاً
أطعموا أطفالنا (النا بالم)،

لا، لم يُطعموا الأطفالَ عنقودَ عنبٍ
لا ولا أعطوا صغيراً كيسَ حلوى،
أو قطاراً من قَصَبٍ
تركوهم في دهاليز الدُجى جرحى وقتلى
مزقوا صدر العذارى ليروحوا بقرائين
الذَهَبِ
يا عيوناً من زجاجٍ! يا قلوباً من خَشَبٍ!

وأطلَّ السبتُ يا صهيونُ مهلاً
سبتكم أنتم؟ مضى!
ضاع!
تولى!
وأنا سبتنا ينثر تحريراً وفلاً
حقدنا صام وصلّى
دَمُّنا المسكوبُ في غزّةٍ قد أصبحَ أغلى
طعمه في فمنا قد صار أحلى
صوته أصبحَ أعلى،
فتلقّوا، إننا اليوم صواريخُ غَضَبٍ
ومتاريسُ لَهَبٍ

قبل يوم السبت كنا،
في صباح السبت أصبحنا،
وأمرىكا تُريدُ
مَحَوَ يوم السبت من أعمارنا
خسئتُ فالسبتُ ميلادُ جديدُ
ومياهُ غسلتنا، طهرتُ كلَّ زوايا عارنا
سبتنا يا شفقَ الورد على أشجارنا
سبتنا يا طائراً أخضرَ يا إطلالة الفجر الوليدُ
إن يوم السبت تفجيرُ براكينَ وألغامٍ نشيدُ
لامستنا فيه كفُّ الله،
واجتثتُ جذورَ العار من أغوارنا
وأَتانا رمضانُ، هلَ بالضوء،
وبالنصر على أقطارنا
بللتُ حرقتنا رشةً ثلج،
من شذى أمطارنا
أنعشتُ ما أيستهُ الريحُ والأحزانُ من أشعارنا

كان يوم السبت للأعداء عاراً وأراجيحَ جنونُ
ومسبقيه لهم حائطٌ مبكى عنده يكون، يكونُ

على أحجاره السود يطوفون
ويوم السبت درب قاتل فيه لصهيون
سَعَالٌ وَمَتَاهَاتُ
ذُرَاهُ وَغَرَّةٌ وَلَهْ زَوَايَا وَانْحِدَارَاتُ
[على أشجاره ثمة كَنَارَاتُهُمْ] خرساءَ ملقاةً (*)
فلا فَرَحٌ يَنَاقِمُهَا،
ولا تنسابُ من أوتارها أية آهاتُ
ويوم السبت نُهديه لصهيون: دقائقُ البطيئاتِ
ستجعلُهُم يُلويون
وفي سيناءَ ثانيةً - كما تاهوا - يتيهونُ
إلى أبد الزمان وليس من موسى - لينقذَهُم - وهارون
فموسى غاضبٌ يلعنُهُم،
والسُّخْطُ قد ألهبَ هارونَ
سلام الله والحب على موسى وهارون

ويوم السبت للعرب شبايكُ من الحضرة والنورِ
أزاهره تتوجُّ رأْسَنَا، أضواؤه شذرٌ وبلورُ
برودته ترطبُ جُرْحَنَا الصيفيَّ
تغسلُ حرقة الشُّرْفَاتِ والدورِ

وتشفى دمن المسكوب في الجولان، في غزة، في القدس
وتسقى حُزن قتلاتنا على منحدر الطور
ويوم السبت فارس حلمنا الأسمر بالورد سنلقاه
نضاحكه، نراقصه، تغازلنا جدائله وعيناه
وحتى في مروج الحلم والذكرى سنلقاه
فلا أمريكة الطاغية الخرقاء تسلبنا مراياه
ولا نحن منتساة

وما قد كان قبل السبت من صبر فإننا قد
محوناه

إلى وادي المنايا قد جرفناه
وشيعنا إلى مقبرة التاريخ جثته وذكراه
ويوم السبت سنبله،
وأغنية،
ومراه

وأجنحة على سيناء والقدس
تطير بنا إلى الشمس
ويوم السبت أعياد، ونصر جارف، نصر من الله

بغداد في

١٧ رمضان ١٣٩٣ هـ

١٢-١٠-١٩٧٣ م

عن السلام والعدل

«تحدّث قرار مجلس الأمن المرقم ٢٤٢ عما سمّاه بسلام
عادل دائم في الشرق الأوسط، ناسياً أن السلام يعني أن
تقبل الاستعمار الصهيوني، متناسياً أن وجود إسرائيل في
فلسطين ليس من العدل أساساً».

سلامٌ عادلٌ دائمٌ
سلامٌ والفلسطيني في الفلّوات، تحت الريح،
طيفٌ ضائعٌ هائمٌ
شريدٌ في جبال الشوك والأحزان
ويعجنُ خبزهُ بدماء عينيه، ويغزلُ بالي الأكفان
ويذرُعُ مقفِرَ الوديان
وفي حيفا، وفي يافا وسادٌ للعدو مريشٌ ناعمٌ
وقصرٌ أزرقُ الجدران
غريقٌ في بحور الضوء والألوان
وأطفالُ الفلسطيني أفقٌ كالحُ غائمٌ
وراء جفونهم يمتدُّ غورٌ التيه يسرح واقعٌ قاتمٌ
ويقتسمون إرثَ الريح مرتجفين
ويفترشون ثلجَ الطين

فلا حلوى، ولا لُعبٌ، ولا رسمٌ، ولا تلوينٌ
فليلهمو خريفىً، ونيسانهمو تشرينٌ
وأطفالُ العدو لهم أراجيحُ النجوم
وكعكةٌ من تينٍ

ملايسهم من (التفتا) من (الموسلين)
وأعينهم تألقُ شمعتى ميلادٍ
وفرحةٌ رحلة بحرية نشوى
على موكبها تتوهجُ الأعيادُ
وفوق رؤوسهم تيجان آسٍ،

ليلك،

نسرين

تبارك مجلسُ الأمنِ،
وبورك في عدالة قرننا العشرين

سلامٌ عادلٌ دائمٌ
وعدلهمو قد اغتسلت مخالبه
بأنهار الدم النازف من جرحٍ
بخاصرة المراعى فى كَفَرٍ قاسمٍ
أظافره مغمسةٌ بنهرٍ من دماء اللاجئين الساهم

وسلمهمو له طعمُ الخناجر، فيه إيقاع السكاكينِ
له حرُّ البراكينِ
له وقعُ الرياح، رياح تشرينِ
على جبهة شيخ نازحٍ محمومٍ
ينام على وسادِ الرِّيح، ملتحفاً دثارَ غيومٍ
وسلمهمو مذابح دير ياسينِ
يربى في هضاب القدس حُزن مسائها المهمومِ
ويعرف طعمه الشعبُ الفلسطيني

سلامٌ عادل دائمٌ
يعانقُ غاصب الأرض، يقبلُ في هوى عطشانٍ
وجهَ القاتل الظالمِ
سلامٌ عطره يجرحنا، ألوانه تلذعُ
أغانيه طبولُ مذابح تُقرعُ
نسائمه أفاعٍ شرسةٌ تلسعُ
وأهونُ منه مضغُ النارِ
وأسهلُ منه أن نرقد تحت الثلج والإعصارِ
ونلقى بالصدور قذائف المدفعِ
سلامٌ خادعٌ غدارِ

يَلْطَخُ جِيْلَهُمْ بِالْعَارِ
وَيَصْبِغُ خَدَّهُمْ وَجَبِينَهُمْ بِالْقَارِ
وَعَدْلُ طَعْنَةِ السَّكِينِ أَعْدَلُ مِنْهُ،
أَطْهَرُ طَلْعَةٍ،
أَنْصَعُ

غَدَاً شَعْبِي نَهَارٌ أَخْضَرُ الْعَيْنَيْنِ
سَيُطْلَعُ مِنْ رُبِّي الْقُدْسُ لَنَا فَجْرَيْنِ
يُزِيحُ عَنِ الْوُرُودِ مَقَابِرَ الثَّلَجِ
يُحِيلُ الْغَابَةَ الْمَظْلَمَةَ الصَّمْتَ إِلَى وَهْجِ
وَيَمْسَحُ ذَلَّةَ الْمَرْجِ
وَيُطْفِئُ شُعْلَةَ الْبَغْيِ وَيُرْدِمُ كُلَّ مُسْتَنْقَعٍ
وَمِنْ مَغْرَبِ شَمْسٍ عَدَوْنَا يَصْنَعُ
لَنَا قَمَرًا، وَأَوْسَمَةً، وَبَحْرًا غَاضِبَ اللَّجِّ
مَدِيدًا لَا نَهَائِي الشَّرَاسَةَ، سَاخِطَ الْمَوْجِ
وَنَسْهَرُ لَيْلَنَا نَزْرَعُ
بَذُورَ اللَّوْزِ وَالْبَرْسِيمِ، نَبْنِي الْبَيْتَ وَالْمَصْنَعُ
وَهَلْ أَجْمَلُ هَلْ أَرْوَعُ
مِنْ الْفَجْرِ الْقَرِيبِ، وَمِنْ سَلَامٍ أَيْضٍ دَائِمٍ

يرفُ فراشةُ زرقاءَ، يمسحُ ليلنا القاتم
سلامٌ سوف تُنبئه بأيدينا
ولا يمنحنا إياهُ في برد ليلنا
أعادينا، ومن والى أعادينا

غداً شعبي نهرٌ يجرفُ الأوحالُ
يُغلغلُ في الرُّبى المقطوعة الأوصالُ
ينمى شَعْرَها، يزحفُ في شَغَفٍ إلى غزّةٍ
والقُدسِ
ويحملُ للخليل توهجَ الشمسِ
يزيح الظلم والظالمُ
ويُعطينا الدوالي،
والأغاني،

والسلام الأزرق الباسم
ويُسلم خُضْرَةَ التحرير للبيارة الثكلى
ويُطلع فجرنا الأحلى

الكويت في

١٥ شوال ١٣٩٣هـ

١٠-١١-١٩٧٣م

شَمْسٌ لِلقَاهِرَةِ

«زارت الشاعرة مدينة القاهرة في شهر آب ١٩٧٣
وحيتها بهذه القصيدة وكان ذلك قبل حرب رمضان».

نحية يا قاهره!

يا ومضة الكواكب المسافره
يا عُشَّةَ الحَمَام، يا مأوى الطيور الصافره
يا نَعْسَةَ الجمال في هُذْبِ العيونِ الفاتره
حيَّتِ يا سيفَ صلاح الدين
يا صخرة الصمود، يا أرضَ الفدائين
يا أرقَ اللهب، يا سَهْدَ القلوب الصابره
يا مَجْدَ هذى الأرض، يا مِخْبَرَةَ التاريخ، يا دفاتره
يا موجةَ عذراء قرآنية،
تلطمُ شيطانَ القرون الهادره
يا مطراً من مقلتي تشرين
يا عنقاً ممدداً وفوقه سكّين
تتحر السكّين
وأنت تبقيين لنا يا قاهره
غيمة حبٍّ ماطره
تبلل الصحراء، تهمل مطراً من سكرٍ وتين

تَحِيَّةٌ لِلْقَاهِرَةِ
بَاقَةٌ حُبٌّ ضَفَرَتْهَا شَاعِرُهُ
وَنِعْمَةٌ تَمَطَّرُ ثَلْجاً لِرِمَالٍ تَحْتَ شَمْسٍ صَاهِرِهِ
تَحِيَّةٌ لِلنَّيْلِ، نَهْرُ الْخِصْبِ وَالسَّلَامِ
لِمَعْبَدٍ مَسْهَدٍ، سَهْرَانٍ لَا يَنَامُ
لِلأَزْهَرِ الْعَتِيقِ، لِلْأَهْرَامِ
لِرَمْلِ سِينَاءَ الَّتِي تَهَيِّمُ فِي أَوْدِيَةِ الظَّلَامِ
تَحْتَ الْأَكْفِ الْجَامِحَاتِ الْمَاكِرَةِ

فَلتَصْبِرِي يَا قَاهِرَهُ
يَا بِجَعَةٍ مَعَ النِّسِيمِ طَافِرِهِ
الضُّوءُ قَدْ أَسْدَلَ فَوْقَ عُشَّهَا سَتَائِرَهُ
وَالنَّيْلُ قَدْ وَسَدَّهَا ضَفَائِرَهُ

مَهْمُومَةٌ يَا قَاهِرَهُ
مَحْلُولَةُ الشَّعْرِ عَلَى الْأَرْضِ صَفَةِ الْمَهْدُومَةِ
كَطِفْلَةٍ جَائِعَةٍ مَحْرُومَةِ
حَزِينَةٍ حَزَنَ اللَّيَالِي الْمَاطِرَةِ
فَلتَعْلَمِي يَا قَاهِرَهُ
أَنَّ الْعَدُوَّ حَرَبُهُ مُقَامَرُهُ

وظلُّهُ غِيمةٌ صيفَ عابره
وحكمه في تلٍّ أَيْبٍ قلعةٌ موهومةٌ تسيرُ لانهدام
قابعةٌ تحلم، كالحفّاش، بالأنقاض والظلام
فجرَ غدٍ في أرضها تزغرد الألغامُ
نَخْرُجُ من قماقم الأوهام
نسلِّحُ النيام
نقلِّمُ المخلبَ والمؤامرة
نسقيك من جذب الصحارى لبناً يا قاهره

فجرَ غدٍ، تُقاتلُ الأقصرُ والأهرامُ
وينهضُ النيلُ إلى انتقام
وينغضبُ الأزهر، يستنهضُ في نغمته منائره
تثور فيه حلقاتُ الدرس والأوراقُ والأقلامُ
سينهضُ الحقُّ من المسلَّح جبار اليدين
ساقياً من دمهم أظافره
يطردُّهم ويغسلُ الوهادَ والآكامُ
من درنِ القافلة الوحشية الأقدامُ
ويومها تطلع شمسٌ عذبةٌ للقاهره
وغصّةٌ لنكسنِ وسائر السماسره

ويومها يكون الابتسامُ
ويُنبتُ السَّلامُ
في حقلنا كرومهُ، أعلامهُ، بيادرهُ
يعود للعشّ ضياءُ الأنجم الحزينة المهاجرة
وبعد طول السُّهْدِ
ترتاح على النيل عيونُ ساهره
وترجعين طفلةً ضاحكة الأحلامِ
يا قاهره!
يا قاهره!
وتُسَدِّلين شَعْرَكَ الطويلَ موسيقىً وضحكاً
تحت هُذْبِ نَجْمَةِ مُسَامِرهِ
وتصبح السكّينُ ذكريّ غابره
بعيدةً، مطمورةً، ممسوحةً
وراء بحر اللانهاياتِ
وخلف الذاكره

القاهرة في

٥ رجب ١٣٩٣ هـ

٣-٨-١٩٧٣ م.

حَيةٌ للطفلة (دالية)

«طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوي».

خضراء برآقة مُغدّقة	كأنها فلكةُ الفستقة
شفاهها شفقٌ أحمرٌ	كم حاول الوردُ أن يسرقه
الشعر سبحانَ من لَمَّه	والصوتُ سبحانَ من رققه
داليةٌ عذبةٌ غضة	في هذبها نجمةٌ مشرقه
سمرتُها عسلٌ سائلٌ	الحُسنُ في خدّها رقرقه
عصفورةٌ حلوةٌ كالرؤى	من يا ترى صوتُها مَوْسَقَه؟
الفجرُ أهدى لها قبلةً	والمرجُ ألقى لها زبقه
وتملأ البيت من فرحة	بالضحك والرقص والزقزقه
داليةٌ مثلُ جنيّة	تأسرنا روحها الشيقه
لعلّها في غدِ نجمةٌ	تُزيح أحزاننا المطبقه
وتنقذ العصرُ في رُغبه	من قلق الحبل والمشنقه
وترجع القُدس للنازحين	،تمسح الأدمع المحرقه

الكويت في

٨ من ذي القعدة ١٣٩٣هـ.

٣/١٢/١٩٧٣م.

يغير ألوانه البحر

تقدمة بقلم الشاعرة

تضم هذه المجموعة الشعرية قصائدى التى نظمتهـا سنة ١٩٧٤ ، وقد عنونتها «يغير ألوانه البحر» وتسبق هذه القصائد مجموعة عنوانها «للصلاة والثورة» أدرجت فيها قصائد سنة ١٩٧٣ ، ومازالت هذه المجموعة لدى دار العلم للملايين ، وقد حالت أحداث لبنان دون طبعها حتى الآن .

ولست أحاول أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة ، وإنما لى ملاحظة على قصيدتين فيها هما : «زنايق صوفية للرسول» و«تمتمات فى ساحة الإعدام» وقد ابتدعت فيهما بحراً جديداً غير مستعمل أضفت به إلى بحور الشعر الحر الصافية ، ووزن هذا البحر فى أصله العروضى «مستفعلن فاعلن فعولن» وهو الوزن الذى يسميه العروضيون «مُخَلَّعُ البسيط» ، وقد لاحظت فجأة أن من الممكن أن نقسم هذا البحر إلى تفعيلتين فى الشطر الواحد بحيث يصبح هكذا :

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

والفرق بين هذا الوزن الصافى وأصله فى (مُخَلَّعُ البسيط) حرف واحد كما يلى :

مستفعلاتن مفاعلاتن

مستفعلن فاعلن فعولن

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذى لا يحسن العروض أو يفهمه هو «لماذا لم ينتبه الخليل بن أحمد إلى هذا الوزن؟ ولماذا لم يكتبه على

مستفعلاتن مفاعلاتن؟» وجواب هذا السؤال أن التفعيلات العشر التي جعلها الخليل أساساً لعروضه لا تتضمن الزيادات والنقصان فهو قد وضع التفعيلة «مستفعلن» دون زيادة ولا نقصان، فإذا اعترتها زيادة سبب خفيف «تن» فإن الخليل لم يسمح أن تقع هذه الزيادة إلا في عروض البيت وضربه، ومن ثم يكون لدينا «مستفعلن مستفعلاتن» ولا يجوز أن نقول «مستفعلاتن مستفعلن»؛ لأن هذا السبب الخفيف لا يزداد في حشو البيت مطلقاً، ولذلك أيضاً جعل الخليل وزن مُخلَع البسيط «مستفعلن فاعلن فعولن»، ومهما يكن فإذا كتبنا الوزن بزيادة حرف واحد على مخلع البسيط الخليلي «مستفعلن فاعلين فعولن» نتج لدينا «مستفعلاتن مستفعلاتن» وهو وزن صافٍ يضيف بحراً جديداً إلى شعر التفعيلة، فبتكرار «مستفعلاتن» . . . أى عدد من المرات في الشطر الواحد ينتج لدينا شعر حر كما يلي:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

وما كدت أهتدى إلى هذا حتى اعتراني فرح غامر؛ لأن إضافة وزن جديد إلى أوزان الشعر الحر سيوسع مدى هذا الشعر ويعطيه بعداً جديداً، وبادرت فوراً إلى نظم قصيدة «زنايق صوفية للرسول» وكانت فكرتها مختمة في ذهني منذ حين فتفرغت لنظمها وقلت:

البحر إغماء لحن حبٍّ، البحر زرقه

مستفعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

البحر طفل مسترسل الشعر للضحى فوق مقلتيه

مستفعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

انكساره، رقة، وشهقة

مفاعلاتن مفاعلاتن

ونجحت الفكرة نجاحاً باهراً، وأتمت القصيدة في يسر، وعندما انتهت منها أحسست أنني أضفت إلى الشعر الحرّ وأوزانه الصافية السبعة، فهذا بين أيدينا بحر صافٍ ثامن، وليس يخفى أن تحول (مستفعلاتن) إلى مفاعلاتن بالخبز، وإلى مفتعلاتن بالطي، قاعدة واردة في زحافات الرجز وضعها الخليل نفسه.

واندفعت اندفاعاً حاراً أنظم قصيدة «زنايق صوفية للرسول» المنشورة في هذه المجموعة... ولكن: بعد انتهائي من نظم القصيدة لاحظت أنني وقعت في خطأ تكرر مراراً عبر القصيدة؛ ومؤداه أنني كنت أقول أحياناً «مستفعلاتن/ فعولن/ فعولن فعولن» فانتقل من تفعيلة الرجز التي بدأت بها إلى تفعيلة المتقارب، وكانت أذن تقبل ذلك وهو الأمر الغريب، وقد حدث مثل هذا تماماً في قصيدة «تمتمات في ساحة الإعدام» التي هي أيضاً من (مُخلَع البسيط)، وغازني هذا غيظاً شديداً، فلماذا أقع أنا في هذا الخطأ فأبدأ الشطر بمستفعلاتن وأنتهى بفعولن كما في قولي:

وقلت في لهفة أتوسل: أحمد، أحمد

مفاعلاتن فعول فعول فعول فعول [فعول مصابة بالقبض]

والغريب أن سمعي يتقبل هذا حتى الآن، وكانت التفعيلة «فعولن» تشاكسني وتظهر فجأة في أواخر بعض الأَشْطَر.

بعد ذلك حاولت أن أصحح هذا الخطأ، فوجدت أن جو القصيدة

سيتفكك وتزول حرارة المعاني؛ فأثرت أن أتركها كما هي على أن أتخاشى
الخطأ فى المستقبل، وبالفعل عدت عام ١٩٧٥ إلى الوزن الجديد، ونظمت منه
قصيدة طويلة هي «نجمة الدم» لم أخرج فيها على الوزن مطلقاً وإنما حافظت
على «مستفعلاتن» عبر القصيدة كلها، وهذا نموذج منها:

بيروت غابه

مستفعلاتن

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

مفاعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن

أين ترى البحر؟ كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحر

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

تكتب أمواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

والحقيقة أننى لا أدعو أى شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختلّ،
وأعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه
بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنايق صوفية للرسول» و«تمتمات فى ساحة
الإعدام»، ولا شىء أَدافع به عن نفسى إلا كون هذا الوزن ابتكاراً منى ولم
يستعمله الشعراء قبلى بحيث تكون أمامى نماذج وأكون مجهزة بتجارب.

بعد هذا أضع بين يدي القارئ مجموعتى هذه، راجية أن تنال رضاه
وتعطى جديداً إلى شعرنا الحديث.

الكويت ١٩٧٦/٦/٩

نازك الملائكة

ويبقى لنا البحر

وقفنا على البحر تحت الظهيرة طفلين منفعلين

وروحى يسبح، عبر مروجك

فى نهر عينين مغدقتين

وقلبى يركض خلف سؤال

حملت براعمه عطر مرعى، على شفتيك

سؤالك فيه عذوبة ريح الشمال

وروعة أغنية سكبتها، كمنجات شوق مخبأة فى يديك

سؤالك لون سماء على برك ودوالى

سألت عن البحر هل تتغير ألوانه؟

وهل تتلون أمواجه؟ هل ترى تبدل شطآنه؟

سألت وعيناك واسعتان اتساع الرؤى

ووجهك نجم نأى

وسفن مضیعة لم تجد مرفأ

سألت وهديك دهشة طفل

ورعشة سنبله، وتموج حقل

وكانت يداك شراعين منهمرين

على زورقين

وراء المدى والرؤى شاردين

وقلت، نعم، يا حبيبي

يغير ألوانه البحر،

تعبّر فيه سفائن خضر

وتطلع منه مدائن سُقر

ويشربُ حيناً دماء الغروب

ويصبح حيناً بلون الفضاء

يلملم زرقته يا حبيبي

ويحلم، يرنو بعينين شذريتين

سماويتين

إلى اللانهاية، يأخذ لون الضياء

صباحاً ويُطفئ كل ثرياته في المساء

سألت عن البحر، هل تتغير ألوانه؟

وهل تتلون أمواجه؟ هل ترى تبدل شطآنه؟

نعم يا حبيبي،

وبحر يلاطم وديان نفسي

ويرحلُ عبر موانئِ لونٍ وشمسٍ
وعبر حقولٍ مغيبٍ
ويغتسلُ الغسقُ القمريُّ بأمواجه ويبللُ شعرةً
ويُلقي إليه سماءً وفكره
نعم يا حبيبي، نعم، ويلونُ خلجانهُ
نعم ويغيّر ألوانهُ
فيشربُ صُفرةً شكى وظنى
ويصبح أزرق في لون لحنى
وتُبَحِر في شذر أمواجه أغنياتى وسُفنى
ويصبح أبيض، تصبح لجنهُ ياسمينه
ويصبح أخضر، مثل اخضرار العيون الحزينة
ومثل زبرجد نهر النهاوند في قعر حزنى

سألتَ عن البحر! هل تتغير ألوانهُ؟
وعيناك بحرٌ ترامى وضاعتْ
حدود مداهُ وشطآنهُ
نعم يا حبيبي، بغير ألوانهُ ويصير بلون الرمادِ
له كل طعم ليالى السهادِ
رماديةٌ كل أسماكه، ورمادُ

لآليه،
إسفنجه،
أخطبوطاته، ورماد
مدائه الغارقات القباب، ولونُ الرماد
جبينٌ غريقٌ طفا وتوسدَ أمواجهُ الملح، مغمىً عليه
ويبتلع الماء، والملح عوسجةٌ ورمادٌ على شفثيه
وبحري وبحرك، بحرُ الرماد
حنونُ الفؤاد
له قسوةٌ تلثمُ الجرحَ، تفرشُ لين وساد
وبحري وبحرك شاكس جسم الغريق الرمادي
أرسل موجته القاسيه
لتلطمه، وعروس بحورٍ لتحمله،
للرمال النبيذية الناسيه
ويرقد من دون وعيٍ على الجرف، مغمىً عليه،
وبحر الرماد
يرشرشُ إغماءه، والشبابُ الغريقُ
تغازل خديّه، موجة حبٍّ، وتغسل جبهته وتريقُ
عليه المحبة والملح والرغو،...
حيناً يغطي الجسدُ
وحيناً يعود ويرتدُّ عنه، ويتركُه لذهول الأبد

ويا من تسائلنى:

هل يغير بحرى وبحرك ألوانه؟
ومثل الغيوم يلون، يرسم، بالزيت والفحم شطآنه؟
حبيبى لقد كان لى فى الطفولة جدُّ
طويلٌ كمثُل جدائل شعر ربيع وريف
وكان لجدى عمقٌ،
وظلٌ،
وبعدُ

له عنفٌ عاصفة فى خريف
وكان مدى فى بحارٍ مطلّسة لا تحدُّ
وجدى كان قوياً كموجة بحرٍ مخيف

وفى ذات يوم سرت ألسن النار فى بيتنا
مضت تمضغ الباب، تُشعل لين الستائر
يدور اللهب دوائر
يزمجر فى شرفات منانا، ويضحك من رعبنا
يهدد أن يتوسّع، يركض فى حيننا
وينذر أن يتغدى خدوداً،
شفاهاً،

صفائر

ويغتال حتى شباب البيادر
وأقبل جدّي مندفعاً مثل موجة بحر
وأرسل صيحة هول وذُعر
تحذر في عنف إعصار نوء، يسبُّ ويلعن
شتائمهم مطرٌ وحنانٌ، شراسته بيت شعرٍ ملحن
وهمسُ صلاة، ونجمة فجر
وزورق عطر
ومدُّ السباب على شفّتيه غديرٌ ملون
وأطفأ جدّي الحريق، وأنقذ هديي وشعري

حبيبي، وجدّي قد كان بحرا
يغير ألوانه وتصير محاجر عينيه سوداً وخضراً
يبدّل أمواجه، يترامى، يصوغ لآلي
يسيل ينابيع، يرسى شواطئ
ويبدع مدّاً، ويصنع جزراً
يعثر عبر ازرقاق الخليج جزائر شُقرا
وكانت جرادله وهي تلعن، كانت قماقم بلسم
تكسر أسورة النار، عن ساعدٍ لينٍ وذراعٍ ومعصمٍ

وقسوة أمواج بحرى وبحرك صارت اكفاً وصدرا
لتحمل جسم الغريق الرمادى تمطره قُبَلَاتٍ وزهراً
وترميه فوق ضفاف السلامه
رفيفَ جناح حمامه
وتعطيه عمراً جديداً
وتزرع إغماءه حُلماً
وسنابل ذكرى
وبرد غمامه

عن اللون والبحر تسألنى يا حبيبى؟
وأنت شراعى
وألوان بحرى
وغيبوبة الحلم فى مقلتى
وأنت ضباب دروبى
وأنت قلوعى
وأنت ذُرَى موجتى
ووردة حزنى، وعطر شحوبى
عن اللون والبحر تسألنى يا حبيبى
وأنت بحارى

ومرجانتى ومحارى
ووجهك دارى
فخذ زورقى فوق موجة شوقٍ مغلّفةٍ، خافيه
إلى شاطئٍ مبهمٍ مستحيلٍ
فلا فيه سهلٌ ولا رايه
إلى غسقٍ قمرى المدارِ
عميق القرارِ
وليس له فى الظهيرة لونٌ
وليس له فى الكثافة غُصنٌ
ولا فيه هولٌ، ولا فيه أمنٌ

هنالك سوف نضيعُ
ونأكل دفء الشتاء، ونقطف ثلج الربيعِ
ونغزل صوف الصقيعِ

هناك لا طول للظل فى حلمنا لا قصرُ
ولا دفترٌ للقدرِ
ولا شىء يمكن أن يرتقيه النظرُ
سوى موج أغنيةٍ تتحدر عبر جبال القمرِ

ونضحكُ نَبْكِ وعيناك تعكس لون البحرُ
ويبقى لنا اللونُ،
والبحرُ،
والأبد المنتظرُ

١٥ جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

٥-٦-١٩٧٤ م.

الماء والبارود

من ذكريات حرب رمضان (أو أكتوبر) سمعت
الشاعرة أن فرقة من الجيش المصرى فى سيناء كان
أفرادها صائمين، وحن موعدا الإفطار وقد نفذ الماء
عندهم فراحوا يتضرعون إلى الله، فجاءت طائرات
إسرائيلية وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الأرض
حيث كانت مواسير المياه اليهودية مدقونة.

الله أكبرُ

الله أكبرُ

هتافة الأذان فى سيناء تبُحرُ
من موجهها تسيل فى الصحراء أنهرُ

الله أكبرُ

نداءُ رحمة ند تشربه الرمالُ
مدّ جناحيه، أرتنى فى حُضْن التلالِ
محمولة أنغامه على شراعٍ أبيضٍ مروّره معطرُ

الله أكبرُ

يا صائمون افطروا
من شفة المؤذن الخاشع يهيمى المطرُ

والله باسطٌ عليكم أجمل الظلال

تسيحة معطره

ورحمة من السماء انحدرت معسولة مقطره

يشرب تهويماتها المعسكر القابع في الظلماء

عطورها منهمره

على جنود مصر في سيناء

تجمعوا وخيموا فوق قفار محركات الرمل في الصحراء

وهم عطاش لم يذوقوا منذ أمس الماء

شفاهم منعصره

صيامهم من عطش حناجر مستعره

لكن في وجوههم ضراوة الصاروخ والمدافع المزمجرة

و(الله أكبر) على شفاههم غناء

بنورها، بسرّها يزحزون القلعة السماء

ومن لهاث العطش القاتل باتوا يشربون حرقة الهواء

عيونهم تستمطر السماء

رباه فجر بين أيدينا عيون الماء

هات أسقنا يا رب من لدنك كأس رحمة مطهره

يا واعد المؤمن بالصحو وبالظل الندى الظليل

هات اسقنا كما سقيتَ الطفلَ إسماعيلَ
كما رويتَ أمَّهُ الوالهة المنكسرة
بعد هيام ضائعٍ طويلٍ
في مدُن العويلِ

جنود مصرَ في تلال النار والحُمى
وصفرة الربى المبعثره
جاءوا لوجه الله ذاقوا لذعة الصيام
تهدجت تحت أكفهم صواريخُ
وكانت لهمو الشراب والطعام

جنود مصر نقمة منفجره
وحرقة إلى كؤوس الماء لا تنام
إيمانهم صير سيناء لطيارى اليهود مقبره
رمالها مزمجره
وهم عطاشٌ يتلوون صدىً وتعطش الخيام
وحقد إسرائيل قد صير جنات الوجود مجزره
وامتنص نُسغ الشجره

رملٌ...، وريحٌ تزفرُ...
وبطن وادٍ ساكنٍ معفرٌ
ينهض في جانبه العطشان بيت الله
وخيمة صغيرة لهاجر... وليس من حياه
لا ظلٌّ نديّةٌ لا مهدٌ أعشابٍ ولا مياه
وصوتها يهتف: إبراهيم!
يا مغدق الحنان والرافة، إبراهيم
لأين تمضي مسرعاً؟ لأين إبراهيم؟
وفيم قد تركتنا في قلب رمضاء هنا نهم؟
لا حباً، لا شفاءً
تمنحنا أغنية، تبارك ابتهالنا في خشعة الصلاة
وحولنا وادٍ سحيقٌ مقفرٌ ضيّعنا مداه
وليس من شاة هنا فما الذي مستحضر؟
وليس من شجيرة تُظللنا وتثمرُ
وليس من سحابة تمنحنا رشاشها وتُمطرُ
ويهتف الصوت الحزين:
أين قد تركتنا؟ وفيم إبراهيم؟
ويختفي خلف التلال شخصٌ إبراهيم
وهاجر باكية والطفل إسماعيل فوق صدرها يتيمٌ

الله أكبرُ

يا صائمون أفطروا

من أين يا رب لنا بالماء؟

جرارنا عطشى وتمتدُّ حوالى جذبتنا الصحراءُ

شفاهنا من عطشٍ سيئ

ولا سحاب، لا دموع، ربُّ فى السماء

ويركع الجنود مصروعين فى ضبابة الإغماء

عيونهم تحرقُ يستعرُ

رجاؤهم يحتضرُ

على الرمال يضمُرُ

ويضمُرُ

ويضمُرُ

الطفل إسماعيلُ يبكى عطشا

لم يبقَ فى خديهِ لون وقمرُ

وهديه يسحُ إيقاعَ مطرُ

وغصن جسمه ذوى وارتعشا

وانكمش الوجه الوضىءُ المُقمرُ

وفى تراب مكة تبعرُ الشعرُ الجميلُ الأشقرُ

وقلبُ أمِّه الحزينُ برعمٌ منهصرُ
ودمعها على مرايا وجهها يتحدرُ
تهيم في العراء،
تجتاز سهولَ النار في ذهولها وتعرُ
ويكتوى من دمعها المحموم حتى الحَجَرُ

وسبع مرات سعتُ والهةً بين الصفا والمرَّوَه
وتارةً يُنبِتُ جرحاً خدَّها
وتارةً تسقط ولهى في قرار هُوَه
وكبوة، وكبوة، وكبوه
قد تركت عشرين خطاً من دمٍ على سنا جبينها
والريحُ صبَّتْ هولها، فراغها، عويلها
في حدقتي عيونها
تمزقت ثيابها وأغدقتُ
على حواشيها الهوى من شوكها وطينها

يا هاجرُ الحزينة اهدأى
ريانةً هذى الرياح أقبلت، تحملُ أحلى نَبأ
لطفلك الصارخ في دثاره المهترئ

تقطرُ الرياحُ حباً في شفاه الطفل إسماعيلُ
تلمس خديه بعطر نسمة بليل
وتسكب الحياة والخضرة في كيانه النحيل
وقالت الرياحُ: إسماعيلُ
فردد البيت العتيق تحت حر الشمس: إسماعيلُ
وانحنى السماء قوساً أزرقاً يلثم إسماعيلُ

الله أكبرُ
ضجَّ بها المعسكرُ
يا صائمون انتظروا
إن وراء جذبكم جذرَ حنانٍ سوف يزهرُ
وخلف حيرة العطاش كوكبٌ أضاءُ
ورحمة من ربكم تنحدرُ

الله أكبرُ
يا صائمون ربُّكم قد سمع الدعاءُ
والطائراتُ أقلتُ تهدير في الفضاءُ
تقذفكم صواعقاً وتُمطرُ
على روايبكم لظى حرائقِ

تريد أن تغرقكم في برك الدماء
والله في سمائه يقدر
يدبر

يمطر فوق صومكم أنداء
يسقيكمو من يد أعدائكمو أحلى كؤوس الماء
والله للمؤمنين ثلجٌ مُغْدِقٌ في لهب الصحراء
ووجهه الغامر في شراسة النيران كوثرٌ
وطوق ورد أحمر
ويلسمٌ وماءٌ

ماذا تقول الريح؟
ماذا يغمغم الندى المنشور مثل ثلجةٍ
على خدود الريح؟
يرفرف الهواءُ لاثماً خدود هاجرٍ
يشرب من دموعها، يُلقي على وجتها
طراوةً وضوء فجرٍ ماطرٍ
وفي مرور عطره نداءٌ
يأتى من السماء
يمسحُ يأس الأم، يروى قلبها الجريح

يا هاجرُ... الصبي إسماعيلُ سوف يرتوى
برحمة من ربه، وتنطوي
دموعك المحمومة الحزينة
سيدفق الماءُ ويسقي سيلهُ الغصن الكسير الملتوى
يرطبُ الماء لإسماعيلَ عينيه،
يديه،
فمه،
جبينه
يعطيه باسمينه
يا هاجر الحزينة

وسبعَ مرّاتٍ سعتُ باكيةً بين الصفا والمرّوة
تحمل فوق خدّها وردة حزنٍ حلوه
ودمعها وحزنها على شفاه الريح
تنهيدةً وغنوه
يمتصها سمع المدى الجريح
وطفلها يصيحُ

الله أكبرُ

يا صائمون انتظروا

من أين يا ربُّ لنا بالماء؟

من كفّ أعدائكمو سوف يسيل الماءُ

ويُخصب الصحراءُ

نيرانهم تحضرُ في حوضٍ معسكراتكم مشاتلا

وقصفُهم ينبت في جراحكم سنايلا

يملاً راحتكمو بالماءُ

يسيلُ ما بين خيامكم

جداولاً جداولا

فيشرب العطشانُ

من مطر الرحمة والحنانُ

ويصعد الأذانُ

وترشف الصحراء من عذوبة الصيام والقرآنُ

ماذا يقول الطفل إسماعيلُ؟

عويله في الريح شاج، مُحرق، طويلُ

وهاجر دموعها صلاةُ

وصمتها شفاء

يابسة تصيح: يا رباه
من أين يأتى الماء
فى هذه المفازة الجذباء؟
وتهطل الدموع من شواطئ المحاجر السوداء
يا رب أعطِ طفلىَ الظمانَ كأسَ ماء
اسقِ صغيرى، اسقِ إسماعيل
يوشكُ أن يموتَ يا ربى إسماعيلُ
وسقطتْ مغمىَ عليها، وانسدال شعرها الطويلُ
فوق الثرى جداولُ سوداء
سنابلُ بعثرها الهواءُ
ومرت الريح على حرائق الرمضاء
وليس من صوت سوى العويلُ
عويل إسماعيلُ
والله يصنئ السماء دمعاً تسيلُ

الله أكبرُ
يا صائمون افطروا
نداءُ رحمة طرى الصوت عذبٌ ملأ الأرجاء
وينبش الجنود فى الرمال، ما من ماء

رباه ما من قطرة من ماء
نهار صومنا انقضى، وليلنا قد جاء
وحولنا تحترق الصحراء
ووردة الرجاء
يابسة في دمناء
في فمنا،
فما من ارتواء
والموت يا رباه يهيم مطراً تصبه قواذف الأعداء

سبحان من قد أنهض السماء
من دونها أعمدة، في لا نهايات من الضياء
في غابة من شرف الكواكب البيضاء
سبحان من يسقي تعطش الأسى، ويسمع الدعاء
ويمطر الشفاء
على مريض جائع شفاؤه أسطورة على فم الدواء

الله أكبر
الكون حول الطفل مبهور يكبر
عطشان إسماعيل عطشان ولم يعد على العذاب يصبر

رجلاه تضربان في حزنٍ ترابٍ مكّةٍ بجذبه ومَحَلِّه
وتدفق المياه نشوى عذبة،

من تحت رجله
يسيل جدولٌ برودٍ مُسْكِرٍ من تحت رجله
وتصرخ الأم: يسيلُ الماءُ
الماءُ يا ربّي، يسيلُ الماءُ
من تحت رجلِي ولدي تنبُعُ عينُ ماءٍ
وتحملُ الطفلُ تبلُّ الشفتين بلَّةً بجرعةٍ من ماءٍ

تسقيه هاجرٌ وضوءٌ من جراح وجهها يسيلُ
وشعرها المسترسل الطويلُ
منسدلٌ يخفق حول وجهه الجميلُ
وابتسم الطفلُ! ويا هاجرُ!
صلّي لمزيحِ الموتِ والظلامِ
قد ارتوى طفلك إسماعيلُ وانجاب ضبابُ دمه ونامُ
والماءُ يا هاجرُ يهمي زاحفاً ويكثرُ
ينتشرُ
ينتشرُ
يسقى ترابَ مكّةٍ تياره المنهمرُ

سبحان من أغدق من سمائه الرحمة والأمان
مفتح الورود في ييوسه الكثران
وساكب الشذى نهوراً في قفار الملح والدخان
وهذب مقلتيك، يا هاجر، غيم ممطر
من شكره لربه يقطر ثم يقطر
والله معطي الماء عطر وغناء مسكر
في شفة الغيم، وليل مقمر
يعلم النجوم كيف تسهر
ويخبر العيون والأهداب كيف تأسر
والورد كيف يكبر

الله أكبر

الله أكبر

جنود مصر الصائمين!

آه قد آن لكم أن تفتروا

لا يكذب الله ولا يؤخر

القوا بأمر الله يا يهود

قنبلة ثقيلة وانشق يا أخدود

في باطن الأرض هنا، ولتنجس يا ماء!

جداولاً تسقى العطاش، انبجس يا ماء!

منابعاً غزيرةً تثرثر

بأمر ربّ الماء

لينثق منك شذىً وسُكْرُ

ما بين خيمات جنود مصر فى سيناء

ويشرب الجنودُ

يسقيهمو اللهُ رحيقاً نابعاً من شفة البارودُ

تحييهمو قنابل اليهودُ

فيرتوى الأحياءُ

ينبعثون من قرار السُّقْم والاغماءُ

حتى الذى صام ومات،...

سوف يصحو موتهُ ويُفطر

يذوق طعم الماء

يغسله الماء من الدماءُ

فيشكرُ

ويشكرُ

والأرض تستقبله مبسوطة الأحضان بالورود والأشذاء

يزغردُ الموتى له، يرشرشونَ جرحه الدامى

بماء الورد والحناء
فقبره وسائد خضراء
وموته حلم جميل غارق في اللون والضياء
ومن بعيد يرتقى في سمعه نداء
وليس أحلى من صداه... ذلك النداء
الله أكبر
الله أكبر

وانبجس الماء النмир حيث عسكروا
ونام طفل الضوء إسماعيل، حول وجهه يضيوع عنبر
وأشرق العالم بالضياء
سبحان معطي الماء
مفجر الندى من الصحراء
ومُنبت الزنبق، معطينا نهور الشعر والغناء
يا ربّ ولتمطر على من سماك الأشطر
والأبحر
ولتسق شعري أنت يا ممطر يا سقاء
يا غازل الأشداء
يا من بسقياه ورودي تكبر

وأغنياني **قطر**

الله أكبر

الله أكبر

٢٦ من ذي الحجة ١٣٩٣ هـ

١٩-٤-١٩٧٤ م

زنايق صوفية للرسول

قصيدة حب للرسول الكريم في صيغة معاصرة

البحر إغماء لحن حب، البحر زرقه

البحر طفل مسترسل الشعر،

للضحى فوق مقلتيه انكساره

رقة

وشهقه

البحر تلهو عرائس الماء في تراميه ألف جوقه

يلبسن غيماً، ينشرن أجنحةً من ضباب

عرائس البحر ضيعتنى

زورق شوق هيمان في فضاء العباب

وصيرتنى

فراشة الرغو والسحاب

وملء روحى وجه حبيبى

تسيحة عذبة ونجمه

وبرد نسمة

وجه حبيبى أكبر من لا نهاية البحر، من مداه

يسدّ أقطاره الزرق
يطوى طيوره موجّه، رَوَاهُ
وجه حبيبي: زنايق، اكؤس، مياه
وجه حبيبي واللائهايات عالمٌ واحدٌ
ليس يُشطرُّ أو يتجزأ

يا بحر قل: أين ينتهى ذلك الوجه؟
قل أين أنتَ تبدأ؟
وجهٌ بحارٌ أضيع فيها، وينطفى ضوءٌ كل مرفأ
ومقلناه

أين ترى تنتهى؟ وفى أى نقطة تبدأ البراءة؟
وما حدود الألوان فيها؟
وكيف يمتصُّ منهما البحر ليله؟
كيف يستعير الضحى ضياءه
وجه حبيبي، يا بركة الصبح والوضاء
وجه حبيبي كسره الموج واقتناه
أشعة، زورقاً، شراعاً
يحضن أفقاً ملوناً، يرتدى سماءه

وكان قلبي، وكان قلبي
يسبح عبر استغراق خصبه المرايا
في موج غيوبة وتيه، في حلم حب
مضيق في مروج هذب
يجوب لج البحور بحثاً،
عن لؤلؤ ناصع فيه ما في قلب حبيبي
من ألق السر، من عطور، ومن خفايا
من نغم دافئ الهبوب
يتمتع النبع فيه وتنساب ريح الجنوب
كنت على البحر أترع البحر من منايا

وجاءني طائر جميل وحطاً قربي
وامتص قلبي
صب على لهفتي السكينه
ورش هدي
براءة، رقة، ليونه
وقلت يا طائري، يا زبرجد
من أين أقبلت، أي نجم أعطاك لينه؟
يا نكهة البرتقال، يا عطر ياسمينه

وما اسمك الحلوى؟

قال: أحمدُ

وامتلاً الجوُّ من أريج الاسراء،

طعم القرآن،

وامتدّ فوق إغماءة البحر ضوءُ،

من اسم أحمدُ

وقلت في لهفة أتوسّلُ: أحمد، أحمد!

ناشدتُكَ الله، لا تتساقط غبار نجم مفتّت،

حُلم عابلة في الدجى يتبدّد

عيناك ليلة قَدْرى وريشك شمع ومعيد

وأسمك يا طلّرى أعذبُ اسم: أحمد، أحمد

أحمد كانت عيناه بحرا

تسقى يباب الوجود كانت تنشر عطرا

تنبت في الصخر مرج شذر وأقحوان

تسيلُ نهرا

من زعفرانٍ

أحمد قد كان يانعا تنمى الدوالى إلى جبينه

وفي عيونه

نكهة أرضي، وطعم نهري، وعطر طينه
أحمد قد لاذبي، ونمي أهداب لحنى
فى وله راعش الحنان

أحمد من ضوئه سقانى
أحمد كان البخور والشمع فى رمضانى
أحمد كان انبلاج فجر، وكان صوفية الأغانى
وأحمد فى مروج تسبيحة رمانى
كلا جناحيه بعثرانى
كلا جناحيه للممانى

من أبد الضوء جاء أحمد
من غابة العطر والعصافير هل أحمد
عبر عطور القرآن، عبر الترتيل والصوم، شمع أحمد
من عمق أعماق ذكرياتى
من سنواتى المختبئات
فى شجر السرو، من عطور الخشخاش واللوز
وجه أحمد

يا طائر الفجر،
يا جناح الزنابق البيض،
يا حياتي
يا بعدى الرابع الموسم
فى أغنياتى
يا طلعة الشمس المورد
فى زمنى، عبر نهر عمرى، فى كلماتى
أحمد، أحمد!
يا لون، يا عمق، يا وجنة السر، يا انفلاتى
من جسدى،
من سلاسلى،
من ثلوج ذاتى
من كل أقفال أمنياتى
يا طائر الصمت، والغموض الجميل، يا شمعدان معبد
أنت المدى والصعود،
أنت الجمال والخصب،
أنت أحمد
يا رمضانى، يا سكرة الوجد فى صلاتى
يا وردتى، يا حصاد عمرى، يا كل ماضٍ، يا كل آتى!

ويا جناحي نحو سمائي ونحو ربي
يا قطرة الله في شفاء الوجود، يا ظلّتي، وعشبي
انقر تساييح صوفية من على شفتي
بعثر قرائن بيضاً وخضراً في صحن قلبي
يا سُبْحاتي،

يا صوم أغنيتي،
ويا سنبلاً طرياً
إني أنا حُرقة المتصوّف في غسق الفجر
أحمد، أحمد،

هل أنت إلا طائر ربي
يا ثلج صيفي، يا لين سُحبي
يا ضوء وجهٍ يطلع لي من كل جهاتي:
شرقي وغربي

ومن شمالي، ومن جنوبي، من كل تعريشة ودرب
يطلع أحمد، يطلع أحمد، وجهاً نبياً
ملفحاً بالغناء والأنجم الشمالية المحيا

أحمد يا صافياً مثل أمطار آذار
يا ثلج أول الموسم الرحيم

مثل رفيف الأهداب فى أعين النجوم

أحمد يا شاطيء الأبدية

عبر سماء روحية الصمت، ليلكيه

تشرب صوفية الغيوم

يا لاعباً بالضباب، يا عطش المجدلية

أحمد، أحمد

أنا وأنت، الطبيعة، البحر... جو معبد

شمعة نذر فى خاطر المرتقى تتوقد

والله فى حملنا المورد

شباك عسجد

شباك عسجد

أحمد يا توق مقلتين

مضيئتين

خاشعتين

بالسر والعمق مملوءتين

يا وترأ من قيثارة الله، يا ورد، يا بحة المؤذن

يا أثراً للسجود ندى جبين مؤمن

أنا وأحمد

أنا وأحمد

سكون ليل ورجعُ تسبيحةٍ تنتهدُ

يحبنا البحرُ والهديرُ

تعشقنا موجةً وتغازلُ أغنيتنا

عرائسُ الماء والصخورُ

نحن قرابين في المصلَّى، نحن نذورُ

أنا وأحمد

نشوة قديسة تتعبدُ

سطور حبٍّ محوّة خَلَقَها سطورُ

نهرٌ مديدٌ، ولا عبورُ

أنا وأحمد

يحبنا الليلُ يسهرُ

يشتااق أعيننا

وبأسمائنا يتهجّدُ

يلثم أقدامنا البحرُ يحملنا في اتجاهِ

بعد اتجاه،

أواه لو أنت أحييتنا أنت يا إلهي!

ومقلتا أحمد صلاة،

مغفرة،

موعد،

بسملة

جناحه يجرف الخوف، والحزن من حياتي

يزيح أستاري المسدلة

يفتح في عمري كل بوابة مقفله

يمنحني للوجود شعراً، أذان فجر، غيبوبة، ركعة، سنبله

أحمد زنبقة الله تقطر فوق صلاتي

تنقط عطراً مذوباً في تنهداتي

أحمد فوق شواطئ وعي: فكر، محبة

والبحر من دون مقلتيه موت وغربه

من دونه العمر جرف ليال،

مثل الخطايا، سوداء، رطبه

أحمد توبه

أحمد توبه

وطارت الطير في الصباح

طارت جميعاً تلعبُ في الغيم والرياحُ
وتنقر الضوء فوق بحر بلا انتهاءُ
ولم يطر أحمدُ، ظلَّ قريبي
وظللنا سحبٌ مبقعةٌ بالضياءُ
كنا نغنى
للحبِّ، للبحر، للسماءِ
كنا شراعينِ شاردينِ
مضيعينِ
في غابِ لحنِ
تكسرتُ في غنائنا الشمس والمرافى واللانهاية
تكسرتُ كل ضحكاتنا، كل أشواقنا في مدى حكاية
والمدُّ جاءُ
يلثم أقدامنا، يتكسّرُ
أحمد، أحمد،
نحن، أنا، أنت والأعالي
ليلٌ وصمتٌ،
والله في روحنا غناءُ

٥ من رمضان ١٣٩٤

٢١-٩-١٩٧٤م

دكان القرائين الصغيرة

فى ضباب الحُلم طوفتُ مع السارين فى سوق عتيقِ
غارق فى عطر ماء الورد، وامتدَّ طريقى
وسع الحُلم عيونى، رش سكرأ فى عروقى
ثملت روى بأشذاء، التوابلُ
وصناديق العقيقِ
وبألوان السجاجيد،
بعطر الهيل والحناء،
بالآنية الغرقى الغلائلُ
سرقى روى المرايا، واستدارت المكاحلُ
كنت نشوى، فى ازرقاق الحُلم أمشى وأسائلُ
أين دكان القرائين الصغيرة؟
اشترى من عنده، فى الحلم، قرأناً جميلاً لحبىبى
يقتنيه لحن حبٍّ،
قمرأ فى ليلة ظلماء
خبزاً وخميره
عندما فى الغد يرُحلُ
عن مطار الأمس والذكرى حبىبى
يتوارى وجهه خلف التواءات الدروبِ

سرتُ في السوق، إذا مر بقربي عابراً ما، أتمهل
ثم أسأل:

سيدي، في أي دكان ألقى القرائين الصغيره؟
أي قرآن، سواءً أحواشيه حروف ذهبية
أم نقوش فارسية
أي قرآن؟ ... وفي حلمي يقول العابرُ
لحظةً يا أخت، قرآنك في آخر هذا المنحنى، في (مندلي)
اسألي عن (مندلي)

فهو دكان القرائين الصغيره
ويغيب العابرُ،
وجهه في الحلم لون فاتر...
ثم أمضى في الكرى باحثاً عن (مندلي)
حيث أبتاع بما أملك، قرآناً وأهديه حببي

حينما يرحل عني في غد وجه حببي
وتغطيه المسافات وأبعاد الدروب
حيث أبتاع من الدكان قرآناً صغيراً لحببي
ثم أهديه له عند الوداع
ليخبي ضوءه في صدره برعم طيب

وليؤديه إليه حرز حبيّ، وعصافيري المشوقات، وتلويح ذراعي
واختلاجات شراعي

سرت في حلمي في السوق قريره
أسرت روعي السجاجيد الوثيره
وأواني عطر ماء الورد، والكعبة صورهِ
نعست ألوانها في حضن حانوت
وفي حلمي مضيتُ
في دمي شوقٌ لـدكان القرائين الصغيرهِ
وحلمتُ
وحلمتُ

بقرائين كثيرات وأختار أنا منها وأهدى لحبيبي
في صباح الغد قرآنًا، ويؤويه حبيبي
صدرهُ تعويذة تدرأ عنه الليل، والسعلاة في أسفاره
تزرع اسم الله في رحلته، تسقيه من أسرارهِ

كان كل الناس لي يتسمون
وعلى لهفة أشواق سؤالي ينحنون
زرعوا حلمي ورودا
وسّعوا السوق زوايا وحدودا

كلهم كانوا يشيرون إلى بعض مكانٍ غامضٍ، إذ يعبرون
يهمسون:

اسألى عن (مندلى)

ابحثى عن (مندلى)

دكةً فى آخر السوق وتلقين القرائين الصغیره

أطعموا قلبى من نكهة كتبٍ عنبرياتٍ كثيره

بينها ألقى عصافيرى، القرائين الصغیره

حيث أختارُ وأهدى لحبيبي

واحداً يحميه فى ليل الدروبِ

ووشايات المغيبِ

واحداً يحمله فى الطائره

باقةً من زنبق الله، وسُحباً مَاطرةً

سرت طول الليل فى حلمى ولكن أين ألقى (مندلى)؟

شعب السوق حناياه، ترامى، وتمدّد

صار عشرين دروباً وزوايا

وفروعاً، خبايا

وتعدّد

وتعدّد

حيرتني أبصرتها طالعة فى قعر آلاف المرايا

قذفتني الامتدادات، ومصنتي الحنانا
وأنا أشرب كوباً فارغاً، والسوق مُجَهَّدٌ
تحت خطوى، ودمي يلهث شوقاً
وأنا أعطش في أرض الرؤى، اذرعها غرباً وشرقاً
لست أُسْقَى، لست أُسْقَى
ضاع مني (مندلي)
ضاع، لا القرآن، لا الأشداء لي
ما الذي بعد عطوري، وقرائني تبقى؟

مرّ بي في سوق حلمي ألفُ عابرٍ
كلهم قالوا: وراء المنحنى التاسع يحيا (مندلي)
حيث قرآني الحريريّ وعطري المتناثر
حيث ألقى (مندلي)
مندلي يا أنهرًا من غسلٍ
يا ندىً متثرًا فوق بيادرٍ
يا شظايا قمر مغتسلٍ
في دموعي، يا أزهيرٍ من الباقوتِ نامت في غدائرٍ
يا هتافات أذان الفجر من فوق منائرٍ
مندلي، يا مندلي
اسمه فوق الشفاء

فَلَّةٌ غَامِضَةٌ اللَّوْنُ، وَشَمْعٌ، وَنَرَانِبِلٌ صَلَاةٌ
وَزُرُوعٌ وَمِيَاهُ

وَأَنَا مَأْخُودَةٌ الْأَشْوَاقِ أَدْعُوهُ وَلَكِنْ لَا أَرَاهُ
وَأَنَا مِنْ دُونَ قِرَآنِ حَبِيبِي

وَمَعَ الْفَجْرِ سِيرَ حُلٍّ

فِي انْبِلَاجِ الْغَسَقِ الْقَانِي حَبِيبِي

وَشَفَاهِي صَلَوَاتٌ تُتْرَسَلُ

وَعَنَاقِيدُ دُمُوعٍ تَتَهَدَّلُ

انْبِثْقِ يَا عَطَشُ السُّوقِ انْبِثْقِ يَا مَنْدَلِي

يَا قِرَائِنِ حَبِيبِي

يَا ارْتِعَاشِ السُّنْبِلِ

فِي حَقُولِ الْحُلْمِ فِي لَيْلِي الْعَصِيبِ

أَيْنَ مِنْ مَنْدَلِي؟ وَالْبَائِعِ الْمَصْرُوعِ مِنْ عَطْرِ الْقِرَائِنِ؟

ذَاهِلاً مُسْتَغْرَقاً فِي حُلْمٍ؟

ضَائِعاً هَيْمَانِ مَأْخُوداً بِأَفْقِ مَبْهَمِ

يَتَشَاجِي، وَجَدُهُ سَكْرٌ وَتَلْوِينِ

صَاعِداً مِنْ وَلَّهِ فِي عَالَمٍ مِنْ عَنِيرِ مَضْطَرَمِ

تَائِهاً مِنْ شَوْقِهِ عَبْرَ بَسَاتِينِ

عَطَشَاتِ النَّخْلِ، وَالْقِرَآنِ فِي تَمُوزِهَا أَمْطَارِ تَشْرِينِ

مندلی یا ظمأی یا جرح سکین
فی خدود وشراین

وطریقى نحو دكان القرائین الصغیره
فیه أوراڈ لها عطر عجیب
کل من ذاق شذاها تائه،
منسرق الروح،
شرید
لا يؤوب

مندلی یا حقل نسرین
ذقت أسرارک واستبعدت کویى.
لم أعد أعرف فجرى من غروبى
وتواجدت وضیعت دروبى
وتشوقت لقرآن، على رفك غاف،
أشتریه لحیبى

وسمعت العابرین
یصفون المخزن المنشود، تسرى فيه أصداء
وتلاوین، وموسيقى، وأضواء

تصرع السامع صرعاً باختلاجات حنين

وشموع ودوالي باسمين

آه لو أنى وصلت

آه حتى لو تمزقت

تبعثرت

اكتويت

لو تذوقت العطور الساريات

حول دكان القرائين الصغيره

آه لو أمسكت فى كفى قرآناً، كدورى حنون القسمات

واحداً فى ألف قرآن، حواليه ضباب

وشذى ورد

وموسيقى مثيره

ليس يقوى قط إنسان بأن يصغى إليها

يسقط الصاحى صريعاً، غير واع، ضائعاً فى شاطئها

آه لو أنى أطبقت عليه شفيتها

هو قرآن حبيبى

آه لو لامست رباهُ بأطراف يديا

هو وردى، وامتلائى، ونضوبى

والنشيد المحرق المخبوء فى قعر دمي، فى مقلتيّ

وانتهى السوق، وفي حلمي يئستُ
وعلى دكة آمالي الطعينات جلستُ
وانتجبتُ
لم يعد في السوق من ركنٍ قصيٍّ
لم أقلّبه، وتاهت (مندلي)
غرقت في عمق بحرٍ من ضبابٍ سندسيٍّ
واختفت في ظل غابات سكونٍ أبدىٍّ
لم يدع يأسى حتى سحبة القوس على الأوتار لي
ضاع حتى الظلّ مني، وتبقت لي رؤى من طللٍ
أين أبوابك يا ترتيلتي يا مندلي؟
يا عطور الهيل والقرآن يا وجه نبيٍّ
يا شراعاً أبيضاً تحت مساءٍ عنبيٍّ

وإذن، ماذا سأهدي لحبيبي
في غدٍ حين يسافر؟
فرغت كفى من القرآن، غاضت في صحاراي المعاصر
وخوى خدای إلا من غلالات شحوبي
وحبيبي سيغادرُ
دون قرآنٍ هديّه

غضة تلمس خديه كما يلمس عصفورٌ مهاجرٌ
جبهة الأفق برشَّاتٍ غناءٍ عسيلةٍ
وحبيبي سَيَّاسُفَرُ
خاوي الكفِّ من القرآن، من عطر البيادر
وحكايات المنائر
وأنا أبقى شجيه
كظهيرات من الحزن عرايا، غيهبية
ضاع قرآني، وضاعت مندلي
واختفى وجه حبيبي
خلف غيمٍ مُسدِّلٍ
وامتدادات سهوبٍ وسهوبٍ
فوداعا يا قرائني، وداعا مندلي
وإلى أن نتلاقى يا حبيبي
وإلى أن نتلاقى يا حبيبي

٨ من جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

٢٨-٦-١٩٧٤ م

مرايا الشمس

أهدى إلى عبدالهادى خريطة لفلسطين

نامى على أهداب عيني يا خريطةها

ورقى فى دمائى

إنى نذرتُ لكى اكسّر قيدها زمنى،

نزيف دمي،

غنائى

آفاقها سأخطها بالورد،

أغرس عند (بيت المقدس) الدامى قرنفةً كبيره

وأحيلها فى عرض بحرٍ من زهور الماء والدفلى جزيره

واشكّ عند حدود (عكا) زنبقه

حرّى الغلالة، مغدقه

و(اللدّ) أنفحها برقة وردة جورية

حمراء غدتها دماء شهيدة عربية

و(جنين) أعطيتها شقائق غضة شفقيه

ول (غرة) أختار سوسنة نضيره

ول (كفر قاسم) ألف ليلكة أبعرها وأجلها ظفيره

وعلى مشارف أرض (بيسان) سأزرع ياسمينه

وينفسجات عند (حيفا) عند (يافا)
عند (نابلس) الطعينة
ولدى مدينة (طولكوم) نرجسه
أصحي بها ذكرى أضاح كالمرايا مشمسه
أهداب عيني يا خريبتها، هنا، نامى عليها
إننى ما بين بياراتها الثكلى سجينه
امطرتها ورداً، وعاشت خلف أسوار انفعالاتي
مدائنها الجميلات الحزينه
حتى زرعت فؤادى الخابى الشموع
على خريبتها مدينه

لا، دعى الأزهار ياكفى، خريبتها سأنقطها بدمعى
سأخط بالعبرات كل حدود (ناصرتى)
وبالشهقات أبني (بئر سبعى)
سأحيط أسوار (الجليل) بخضرة ريانة
تنال من ألمى ورفضى
وسأمنح (اللطرون) عصف رياح أحزاني، أسيجها ينبضى
والطفلة السمراء (رام الله) أرقدها على مهدٍ
يرطب حرة ثلج الدموع

والحزن حول غطائه الوردى أشرعة،
مواويل،

شموع

وسأزرع القلب الكتيب شجيرة،
قمرأ يضيئ في دجاء كل أرضي
فمن الشمال إلى الجنوب قرى مغمسة بدمعي
وورود أحزاني تعشش في مدائنها
تعطر كل زاوية وضلع
وبأدمعي حددت أرصفة الشوارع في (الخليل)
ورشفت من حزني جراراً من عبير
وارتويت من العويل

لا لا، برئت من الحدود الدامعه
وجزعت أن ترنو إلى خريطتي من هذه المدن الحزاني
إنى سأشعل في رباها ثورة
غضباً
دخانا

ولدى القرى السود العيون الضارعه
سأقيم من وهج القنابل مهرجانا
ويضوع عطر الموت، يسكر من تموجه عدانا

لا وردى البض الملون سوف يشفى وخزة الذكرى
ولا عبراتى الحرى الغزار
لا بل أسور بالختاجر والمدى تلك الديار
وأنيمنها فى غابة مسنونة الأشجار
تجرح بالسكاكين الحداد اللاسعه
بالعنف تنتزع المروج الضائعه
سأطير، أغرس خنجراً فى باب (عكا)
وأقيم حول (القدس) أرصفة الصواعق
أزرع الأسوار شوكا
وأذك (تل أبيب) دكا
سأحيط (غزة) بالقذائف، سوف أبذر
حول (يافا) حقل الغام ونار
فى الليل أشعله حرائق جُلنار
وسأفرش المدن الوديعه بالصواريخ المحبة والمدافع
الله أكبر يا عرائش!
يا قناطر!
يا شوارع
إنى سأبذر فىك أسلحتى وانتظر الحصاد
وسأوقظ الربوات فىك على براكين التحدى والعناد
قسماً وأرفض أن أبلل أغنياتى بالمدامع

ووضعتُ بين يديَّ خارطتي، رأيتُ ربيَّ مدائنَها خواءُ
مخدولة الطُرُقَات، يزرع صمتَها اللاشيءُ، يسكنها الهواءُ
ليالاتها عدمٌ، ظهيرتها ذبولُ
يمتصني، يُقصي خطأي، ودون بيَّاراتها الظمأى يحولُ
ويحيل خارطتي نُثْراً من طولُ
أحجارها لا نبض فيها، لا عروق، ولا دماءُ
حتى لهيبى يستحيلُ إلى انطفاءُ
وحرثتُ صخراً، لم أجد في الصخر زنبقة انتصاري
وجبينُ فجرى ضاع مني، والضباب دنا وأسدل ستره
غطَّى نهاري
ومضغتُ أشواك اندحاري

ساحاتها دوني ملفعة، يعزّ إلى مشارفها الوصولُ
كيف الوصول؟
والليل يفصلنا وتجرفنا السيولُ
تساقط الأحلام ميتةً، وتنكسر الحلولُ
وتخونني الأيام
تسقط من خلال أصابعي حتى الفصولُ
وشعرتُ أنّي قد بعدتُ، بعدتُ واحتجب اللقاءُ
يست عناقيد الرجاءُ

وتمدّدت بينى وبين تلالها مدُنُّ البكاء
وعرفت سرَّ البعد، سرَّ التيه، إني قد نسيتُ
أن أنقش اسم الله فوق صخورها
وحرمتُها من ضوئه، من دفته،
عذراً لعطر ترابها، وورودها، ونهورها
أفرغتُها من سرِّ قوتها، رضيتُ
لربوعها الفقر الحزين، منحتها الجذب المميتُ
كلا سأرجع للخريطة،
أنثر القرآن أجنحةً على كل المزارع
حتى أرى اسم الله محفوراً على شجراتها
مستودعاً في قلب تعريشاتها
متألقاً في ذبذبات حنين أغنياتها
حتى أرى اسم الله أنداءً وخضره
وشذىً ووفره
في كل بياراتها

إني سأكسر قيد خارطتى بأسلحتى جميعاً

وردي،

ودمعى،

والسكاكين الحداد،

وذكر ربي
ستشق لي ومضاتها درياً سريعاً
حتى أراني في فلسطيني:
نجوم ملء دربي
وشموع ميلاد، وصحو، خلف هذبي
أمشي أحرر بأسم ربي، بالسلاح
بالورد، بالدمع المضى، مدائن الدم والجراح
حتى تتاح لنا، لها، لشنات أهلها معانقة الصباح
وتعود خارطتي الحبيبة،
ملك قلبي
تحت هدي
لا يجوب سفوحها غيري أنا،
غير الأغاني، والعروبة، والرياح
وأحسن خارطتي ترفرف كوكباً، في لا نهايات المدى النائي
وينبت لي جناح

٤ من محرم ١٣٩٤ هـ

٢٧-١-١٩٧٤ م

ميلاد نهر البنفسج

مليكى على كلماتى انبت جناحا
ورُشَّ على أغنياتى صباحا
واسرج رياحا
ترقرق فى اللانهايات لحنك أعلى وأعلى
وهبنى ما هو أحلى
سنا ومضة من بريق جبينك
ودعنى أرى كيف تنبت تحت عيونك
مراعٍ جديدة
ودفقات عطرٍ جديده
وغابات ظلٍ وحبٍ جديده
ودعنى أرى كيف يتم انبلاج القصيده
وكيف تهلُّ خطاها الوليده

يحاول لحنى أن يتدفق بين يديك
مليكى فتخبو بروقى لديك
وبهزنى وجهك الملكى
ويصمتُ شدى انغلاقٌ وعى

ويفلت منى لجام القصيده
فواصلها تتمطى دوائر
وأوتادها اللولية تهرب، تيس بين يدي المحابر
وأشطرها تتراكم شاردة في الشعاب المديده
تضيع القصيده

تطير القوافي بعيداً وتثر عبر الدجى شعرها المُهْمَلا
وتضحك منى، تطفر، ترفض أن تنزلا
مقاطعها تتراقص عبر المدى حلماً مذهلاً
وتقتطف الريح من هديها سنبلاً
وتدق - دونى - أشطرها جدولا
وحين ألامسها تبدد
فراشاتها في أصابع كفى تخمد، تخمد
سنابلها تتجمد
وأعجز عن أن أنال القصيده
أحاول أن أتصيد شطرا
وأمسك بحرا
وأرتدُّ تفلت منى القوافي عرايا، بديده
وأشعر أن الدجى يتمزق حزناً على

وَأَنْ كَوَاكِبُهُ تَتَنَهَّدُ
وَتَنهْشُنِي حَسَرَاتٌ جَدِيدَهُ
وَعَبْرَ الدُّجَى أَتَحَرَّقُ، أَذْوَى أَسَىٍّ أَتَبَدُّ
وَأَعْجِزُ عَنْ أَنْ أَلَمَّ وَرُودَ الْقَصِيدَةِ
وَأَبْقَى مَبْعَثَةً فِي الظَّلَامِ شَرِيدَهُ
يَشَاغِلُنِي ضَوْؤُكَ الْمَلَكِيُّ، تَزُوعُ الْمُقَاتِعُ
أَهِيمٌ مُضِيْعَةٌ فِي شَعَابِ الْقَصِيدَةِ، عَبْرَ شَوَارِعُ
وَأَضْرِبُ فِي سَكِّ وَمَزَارِعُ
تَفَاصِيلُ وَجْهِكَ مَخْتُومَةٌ بِالضَّبَابِ
وَرُوحِي مَخْتُومَةٌ بِالْمَدَامِغِ
مُحْجَبَةٌ فِي سَوَادِ بَرِاقِعِ
وَقَلْبِي اغْتَرَابُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْسُدُّ اللَّيْلُ فِي أَلْفِ سِتْرِ وَبَابِ
وَيَحْجُبُنِي عَنْكَ أَلْفُ حِجَابِ
وَتَبْقَى الْقَصِيدَةُ سُورَ مَدِينَةٍ
مَلْثَمَةٌ بِحُصُونِ حَزِينَةٍ
وَتَبْقَى الْقَصِيدَةُ أَسْئَلَةً وَصَدَاها
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ جَوَابِ

وأهمس: الله أكبر
ويثمر غصن السكون، ووجه الدُّجَى يتغيرُ
ويمطر نجمٌ،
وفى شفتى يتفتقُ بيدرُ
ووجه القصيدة يقبل مشتعلًا، يتكسرُ
شعاعًا، شعاعًا، يرطب روحى
ويلثم كلَّ جروحى
ويغرسنى وردةً فوق مجذبةٍ من سفوحى

أذن هكذا؟ حين أهمس باسمك
يُفتح كنز المعانى الوليده
وتنمو على شفتى القصيده
خطاها الوثيده
حفيف رياح بعيده
مليكى، وأنت القصيده
وأنت جمال القصيده
ومن ضوء وجهك يطلع فجر القوافى العنيده
كلؤلؤة فى الظلام فريده

وتولد عندي القصيده
كمولدينوس من زبد البحر طافية مثل ورده
جدائلها أشطراً عائمات
وأهدابها من حروف ومن كلمات
يوسدها الليل أهدابه، وهواه، وسهده
ويمنحها زبد البحر خده
يرقرق في وزنها شفقاً وثلوجاً وزبده
ويطعم أبياتها من بريق اللآلى
يصوغ اليواقيت قافيتين
يبعث قوس سحاب، يقيم دوالي
ويسكب برد الليالى
وزرقة أمواجه في مدى مقطعين
ويبعث انشودتى عذبة الحبر بحرية الشفتين
مضمخة بشذى البرتقال

وتولد عندي القصيده
أراجيح رؤيا، ودنياً جديده
يقطرها الله ينثر أشطرها العسلية

ويُغْدِقُهَا نَجْمَةٌ تَتَوَهَّجُ

وَنَهْرٌ بِنَفْسِجٍ

وَتَعْرِيشَةٌ مِنْ مَشَاعِرِ زُرْقٍ خَفِيَّةٍ

وَتَبَزُّغٌ فِي الضَّوِّءِ أَغْلَى هَدِيَّةٍ

وَأَحْلَى،

أَرْقٍ،

أَحَبُّ صَبِيَّةٍ!

في ١١ من صفر ١٣٩٤هـ

٥-٣-١٩٧٤م.

سنابل النار

ذات شتاء أثمرت النار، فاشتعل الحب ثلاث
دوائر، وأصفرت معه النار، ثم أحمرت ثم
صارت بيضاء تحرق عيني من يحدق فيها.

أرقصى فى الموقد الشتوى يا نار
فهذبُ الليل يثمر أدمعاً، والبرد بتار
على روى تهبّ عواصفُ رعناء
وفى قلبى ينام شتاء
وفوق غصون أهدابى السَّهارى تسقط الأمطار
ويلطم فكرتى الإعصار
وتطرق باب ذاكرتى، عيونُ،
أوجهُ،
أخبارُ

من الماضى وتصرعنى همومُ رطبةٌ ثلجية الأستار
تقلبنى جبالُ خواطر وبحار
تدبّ النار مشعلةً ثلوج دمي
يلامس دفؤها نغمى

بريق لهيها صيفاً على عودي، ويُصْحى غفوة الأوتارُ
ويحملنى جناح النارُ
لكل دوائر الحبِّ
ثلاثتها، ويُنبت لى على قلبى
جناحين، من الحلم، من التذكارُ
ولولا النار ما كانت ثمار الحبِّ لولا النارُ
عرفت توهج الأهواء حول لهيها، فعواطفى أغوارُ
تضيّعى مسالكها الخرافية
وتحملنى الى دنيا مضيّعة، ضباية
لها أعمدة، أقبية، أسوارُ
من النيران تبدأ رحلتى
تنشق لى طرق
وتختطف روى الأسفارُ
ففى أغصانى النشوى يكاد يسيلُ نُسْغُ النارُ
وورد الحبِّ والأشعار
هو الأثمارُ
وكل هوى أحسُّ به
له يا ليلُ دائرةٌ
ولونٌ فى لبيب النارُ
وتعكس لى حقيقتهُ مرايا النارُ

هواي الأول الحسى، دائرتي الصغيره
حبّ إنسان من الناس
هواه كوكبٌ فى مقلتي، فى شعري طوقٌ من الآس
وبسمته حقول شذى، وترنيمه أجراس
يحليني، يزخر فني، يتوجّني
على مملكة الوهم
وفى أروقة الحلم... أميره
يصغرنى، يحولنى
إلى شفة ملوّنة، إلى تنورة والى ظفيره

حبه صيفٌ من الورد يغنى فى دمائى
وجهه عصفورةٌ تائهةٌ عبر سمائى
واسمه سنبلهٌ فى شفتيا
ريشتنى فتحت قلبى شبابيك ضياء
وأحالت عمري بستان برسيم ثريا
صيرت أغنيتى زهرة ماء
قذفت كلّ نجوم الليل فى قعر إنائى

جسّمتُ السنة النيران لي شخص حبيبي
أطلعتُ لي وجههُ من شفق الذكرى
سماً في غلالات غروب
وجههُ أم زهرة حمراء؟ أم وهج ضياء؟
وفؤادي أم جناح طائر يسبح في ربح الجنوب؟

وجههُ أم وردة النار وعنقود شرر
وتراتيل الهوى الأرضي في روعي أم مدُّ صور؟
وبحارٍ في دمي أم أشرعه؟
أم مواويل وتيارات شوق مترعه؟
وصبايات وأهواء أخر؟
وادكارات لقاء في جفوني؟ أم تهاويل سهر؟
وشظايا لهب أم مزرعه؟
أم فمٌ يبسم أم عطر مطر؟
أم مشاوير فصول أربعه؟

تلعب الأهواء بي يا نار، إني وردة في المرج صفراء
تؤججها أعاصير وأنواء
وتقذفها على صخر يمزقها

ويحرقها

ويمنحها شعوراً أنها تترج في ظلّ وفي ماء

وتُسقى العطر في حمام أشداء

تغير موقد النار

مع الإحساس في قلبي، تبدل موقد النار

أصابته ناره صفره

بلون الشك والأهواء والغيره

بلون تعطشي وجموح أفكارى

وما في الحب من شوق، ومن صمت، ومن حيره

مؤرجحة كأني قشة في حزن إعصار

مضيعة بודيان الهوى الخطره

وألبس معطف النار

وأغنيتي تضيق طريقها في الليل

يرتحها الهوى والسيل

وقد تسقط في لجّة أفكار

وقد تأسرها نظره

ومثل الحب، هذى النار، ألسنة مراوغة فلا تلمس

غمائم من لهيب سائل، زورق شوق أصفر الصارى

ونهر نائر الأمواج مجنون فلا يحبس

وزوبعةٌ تضج وحزّ منشارٍ
فيا نارى، يا نارى
غرامى الجامح الأرضى يشبه وجهك الأصفر
فلمسٌ كليهما دفءٌ
وطعم كليهما سكرٌ
وقبلاتهما تجرح كالخنجر

-٢-

ويا نارى فى لجة هذا الموقد الأصفر يا نارى اصهرينى
طهرينى وارفعينى
إننى انفقتُ فى حبى الترايبى سنينى
فإلى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى
وابعثنى
فى الدُجى قبرةً لاثغة تهفو لبيارات يافا وجنينِ

إن حبّ الأرض أظهرُ
من هوى مرغٍ إحساسى فى الطين وعفّرُ
فى ثرى الأهواء والحمى جبينى
إن حبّ الأرض غاباتٌ، وقرميدٌ، وقمحٌ،
حبّها شرفة مرمرٌ

حبّها يغسل شكى في بحيرات يقين
حبّها يزرعني زورق شذر سابحاً في نهر كوثر
إن حبّ الأرض تشكيلة موسيقى ولين
نهر إيقاع، وأجراس حنين
وأنا في مرجها عصفور بيدر
حفنة من رملها نجمة فجر
حلم
سلة عنبر
فصداها يتكسر
في صلاتي، في غنائي، في سكوني
في ابتهالات حيني

ورؤاها تتدثر
بين أهدا بعيوني
ذكريات، ومواويل، وتاريخاً برود الظل أخضر
أتذكر
أتذكر

كل أمجاد القرون
كل زيتوني، وبيارات أحبابي، وطني

كل حقلٍ في ثراها
مرة أعطى وجوهاً ومواعيد وأثمر
كل عطرٍ ونسيمٍ غمر المرج وأسكر
كل نجمٍ من أعالي أفقه النائي تحدر
يحضر العيد ويسهر

أنا في حب فلسطيني أعيش العمر عمري
وأصبح في مدارين
وترقص لي عرائس ماء بحر

هواي لها يغير جواهر النار
تبدل موقد النار
وصار اللهب الأصفر جمرًا قاني الحمرة
له حجم، له شكل، وخلف أجيجه فكره
إذا ما شئت ألمسه بكفياً
أوزعه هنا وهنا وأنثره
ألممه، أبعثره
هنا جمره
هنا جمره

هنا جمره
وتشرب دفته أهداب عينا
وآخذهُ ارتواءَ دمي المشوق، ودفء أشعاري
وشمعي وتسايحي ومشواري
وحمرة ذلك الجمرِ
دمٌ يجري
بلون الغضب النازف من جرح فلسطينِ
وحمرة ذلك الجمرِ
ورودُ فانيات من حدائق دير ياسينِ
مغمسة الشذى في جرح مطعونِ
وحمرة ذلك الجمرِ
كمثل سهولنا الدامية الخضرِ
ومثل حقولنا المحلولة الشعرِ
يرويهها دم الشهداء في رحلة إصرارِ
إلى أودية الثأر
إلى أودية الثأر
إلى مستقبلٍ يفتح للدارِ
شبايكاً تطل على امتداد مروج أقمارِ
ويقصم عوسج العارِ

ويا نارُ اهدمينى
ثم صوغينى كيائاً ثانياً، وابنى جبينى
واملاى من ألق الضوء شفاهى وعيونى
طهرينى واغسلينى
واحملينى عبر آماد الدياجير احملينى
والى دائرتى الثالثة العليا انقلينى
إننى أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنينى
إننى أنبذ شكى وفتونى
والى الشمس، إلى أعلى الذرى،
يمتد جذعى وغصونى
حيث ألقى فى المدى وجه مليكى

كيباض الثلج
كالأنجم
كالفعلّ ألاقه مليكى
فى طريقى ينثر الحب ثريات،
شواطئ لا نهايات، ويرمى لى شموسا
ومجرات من الضوء،

نهوراً عذبة الدفء، تُصَفِّي وتُنَقِّي
وسماوات بلا عدٍّ
وأوديةً من الألوان والورد،
أفسحُ في جنائنها وأُسْقِي
ثم أُسْقِي
من رحيق الأنجم الصيفية الطعم كؤوساً وكؤوساً

حُبُّه، حبّ مليكى، رحلةٌ في اللانهايه
وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لى كل بدايه
حُبُّه إغماءةٌ، قمريةٌ تلثغ، رايه
حُبُّه لى قمرٌ، ليلكة خضلى، سماءُ
ومقاصيرٌ وأعنانٌ، وأوتارٌ، وماءُ
حُبُّه خضرةٌ مرجٍ سافرت عبر سماواتٍ واكوانٍ
حواشى الأفق من روعتها لوحة فنانٍ
وصوتٌ حفيفها عطرٌ وقرآنُ
ومن فنتتها أسبح فى أعراس ألوانٍ
وحبّ مليكى المحبوب غيرَ جوهر النارِ
تبدّلَ موقدى وامتلاّت شعلتهُ من عطر أزهارِ
وذابت فى نقاوته من المجهول أسرارِ

وصارت نارهُ بيضاء كالبرقِ
ويا ويل الذي يُلقي
عليها نظرةً: يَعْشَى
تعود جفونه حرقاً وسُحْبَ دخانُ
بياضُ باهر الأمواج ليس تُطيق وهج صباحه عينانُ
وبرقُ يصعق الإنسانُ
وضوءٌ يستبيح العينَ، يُلْهبها ولا يُبْقَى
لها بصراً ويسقى الروحَ ما يسقى
شعاع النار مدُّ ساطع الألوان
غفا في لجه أبداً، ونام زمانُ
أصابعه مَضَّتْ تلمسني
تُسْقَطُ عن ظهري ثقل سلاسل الرقِّ
بياض النار يبهرنى
ويأسرنى
فأخرج من كياني ينطوى زَمَنِي
وأصعد دونما قيدٍ يقيدُنِي
وأرقى في الأعالي دونما بدنٍ
هنا وطني

هنا وطني
هوى ملكي يللم كل أشتاتي ويجمعني
ويرفعني
إلى أحلى
إلى أغلى
إلى أعلى وراء مدى لهيب النار
أغيب أغيب لا أبصر حتى النار
ولا أتذكر الأشعار
أخوض في بريق نهار
ويهبط حول وعي، حول إحساسي بياض ستار
وافقد عالمي، نفسي، شعوري
عبر غابات من الأقمار
وتخبو، لا أراها
تنطوي، تدوي، تغيب النار

١٧ من محرم ١٣٩٤ هـ

٩-٢-١٩٧٤ م

السَّماءُ على غَايَةِ الصَّبِيرِ

الحب والعذاب أقبلَا

تبسما في ولهٍ عَذْبٍ، وذابا خجلا

يدًا بيدَ

خدًا لخدَ

الحب والعذاب في فناء قلبي نزلا

طفلين قادمين من مجاهل الأبدِ

يوزعان في الصباح أدمعا وقُبلا

وهذب مقلتيهما أمسٌ وغدٌ

وعطرُ موجةٍ ومدٌ

الحب قال لي: صباح الخيرُ

فقلت للحب: صباحي أغنياتُ

ضفَّتَا نهرَ،

سماءُ،

طيرُ!

وقال لي العذاب محزونًا: مساء الخيرَ

فقلت للعذاب: قلبى قُبْرَاتُ رَحَلْتُ
وأغنياتُ هَطَلْتُ
وغابةٌ يسكنها الطحلب والصبيرُ

والحب والعذابُ قالَا لى: خذينا نحن توأمان
جرحان ضائعان
أو وترا كمان

فضمدينا بالأغاني، دثرينا بالقبْلُ
وأسكنينا الأبد الضائع فى صمت المَقْلُ
والحب والعذاب قالَا لى:
أحبينا فنحن هنا عصفورانُ
من غابة الضياء والأحزانُ
نحن شراعا مركب مضيع، ونحن ميلاد حياةٍ وطللُ
الأمل الطرىُّ فى أكفنا أكفانُ
والحزن تفاحٌ وجرتا عسلُ
والشعر فى شفاها نهرانُ
عذوبة الملاك فينا، ولنا شراسة الشيطانُ
ونحن قبرٌ وصباحٌ، مرثياتٌ وغزلُ
ووجهنا تموز تارةً،

وتارة نيسان!
الحب والعذاب سَجَانَانُ
سجنهما حولي جنتان
سلاسل أساور وطوقُ ورد أحمر
وباب سجنى شرفة مُطلَّةٌ على دُنَى وأعصرِ
والحب والعذاب رِيًّا مطر
سكران من عطرهما المكان
والحب والعذاب ترتيلٌ، وموج أبحرِ
وظل سنديان
وبسمةٌ فى أعين حريئة، وآيتا قرآن
والحب والعذاب شباكان
وخضرتا بستان!

الحب والعذاب أمواجٌ وزورقان
فى نهرٍ ناءٍ بلا شطآن
هما تواريخى، وميلادى، وعمرى الثانى
وعطر أيامى ومهرجانى
وجهاهما الحلوان رحلانى
إلى بلاد الشعر والأغانى

والحب والعذاب شتّانِي
فِي غُرْفِ الرِّيحِ أَسْكِنَانِي
وَفِي دُرُوبِ الْجِرْحِ وَالدَّمُوعِ ضِيعَانِي
لِلْحَزَنِ أَسْلَمَانِي

لَأَغْنِيَاتِ رَطْبَةٍ عَارِيَةِ الْجُدْرَانِ
يَسْكُنُ فِي أَحْرِفِهَا الشِّتَاءُ
وَتَصْخَبُ الرِّيحُ وَالْأَنْوَاءُ
الْحُبُّ وَالْعَذَابُ دَفْتَرَانِ
أَرْسَمَ فِي صِمْتِهِمَا أَحْزَانِي
وَالْحُبُّ وَالْعَذَابُ
زَنْزَانَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ بَابٍ
وَصَفْحَتَا كِتَابٍ

مَمْحُوتَانِ

وَالْحُبُّ وَالْعَذَابُ دَمْعَتَانِ
وَوَرْدَتَانِ

الْحُبُّ وَالْعَذَابُ قَدْ بَاعَانِي
وَعُودِي اشْتَرَانِي

قطرني قصيدة افتتان
صيرني هنيهة في عمر الأغاني
وكوكباً مجرحاً أرساني
أشعلني ترتيلة وجرح شمعدان
يا وجهه،
يا رحلتى،
يا عتمة الطريق
يا نجمة فوق جبينى يا شراع جفنى الغريق
يا شفق الجرح، ويا ضبابة البريق
ملاكى الحارس؟ أم شيطانى؟
يا وجهه النائي عدو أنت أم صديق؟
تورق فى كيانى
موتاً، ونهراً مُشمس الرحيق
يا غسقى، يا نكهة الرمان
يا جرحى الوريق
تسلم يا صومعة الأغاني

فى ٨ من صفر ١٣٩٤هـ

٢-٣-١٩٧٤

تمتعات فى ساحة الإعدام

تحت قرار الإعدام فى الساحة اجتمعنا
إثنين عيناها بركتا أنجم ودوال
وشمس حزن تشرب من جرح يرتقال
تسأل ماذا نحن أضعنا
بالموت، والحب، والعيون الغرقى الأسيره
نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب القداء والشمس قد رضعنا
نحن حرثنا، نحن زرعنا
سنابل الموت، واتخذنا الأسى خميره
لخبزنا، والسهاد فى دمعنا جزيره
وفى مزاد الرياح بعنا
خضرة أعمارنا، واشترينا ركام أحزاننا الصغيره
ونحن صنعنا
ذات ظهيره
وردة موت، فى عطرها نحن قد رتعا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

كنتَ الفدائي أنت، الفدائية القاتنه
أنا، وكنا مبتسمين
يجمعنا الحبّ والموت والحلم، نحن كنا
متتصرين

عيوننا الصامته
صيرها الحبل حول اعناقنا لافته
تعيد تاريخ كل طفل،
أطعمه القاتلون للموت، ذات صيف
تكشف أخبار كل مقتولة، وجدائلها نابته
فى الدم والوحل، مقلتها صلاة خوف
وحول كتفى
ذراعك الحانيه
وفوق أحزاننا ومنانا قفل وبسمة
ونجمة قانيه
وملء أهدابنا طقوساً لدمعة، لاختصار كلمة

نمرع فى جبهة المشنقة
طفلىن يشتعلان خصباً فى جذب زويدة مُحْرِقه
ونرتقى سلم المشنقه

وفوق ذروتها تنحنى يا حبيبى
تزرع فى شفتى موقفاً، فكرةً، وشُعْله
والموتُ قُبْله

تمنحها ثلجها المدمى تلُّ أَيْبٍ
وإذ تبسّمت يا حبيبى
تفتحت وردة المُشنقة
تموّجت، أوركّت فى السنا مثل زنبقه

وأرسلت حولنا شعرها فى جدائل سودٍ
صبّت علينا صيف الأغانى وذوقتنا
نكهة موتٍ مختبئٍ فى نهار عيدٍ
وأرجحتنا، وأرجحتنا
وتحت وجه الردى مع الصيف وحدتنا
وصيرتنا

حلماً له هيكلٌ، له شاطيءٌ، ومعنى

تشنقنا أغنيه

ونقطف الشمع والأمانى من شجر المرثيه

يصلبنا الليلُ والمتَّاهُ

ينتزع الهدبَ والشفَّاهُ

يسمر الحلم عبر أحداقنا أودية

ممتدة فى أغوار تسبيحة وصلاه

نعرف فى الضوء كيف تتصر الكبرياء على المشنقه

وكيف يضحى المقتول سوسنة وحياه

وكيف يُعطى الخلود،

صمتُ العناد فى الشفة المُطبَّقه

حبیب قلبی، أعطى لقلبی موتاً لذيذاً وعطر مشمش

وطائراً فى دمی يعيشُ

أعطى لقلبی طعم نزیفٍ ولا نهايه

أعطيتهُ زنبقاً وقتلاً بلا دماءٍ وخفق رايه

منحتهُ خارطه

للقدس أسبل فوق رباها دماءُ العذبة الناقطه

ومقلتنا للموت والرفض... شرفه،

شمعة،

وساده

وقاسمتنا الربيع والصبر والشهادة

مشنقة صمتها عبادة

فإنما موتنا ولادة

في ٤ من شوال ١٣٩٤ هـ

١٩-١٠-١٩٧٤ م.

السفر في المرايا الدامية

في ٢٦ حزيران ١٩٧٤ تحررت مدينة القنيطرة
من الاحتلال الصهيوني

قال القمر

حبيبتى قد رجعت من السفر

حبيبتى القنيطرة

صفحةُ مرآة دم مكسره

في قعرها رسومٌ قتلىَ عرب مبعثره

في عمقها تدمى وتقطرُ الصورُ

قال القمر

حبيبتى قد وصلت عائدةً من السفر

أرخيتُ فوق كتفها جدائلى فأجفلتُ

فرشتُ ضوئى تحت مسرى خطوها فأجفلتُ

لثمتُ مجرى دمها فأجفلتُ

تغيرت ألوان عينيها ومن ملح الرياح اكتحلتُ

حييتى قد قُلتُ

قد قُلتُ

مطعونة تحت مساقط النظر

ومن سماء مقلتيها يتناثر المطر

وفى الصخور، والدوالى، والتعاريش دماء،

وجنائز أخر

حييتى القنيطره

راجعة من السفر

إيقاع تذكاراتها: حرائق، دم، حفر

أرجوحة للموت والريح ووجه مجزره

وفى موانى مقلتيها سفن غاربة محتضره

حييتى ترفض أن ألثمها، أطلب من غمازتيها المغفره

قال القمر

حييتى بعد سنين غربة قد رجعت من السفر

عائدة من رحلة فى قعر آلاف المرايا الماحيه

راجعة من المتاهات ومن أرض الرياح العاويه

حيث تقاطع الخطوط الداميه

وحيث يَمحى كيان المنحنى، يضيع وجه الزاويه
محوّة حبيتي خطوطها
ضائعةٌ خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطها
معكوسةٌ صورتها على العيون المجذبات الخاويه
وهميةٌ حتى ورود شعرها،
وهميةٌ أمشاطها،
وهميةٌ قروطها
أكذوبةٌ المرآة فى مقلتها الولهى وعقم الهاويه
مصلوبةٌ حبيتي على جذوع السنوات العاريه

قال القمر

ووجهه الحزين رعشةٌ وظلٌ فى نهرٍ
مسيّةٌ حبيتي، مخنوقةٌ، مهدّمة
خدودها شاحبةٌ يجرحها حتى مرور الكلمه
أذرعها حقائبٌ خاويه، راح بما فيها اللصوص القتله
لم يبق من فضتها، لؤلؤها إلا جلودٌ رثّة مهلهله
سيورها مثلّمه
أقفالها تدمى، تصيحُ الريحُ فيها،
يغرُسُ الخرابُ فيها أنملةً

حببتي أكتافها مهشمه
أسوارها مقتحمه
ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحُ
والموت والرياحُ
قبابها كواكبٌ مرتحله
بيوتها فم الجراح المشتعله
أشجارها منزوعة الورقُ
فارغة الحدقُ
من دمعها، من دمها، أهدابها مكحله
تُسبل من فاكهة الدماء والحمى غُصوناً مثقله
ولم تذق حببتي منذ سنينٍ وشوشات سنبله
كلا ولم تلثم دواليها سوى أنياب صاروخٍ وعض قنبله

مرميه حببتي القنيطره
على مسامير سريرٍ خربٍ مشتعل الغطاءُ
مروجها مقابر الغناءُ
صيرها حقد اليهود غابةً من مِرْقٍ، حرائقٍ، أشلاءُ
لكنما جراحها معطره
يطلع منها قمرٌ مقاتلُ،
تخفق فيها رايةٌ متصره

حييتى القنيطره

عاجزة أدوية الطبيب عن شفائها

أسقوا صداها جرعةً من برّدى، رشوا على شتائها

صيف الجراح القمره

فطعنة الخراب فى رخام صدرها

تَشْفَى بأن تنام فوق خدّها وشعرها

سماء سوريا، وتحنو الشجره

والقبره

على شطوط جفنها المحموم، إن المقبره

ستستحيل نجمةً مؤتلقه

وموجةً مرقرة

تعطى أباريق الأغاني للشفاه المطبّقه

وتمسح الدموع عن سوسنةٍ فى الأعين المغرورقه

توسدُ المدينةَ الطافية المروج فى بحر الدماء المحرقه

تهدى إليها قبلةً وزنبقه

قنيطره

قنيطره

سلمت يا حبيبة الجولان

وعشت يا غدائر النجوم، يا مراتع القطعان
يا نهر كهرمان
يا صلوات المغفرة
يا خرزتي مسبحة مقطوعه
يا آية مبتورة في شفتي مرتل القرآن
شحوب خديك ستسقيه الشفاء الخيره
ومن جديد في الربى ستشمخ الجدران

ويصعد الأذان

قنطره!

قنطره!

لتنتب الأنياب في فكك ولتطلع قرون فظة موثره
وهيئ مخالباً ومقبره
تصطاد إسرائيل، إن الغد نسغ صاعد في شجره
وبرد ينبوع،
وشمع،
وشبابيك عيون مقمره
إن كنت جرحاً نازفاً
إن كنت هذباً ذارفاً،

فأنت أيضاً فرحة المدينة المحرّرة

راجعةً من رحلة المرأة والفقاعة المسوّرة

عائدةً من مُدُنِ البراقع

إلى حقيقة الدم القانى السكوب وإلى صراحة المدافع

نابتةً أغنيةً وبرعماً على فم العروبة المتصره

بلودان، فى

١٦ من جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

٥-٧-١٩٧٤ م

صور وتهويمات

أمام أضواء المرور

- ١ -

اشتعل الضوء الأحمر

والحلم تكسر

وتبعثر

يا حمرة، يا حسرة وردة صيف جورية

راعشة تحت أعاصير ثلوج قطبيه

يا لهباً منبعثاً من خلجان

محترقات خلف الذكرى فى دوامة ألوان

فى دنيا منسية

يا شفقاً مسروق الحمرة من خد صبي جوعان

يا حناء فى كف همجية

يا نصلاً يطعن، يستنفذ

صبر الأرض الأفريقية

يسلم أعناق دواليها للصليبان

يا نهماً يسحب كوب الماء الصافى من شفة العطشان

اشتعل الأحمر! قام جدارٌ ما بين القلبين
أستار المسرح قد هبطت،
فصلت،
حفرت جرحين
غسلت بالأدمع أغنيتين
قطعت وترين

حمرة! يا عدماً مختبئاً في زويدة تموزيه
اسلمت الورد لعصف الرياح الشرقيه
وأباحث أشرعة النهرين
وامتصت ياقوت الشفتين
يا نقطة وقف في خاتمة الكلمات النيسانيه

تقطع ما نتمنى أن نسمع ما بعده
لا تعطينا العطر ولكن تفجعنا بحطام الورد
تنزعها منا من حرقتنا الروحية
تنفيها من غابات الذكرى المربدة
تنهار وتحترق الورد
يا حمرة! يا لهباً شراً حرق حنجرة القمرية

أشعل شفة المنشد في الفجر

وقصّ جناح الأغنية

يا شفة تصرخ: لا

سمّرت العابر فوق التلّ وكسّرت الأمل

قطّعا، قطعاً، يا رشّة نهى دموية

يا قاتلة الزهرة، يا عوسجة الطرقات البرية

يا صيفاً قد رحلا

يسحب أشلاء صباه تحت أعاصير تشرينية

يا عقلاً مبحوح الفكرة يؤوى شللاً

خرّب موجاتٍ وحقولا أسطورية

غيب «الدورادو» ورباها الذهبية

عن عيني وطواها في أرضٍ سرية

أسكنها زُحلاً

يا فرحة من يقدر أن يصل

اشتعل الضوء الأصفر
الخيوط الناحل بين الفجر وظلمة ليلٍ أدبر
زقزقة العصفور الأولى
فوق البرسيم الناعم يحلم، ينشر عطراً مجهولاً
فوق النسمات الراقصة الخُصَلات الرطبة محمولاً
يجتاح جبلاً وسهولاً
ويحبّ الله ويسهر
ويوزّع سُكراً للعشاق وشوقاً عذباً وذهولاً
وعلى عُشش الشعراء يرش العنبر
ويريق دوارق من عسلٍ يسقيها بيداً وحقولا

اشتعل الضوء الأصفر
فى لون سنابل شقراءٍ نضجت فى حضن البيدر
يا صمتاً بين حبيبين
يا أشواقاً ساكتةً تسكن فى أحداق العينين
يا صُفرةً يا لونَ المرمز
المرج الضاحك من نشوته قد كبر
وجبين الغيمة قد أمطر

يا مفرق دربين
يا ودياناً تسكب شفقاً مشتعلًا ما بين سماءين
يا تمهيداً لتحقيق حلم من فضة
يا حلم حدائق خضراء
في خاطر نبع مياه ولهي مرفضة
يا ورداً أصفر في غابة حزن وضباب
يا سوسنة حاملة قد نامت في صفحات كتاب
يا لحظة صمت في غنوه
يا فاصل تجريح وعتاب
ما بين حبيين اختصما أحقاباً تتلوها أحقاب
يا بشرى بخروج المجروح من الهوة
يا قمراً يدخل من كوة
في زنزانة جندي ضائعة الأبواب
يا رائحة المطر الحلوة
يسقط فوق غبار وتراب
يا منبت أوراد شقر وشذى أعناب
اشتعل الضوء الأصفر
معبرنا المرموق ووادينا الأشقر

بين الصمتِ وبين النغمة
ما بين النظرة والكلمة
فاصل أسرارٍ وتجلٍّ بين الضوء وبين العتمة
فى ليلٍ محبٍّ ضيِّع مسلكه فى غابة بَسْمة

يا غصناً مبتوراً أثمر
يا دهليزاً «ليثياً» أخصب فى الظلماء وأقمر
يا وله العاشق يحلم فى الظلمة
ويحسّ الليلَ المنسدلَ الأستار سواقى كوثر
وعماد مدائنٍ مرمرٍ
يا ضوئى الأصفر، يا تقبيلَ النسمة
لخدود الساهر، يا زنبقة الرحمة
يا طوق نجومٍ، يا تعريشة عنبرٍ
يا مغرب ليلتنا، يا آخر نجمة

واشتعل الضوء الأخضر
وأشار الحلمُ إلينا ينقلنا لبلاد السكر
يا ضوئي الأخضر، يا نجواي، ويا سهري
يا وجه مليكي في الأبعاد
تقطع من شغفٍ بسنا عينيه أوتار الأعواد
يختلط الموتُ مع الميلاد
يتكسر من فرح اللقيا وجه القمر
ميدى يا ظلمة واندثرى
تتألق آلاف الجزر
تراقص شطآنٌ ووهاد
تتهاوى الأزمنةُ المبهورةُ منتشراتٍ في أعياد
أعياد، أعياد، أعياد
يا وجه حبيبي في الأبعاد
يا ضوئي الأخضر، يا مرجأ سكران
من الألق المسكوب

يا قطرة أشواقٍ حرّى فى قعر الكوبِ
لونُ الماضى سيّجهُ التذكّارُ
آفاقٌ ولهى خضلاتٌ، أشواقٌ تحلُمُ، أقمارُ
ومهاد سنابل شقراءٍ فى حضن سهوبِ
والبسمة تنبتُ والهةٌ فوق الوجه المحبوبِ
وقصائد حبٍّ تنظمها، ونهور حليبٍ وبهارُ
واغانٍ سوف نغنيها، وترنحُ أشرعةً، وغروبُ
وتوابلُ،

عطرُ،

أسرارُ

وغدٌ عربىٌ تغرف منه الأشعارُ
منبتقٌ من يّاراتِ الوطن المسلوبِ
يا حيثَ ذكراهُ، حيثها الأمطارُ

وجه حبيبى

يطلع عذباً من شُرف التذكّار الغضبةِ
من ساحل جزرٍ مسبوكاتٍ من فضةِ
واسم حبيبى

تسكنُ أحرفهُ أمطارُ
تتلوهُ بيدٌ وبحارُ
يا ضوئى الأخضرِ!
يا طعم صباحٍ فى مكةَ خضلانَ معطرُ
يا ذكر الله ترتلهُ فى الليل الأوتارُ
وتغنيهُ الريحُ المبهورة والنارُ
من ذاق عذوبته يسكرُ
يسهرُ
يسهرُ

يا ضوئى الأخضرِ يا لهبُ
يا شارع ذاكرتى فى ساحته المزهوة ينتصبُ
تمثالُ لاسم حبيبى
يتسلقُ أحرفهُ اللبلابُ
ويموج على تعريشته عطرُ وضبابُ
ويخالطه ذهبُ
ينشق الوردُ الأحمر من أحرفه لون غروبِ
يعطيه سكرهُ القصبُ

تترقُّقُ في اسم حبيبي نسماتٌ وترطبه سحبٌ

وورود نقاءٍ وشحوبٍ

ترقص تنفض أسرار طرواتها ملء اسم حبيبي

يا ضوئي الأخضر يا عنبٌ

قطرٌ مطرا

جمعٌ زهرا

للم صورا

لحروف اسم حبيبي

واقطف من شاطئه كرزاً، وأحصد ذكرا

ما بين الأحمر والأصفر والأخضر
تضحكُ يا قلبي، تبكي، تتذكرُ

وتسيرُ تسيرُ إلى أين
المسعى والظلمةُ ممدوده
والأرض المنشوده
ومروج الفستق والعنبر
ونهور الكوثر
خلف ضباب البحر بعيد
وغدى طرقاتُ مسدوده
وديانى خاوية، تصفر فيها الريحُ
ويتمتم سرُّ مجروح
وجبالى خنجر
ومروجى أشعارُ تبكى فى صمت الدفتر
وفؤادى تصرعه أوتارُ، تحفر فيه مفاتيح

يا دفئى، يا مطرى المسحور

يا تعريشاتٍ من بلّور

يا وجه حبيبى

يا وجه حبيبى

١٨ من ذى الحجة ١٣٩٣ هـ

١١-١-١٩٧٤م

هوامش وتعقيبات

ص ٥- حول وزن (مستفعلاتن مستفعلاتن)

تقتضى الأمانة العلمية أن أقول إننا كنا نغنى فى طفولتنا نشيداً من نظم
الرصافى أوله:

سمعتُ شعراً للعندليبِ
تلاه فوق الغصن الرطيبِ
إذ قال نفسى نفسى الرفيعه
لم تهو إلا حُسن الطبيعة

وفيما بعد قام على صفحات المجلات العراقية جدال حول وزن هذه
الأشطر لأنها- كما قالوا- تخرج على تفعيلات (مُخلَع البسيط) وقد اقترح
بعضهم تقطيعها على (مستفعلاتن مستفعلاتن)، وأذكر أننى ناقشت هذا
الاقتراح بين تلاميذى فى جامعة البصرة وأخبرتهم أن «مستفعلاتن» المصابة
بعلّة زيادة لا ترد لدى الخليل فى حشو البيت مطلقاً، فذلك التقطيع غلط
مخالف لنهج العروضيين، ويؤسفنى أننى لا أتذكر أسماء الأدباء الذين ساهموا
فى تلك المناقشة العلمية الممتعة.

وبعد فأظننى قد استفدت من تفعيلات الرصافى فى استخراج هذا البحر
الجديد من بحور الشعر الحر؛ إذ جعلت «مستفعلاتن» تفعيلة كاملة فى بحر

صافٍ جديدٍ توسّع فيه دائرة البحور المستعملة في الشعر الحرّ، وستكون هذه أول حالة في تاريخ العروض العربيّ ترد فيها تفعيلة مصابة بعلّة زيادة في حشو البيت وضربه معاً، وليس يخفى أن هذا سائغ في الشعر الحرّ، غير مقبول في شعر الشطرين الذي يتمسك فيه الشعراء والأدباء بعروض الخليل الدقيق الشامل للبحور كلها ما كان منها مستعملاً أو مهملاً.

والحقيقة أن الرصافي رحمه الله قد فتح لنا باباً جميلاً بالخروج الذي وقع فيه وهو يستعمل وزن (مُخَلَّعُ البسيط): «مستفعلن فاعلن فعولن» وإنّي لأقول: لعله ليس خروجاً، لعل الرصافي تعمد له وجهة نظر معينة في وزن مخلع البسيط ولكن المؤسف أنه لم يتناول هذه المسألة في كتابه المدرسيّ «الأدب الرفيع» الذي عرض فيه عروض الخليل عرضاً مختصراً؟ وكنت أؤمل أن يقف ويقطع نشيده «سمعت شعراً» ويخبرنا لماذا زاد فيه حرفاً على مُخَلَّعُ البسيط؟ أكان ذلك إحداثاً لتجديد في الوزن؟ أم هو وقوع في الخطأ؟ ولعل أصدقاء الشاعر، مثل الأديب الأستاذ مصطفى على أعزه الله، يستطيعون أن يفيدونا بشيء في هذه المسألة الدقيقة، إذ يكون الشاعر قد تحدّث إليهم بشيءٍ حول الموضوع فينشرونه خدمة للبحث العلميّ.

ولكن الذي ينبغي أن أنبه إليه أن الرصافي لم يلتزم الحرف الزائد في الأشطرها عبر قصيدته المشار إليها وإنما عاد إلى وزن مخلع البسيط أحياناً كما في قوله في مواضع مختلفة منها:

فالعيش عندى فوق الغصون

لا فى قصور ولا حصون

أطير فيها من فرط وجدى

من غصن ورد لغصن ورد

يا قوم إنى خلقت حرّاً

لم أهو إلا الفضا مقراً

فإن أردتم أن تنطقونى

فأطلقونى فأطلقونى

ففى هذه الابيات ورد وزن مُخَلَعٌ فى خمسة أشطر كما تشير الخطوط
التي وضعتها تحت التفعيلة الثانية «مفاعلاتن» المقابلة للمقطع «علن فعولن»
لدى الخليل، وهذا قد يثبت أن الرصافى لم يعتمد الخروج على تفعيلات
الخليل وإنما ورد ذلك عرضاً وهو فى وهج الحالة الشعرية، كما حدث لى وأنا
أصوغ قصيدتى «زنايق صوفية للرسول».

ولابد لى أن أشير إلى أن الحرف الذى زاده الرصافى على مُخَلَعُ البسيط
قد وقع فى التفعيلة الثانية من الأصل الخليلى «مستفعلاتن مفاعلاتن» المساوية
للتفعيلات «مستعلن فاعلن فعولن» ونحن لا نلتزم بهذا فى الشعر الحرّ، لأن
التفعيلة المذكورة يمكن أن تُخَبَّن (مفاعلاتن) أو تُطَوَّى (مفتعلاتن) حيثما وقعت
فى القصيدة الحرّة، كما يمكن أن تبقى سالمة من الخبن والطفى عندما يشاء
الشاعر وفق قواعد (البسيط).

ص ١٥ - النهاوند

أحد مقامات الموسيقى العربية الرائعة الجمال وأنا مغرمة به ولذلك يرد ذكره في شعر هذه المرحلة من حياتي.

ص ٢٨ - الطفل إسماعيل

إشارة إلى النبي إسماعيل إذ حمله أبوه النبي إبراهيم (عليهما السلام) مع أمه السيدة هاجر وأنزلهما عند البيت الحرام في مكة وكانت إذ ذاك مجدبة لا ماء فيها ولا سكان حولها، وسرعان ما ترك إبراهيم النبي زوجته وطفله وانصرف عائداً إلى فلسطين.

وتصور قصيدتي (الماء والبارود) بقية القصة كما وردت في الشروح الإسلامية، ومنها بكاء النبي الطفل إسماعيل من العطش وركض أمه الوالدة سبع مرات بين مرتفعي الصفا والمروة باكية، داعية إلى الله أن يسقي طفلها؛ ولذلك سُنَّ السعي بين الصفا والمروة وجُعِلَ من شعائر الحج ليتذكر الساعي عذاب هاجر وكيف استجاب الله الرحمن الرحيم لدعائها وفجّر ماء زمزم رياً للنبي الطفل الظمآن وللحجاج كلهم من بعده.

ص ٦٥ - المجلية

هي مريم المجلية التي ورد ذكرها في الإنجيل، وكانت في أول حياتها امرأة خاطئة وقد تجمع الناس ليرموها بالأحجار، فردعهم المسيح عليه السلام قائلاً: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» وقد كانت كلمته هذه عميقة

الأثر فسرعان ما انتبه كل من حمل حجراً إلى أنه له خطايا وذنوباً تمنعه من رجم المجدلية.

وقد أدى هذا الموقف من الرسول النبي عيسى بن مريم إلى أن المجدلية تابت توبة عميقة عن خطاياها وأوزارها وزهدت حتى أصبحت قديسة ومتصوفة، وأرجو أن يكون واضحاً أنني في قصيدتي «زنايق صوفية للرسول» إنما أشير إلى المجدلية القديسة في عطشها إلى الله سبحانه، بعد توبتها، أما المرأة الخاطئة فلا وجود لها بين صور قصيدتي.

ص ٧٤- دكان القرائن الصغيرة

اعترض بعض الأدباء في مصر على أنني جمعتُ لفظ «قرآن» قائلين إنه مثل كلمة «غد» لا يجمع؛ لأن القرآن واحد ولا يصح أن نجعله متعدداً والجواب على هذا شيئان: (الأول) أننا في العراق نستعمل كلمة (قرايين) فهي لفظة دارجة عندنا تماماً ونحن مسلمون ولا يُطعن في إسلامنا، و(الثاني) أن لفظة (قرايين) لا تعني أن كتاب الله متعدد وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا (مصحف ومصحف) وهذا يجعل الاعتراض غير وارد أساساً.

ص ٧٦- مندلي

المقصود بكلمة مندلي أن تكون اسماً للدكان الذي تباع فيه القرائن الصغيرة كما نقول «دكان بغداد» مثلاً.

وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا،

تنبت الرمان والبرتقال وسواهما من الفواكه، وكانت (مندلى) مليئة بالحياة عندما كان يجرى فيها نهر ينبع من إيران، وفجأة حوكت الحكومة الإيرانية مجرى النهر فبيست المدينة الجميلة الخضراء وماتت بساكناتها الريانة المحملة بالفاكهة، وجفت سواقيها، وتشقت أرضها من العطش، وهجرها سكانها، وقد آلمني هذا أشد الإيلام في حينه، حتى أنني كتبت قصة عن المأساة لم أنشرها حتى الآن، وقد أصبحت كلمة (مندلى) في حياتي مثل كلمة (يوتوبيا) وبقيت أقول إن نهراً ما ليس ملكاً لأية دولة من الدول لأنه عطاء الله للوجود والبشرية، وليس من حق أحد أن يحول مجراه أو يحتكر ماءه ويحرم المدن الأخرى والبشر فيها من الحياة والخضرة، إن علينا أن نترك النهر حراً يجرى كما جرى دائماً، يوزع الأرتواء والبساتين والثراء والألوان على الوجود، ومهما يكن من أمر فإني حين أردت أن أطلق اسماً على الدكان الذي تباع فيه القرائن الصغيرة، انبعثت المدينة الحبيبة مندلى في ذهني وأعارتني اسمها الجميل، وقد وجدت في ذلك فرصة أعبر فيها عن حبي لهذه المدينة المفقودة؛ لأن دكان القرائن في حلمي ضاع كما ضاعت مندلى، وسافر الحبيب دون أن أستطيع أن أهديه قرآناً يحفظه كما تمنيت.

ص ١٠٨ - لفظ مليكى،

كلما وردت كلمة «مليكى» أو «ملكى» في قصائد هذه الفترة من حياتي، فأنا أريد بها الله تعالى مالك الملك وملك الملوك، وهو اسم أطلقه الخالق على نفسه في القرآن فهو أحد أسمائه الحسنی كما في قوله:

«عند ملك مقتدر»

«هو الله الذى لا إله إلا هو الملك»

وسوى ذلك، وأحياناً أطلق على الله -سبحانه- لفظ «حييى» كما فى قصيدة «زنايق صوفية للرسول»، والواقع أننى أحاول أن أتخاشى لفظ «حييى» لأنه اسم أطلقه فى أغلب الأحيان على حبيب بشرى كما فى «ويبقى لنا البحر) و(دكان القرائن الصغيرة) وسواهما فى حين أن الملك الوحيد الذى أتغنى به هو الله العلى القدير.

ص ١٦٣ - حول إعراب السنين

تساءل غير قليل من الأدباء والقراء عن إعراب «السنين» فى شعرى منذ مجموعتى الشعرية الأولى (١٩٤٧) حتى اليوم، وتوهم الذين لا يعرفون من النحو إلا القليل الشائع أننى أخطئ حين أثبت نون (سنين) فى حالة الإضافة، ولهؤلاء أكتب هذا الهامش، فالواقع المعروف لكل متعمق فى دراسة نحونا العربى أن (السنين ويابه) يعرب إعرابين أحدهما إعراب جمع المذكر السالم وهو الرفع بالواو والنون، والنصب والجراً بالياء والنون، وحذف النون عند الإضافة وانتفاء التنوين، وهذا هو الإعراب الشائع الدارج وأنا لا أحبه ولا أستعمله، والإعراب الآخر إعراب كلمة (حين) التى لا تتغير ياؤها إلى واو، وتبقى نونها ثابتة عند الإضافة لأنها جزء من الكلمة لا ينفصل عنها؛ ويكون إعرابها بالحركات: رفعاً ونصباً وجراً وتنويناً، ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«اللهم اجعلها عليهم سنيماً

كسنين يوسف»

وفيه نَوْنُ السنين كما يتوّن الاسم الصحيح، وجرّها بالكسرة، وأثبت نونها عند الإضافة، وهناك شواهد أخرى على هذا الإعراب أشهرها قول الشاعر:

دعاني من نجد فإن سنيته

لعين بنا شيئاً وشيئنا مُرداً

والواقع أنني أرفض أن أقول (السنون) في حالة الرفع، وقد لاحظت أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم مطلقاً وإنما وردت «السنين» منصوبة ومجرورة فحسب، وقد زادتني هذه الملاحظة نفوراً من «السنون»، ومهما يكن من أمر فقد عنّ لي أن أوضح موقفى من إعراب السنين بعد أن طال تساؤل القراء عنه منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم.

ص ١٧٥ - الدورادو Eldorado

عنوان قصيدة قصيرة للشاعر الأمريكى ادغر آلن بو Poe يبحث فيها الفارس الشجاع طوال حياته حتى يشيب عن مدينة الأحلام فلا يجدها و(الدورادو) هى المدينة المنشودة.

ص ١٨٠ - حول ليشياً،

«ليشياً» نسبة إلى نهر الليشى Lythe بكسر اللام فى الأساطير الاغريقية،

وهو نهر النسيان الذى يشرب منه الموتى فينسون حياتهم الدنيا، وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx الكبير الذى يجرى فى الجحيم ويتصف بأن ماءه أسود، وبأنه يجرى بقوة رهيبة جارفة، ولكنه صامت صمت القبور، بارد برودة الثلج.

بغداد فى

١٩٧٧/٧/٢٣ م

نازك الملائكة

الوردة الحمراء

الوردة الحمراء

قال: اقطفى لى الوردة الحمراء يا حبيبتى

قلت له: تجرحنى الأشواك

فالعطرُ والحمرةُ يا حبيبى

أرجوحتان للعصافير، ورشفتان للغروب

ولى أنا شراك.

وقال لى: لا بأس يا حبيبتى

فالوردة الحمراء جرحى، ولهى، غيبوبتى،

والحب أن تلملمى الورود والجراح من أجلى

وتنزفى مثلى

قلت له: يُخدش إحساسى ويدمى فى المدى ظلّى

ينبت جرح فى يدي، تتفجر الدماء فى ثلجى

أضيع لا يسلم بعضى لا ولا كلّى

وأنت يا حبيب قلبى نجمة باردة تطل من برج

وأنت بحر فائر الموج

فقال لى: اسهرى هنا وراقبى الأفلاك

إن دمي منسكب هناك

(*) العدد الواحد والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأنت ترفضين أن تلامسى البحر وتبتلى
تأبين أن تنجرحى بوخزة الفلّ
حييتى صلتى، أنا مجرّحٌ، صلتى

وقال لى: ذوقى رحيق الحب والقتل
فها أنا مبعثرا فى جانب التلّ
والحبُّ موتٌ وصليبٌ، والهوى شباكٌ
على ضفاف المستحيلات، على النُّصوب والمحلّ
فابتسمى للحبِّ يا ملاك
واحتضنى الأشواك

استقبلتها وأحبّى وخزها الليلة من أجلى
وأسلمينى الوردة الحمراء، لأبعدى ولأقبلنى

قلتُ له وقال لى
وبيننا جثة هذا البلبل
لا أنا قد مارست قتلَ الورد، لا،
ولاحيبي كدّس الزنايق البيض ليُخفى مقتلى
وبيننا ليلٌ هوى على الثرى مُشتعلا
وكوكبٌ خرّ هنا مولولا

وردته الحمراء لم أسلمه إيها، ولم أصل
وصلت الجراحُ صلتُ قبلي
وتهتُ في الأفلاك أبكى،
وحبيبي ساهرٌ في برجه يبكي ويبكى مثلي

نُجْمَةُ الدَّم

رَسَمْتُ فِي الصُّمْتِ وَجْهَهُ، كَانَ صُمْتُهُ زَنْبِقَ الْحَدِيقَةِ
كَانَ غَنَائِي، وَبُعْدُهُ، مَوْلِدَ الْمَتَاهَاتِ
فِي دُرُوبِ الضُّحَى الْعَمِيقَةِ
وَحِينَا كَانَ شَرْقَةُ الْغَيْمِ وَالرِّيَّاحِ
وَالصُّحُوفِ لَيْلٌ أَمْطَرْنَا لَحْظَةً وَرَاحَ
عُدْنَا عِيُونًا بِلَا حَقِيقَةِ
صَارَتْ ثَرِيَاتُنَا الْجِرَاحِ
وَشَرَعَ بَسْتَانُنَا يَبِيحُ النِّسْيَانَ وَالرَّقْصَ
حِينَ تَذْوَى الرَّبِّي الشَّقِيقَةِ
وَعِنْدَ جِيرَانِنَا شَطَايَا، عِيُونٌَ قَتَلَى
وَحَدُّ نَصْلِ يَغُوصُ فِي جَبْهَةِ الصَّبَاحِ
وَحَرَشُ بِيْرُوتِ نَجْمَةٍ، فِي دَمٍ، غَرِيقَةِ

لَبْنَانِ قُطْنٍ تَنْدِفُهُ الرِّيحُ فِي اكْتِثَابِ،
وَالْأَرْضِ سُقْنٌ بِلَا شِرَاعِ
وَطَعْمِ سَرِّو الذُّرَى رَحِيلٌ بِلَا وَدَاعِ

(*) العدد الثامن من مجلة الشعر المصرية

وأين بيروت؟ لم أجدها،
لا في كتاب الرياح، لا في دم الشعاع
وشعرها سنبلُ المراعى،
تبعثرت كلُّ خصلاته في الثرى وضاع
بيروت عذراء قطعوها
وبجعة في مزاد صهيون صار شريانها يُباع
ويا حبيبي، أين عيونك؟
على طريق ابتسامة منك أشعلُ الشمع،
أفرشُ الدمع،
لا أغانيك تعبر النار نحو شوقي ولا حنينك
هل ضيعتَ دربها إلى مرفأى سنينك
وبين صوتي ووجهك الموت والضياع
ويا حبيبي، يقتلني واحدٌ من اثنين:
موتُ بيروت أو جبينك

أشتاقُ في الليل يا حبيبي لأن أغنيك،
أصحبُ البحرَ كي نلاقك،
في ضلوع الحنين والحلم سوف نؤويك،
غير أن المدى بيروت يرتدى معطفَ الدخان

أشتاق لكنّما الأغاني
هائمهٌ تسكنُ الخرائب
بيروت مقتولةٌ المحارب،
طوردت في دروبها طفلةُ الأذان
بيروت مسلوخةُ الكواكب
ولحمها فتّته، غدت به الغياهبُ
وخلف عينيك يا حبيبي جنازتانِ
حزيتانِ
في غبش الفجر يا حبيبي تحنُّ نفسي
لأن أغنيكَ
أسألُ الفجر كيف تأتي؟
إليك أغنيتي الحزينة؟
وعبر بيروت يُذبحُ (الرّست) مثلما تُذبحُ المدينة
تسقط قتلى كل الأغاني
في ساحةِ البرج، دون رأسٍ
ويا حبيبي، بيروت صارت جنازَ اللحنِ،
ينبت الرعب في ثراها،
وأنجمُ الليل قطعَتْ شعرها وأبقت
فحم الضغينه
وماءُ هذا الخليج ملحٌ، ولي بيروت نهر شمس

بضاعتي الشوقُ يا حبيبي
وأشترى الشوق، آكل الشوق،
أشرب الشوق من دمائي، ومن شحوبي
والشوقُ بحرٌ سفائني فيه رحلةٌ في دم المغيب
وأنت، عبر الخراب والموت،
ومضةٌ في سماء لحنى
وجهك، بين الحرائق الصففر، مثل لبنان،
مقطعٌ من نشيد حزنٍ
وجهك إطراقةُ الدروبِ
وصمته هجرةُ المغنى
وذكرياتٌ مقتولةٌ، واحتراقُ سفنٍ
كان الرصاص الذى يصيد النجوم يشدو
ودهشة البحر لا تُحد
وكنت أرسلت، من أقاصى الدجى، بريدى
رسائلًا من أوتار عودى
لعلها تلتقى حبيبي،
مُختبأً في ضباب لحن،
أو تحت أستار غيمة،

أو وراء وعد من الوعود
لحنى قد جاء من بعيد
طفلاً برئ الجراح، فوق الألغام، يَعدو
يُلقي سؤالاً مُحترقَ الجُرحِ، عبر غيبوبة النّشيدِ
لكن بيروت لا تردّ

وفى ترامى دروبها لم أجد حبيبي
وكان لى من جبينه فى نيسان وعدٌ
وأذرع الموت لا تُحدُّ
وليل بيروت شارعُ النار، ضفّته بلا حدود
وليس فى شاطئيه غير الدماء وردٌ

بيروت غابه
ومن دماء القتلى على جفنها سحابه
أين ترى البحر؟
كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحرٌ
تكتب أمواجه وتمحو، ويثر الشذر والغرابه
يقرأ تحت السماء فى لهفة كتابه
كانت هنا زرقةٌ وشمس.. وجاء عصرٌ
جبينه يمطر الكآبه

وتصرخُ الريحُ، تصرخُ الريحُ، في رتابه
بيروت قبرُ
بيروت قبرُ

لكنما يا حبيب قلبي
تأتى مع الريح، حكمةُ الريح، من بعيد
تهمسُ أن (القنّاص) في السطح في ارتخاء
وساده بيتُ عنكبوت، ويمتطى صهوة الهواء
يحلم أن البحار تُقهرُ
وأن سر الأشياء يُكسرُ
وأنه قاتلٌ نشيدى
الله أكبر

بيروت، إن الغناء وهج الدم المعطرُ
يصمدُ في جبهة الشهيد
وإن وجهَ الحقود أصفرُ
والدم سرٌّ، وعمقُ بحرٍ بلا حدودٍ
مثل (جَعيتا)، وضحكة الشمس،
وانكسار الندى على غابة الصنوبر
بيروتُ إن القتلى تواريخ لا تفسرُ

قبورهم مولدُ الرعودِ
وخلفَ أٌخداقهم ترى العاصِفاتِ تسهرُ
بيروت، والجرح نهرُ كوثرُ
من ضفتيه يولد لبنانُ من جديدِ

الزرقاء والمدينة

«عين الزرقاء في المدينة المنورة لها قصة شعبية
ترويها الشاعرة في هذه القصيدة».

في مَنَاهَاتِ مَكَّةَ، أَرْضِ الضَّلَالِ
وَطَنِ الْكُفْرِ حَيْثُ الْمَرْوَةُ تَخْبُو وَتَنْضِبُ حَتَّى الْخِصَالِ
أَتِيًّا وَشَحُوبُ السَّفَرِ
فِي مَلَامِحِهِ وَنَضُوبِ الرَّمَالِ
طَرَفُهُ آيَةٌ، وَجْهُهُ طَهْرَتُهُ السُّورُ
رَفَقَتَهُ مَوَاعِدُ كَانَتْ مَعَ اللَّهِ
أَشْرَعَةٌ فِي لَيَالِي السَّهَرِ
لَمْ يَذُقْهَا بَشَرٌ
وَجْهٌ مُتَنَظَّرٌ، طَاهِرٌ كَالْمَطَرِ
جِبْهَتُهُ كَصَفَاءِ الْبِنَايِعِ، طَرَفٌ كَطَهْرِ لَيَالِي الشَّمَالِ
وَهِيَ تَأْتِي مَحْمَلَةً بِالْخَذَرِ
مِنْ شَذَى الْبَرْتَقَالِ
إِنَّهُ أَحْمَدُ
وَصَدَى مِنْ أَذَانِ بِلَالِ

(*) العدد السادس والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

مالىءٌ رَوْحَه، تحت رجليه يورقُ حتى الحجرُ
وتبرعمُ حتى التَّلالُ
أحمدُ يعبرُ الأَمْسَ إلى المنتظرِ
أحمدُ يا جبالَ
أحمدُ يا صَخَرَ
فاضحكى يا رَبِّى، وانتَشَى يا ظلالُ
إنَّ جذعَ الشرورِ انكسر
والصباحُ انتشر
من بعيدٍ تلوح له يثربُ المحسنه
يثربُ المؤمنه
يثربُ المرتقى، يثربُ المئذنه
ويرى أحمدُ عَيْنَ ماءٍ
رقرق الله فيها العذوبةَ والعطرَ والزَّعفرانُ
عين ماءٍ كلولوةِ الأحرانِ
تترقرق بالأشذاء
وأناخَ النبى هُنا واغتسل
وارتوى من مياهِ عَسَلٍ
غسل الحزن والنَّفَى عن شفتيه..
ورطَّبَ هُذبَ المَقَلِّ

واكتملُ
فرحُ الماءِ، أن نبيّاً عليه اغتسلُ
يا شراعاً يصفقُ، يا زقزقاتِ القُبُلِ
وأطلَّ محمدُ
ورأى عينَ ماءِ شعاعية ثانية
في ينابيعها تتبرّدُ
نخلةٌ حانية
وانحنّت فوقها دالية
ثرثرت في ترابِ الحقولِ
قبلت قدمي رابه
وأناخَ الرسولُ
ثم قال: أباركها بيديّ لتحلو، تكبراً، تسقى التلولُ
إن كفى غمامٌ، ولمسى سيولُ
وعيونُ المياهِ عطاءُ
من كُرومِ السماءِ
وانحنى في الصباحِ الرسولُ، انحنى واغتسلُ
ماؤها كان في مثلِ بردِ ندى كانونِ
ومذاق شذى اللّيمونِ
ومضى نحو يشرب ركبُ الرسولِ

وجهه لبنٌ ورحيقٌ سقى سنبلات الحقول
وخطاه اختلاجاتٌ ورد خجول
قالت البركة الأولى، جنحى خطواتك يا أختي
سوف نبلغُ يثربَ قبل الرسول ضحى
أنا أو أنت
إن هذا نبيُّ السماء
مانح الظلماتِ عناقيدَ ريانة بالضياء
ساكنا في جفون النيام شذى بقظة بيضاء
مسلمُ الملك للفقراء
إنه قاصد يثرب ليزيب التقى في ثراها
لينقى ربّاه
من حصى الشرك، إن يديه شفاء
وعلى فمه رجع تسبيحة صافية
من شفاء قريشية عذراء
تزرع الدّفء في الليلة الشّاتية.
إنه قاصدٌ يثربا
ليغذى الرّبي
ليعيد إليها الحياة، ليمسح تقطية الموت
فلنصل قبله أنا أو أنت

إنه سيحيل جفاف الرجاء
 همسة رطبة الصمت
 ولسوف يصل
 ليس يملك دفقة ماء لكي يغتسل
 فلنصل أنا أو أنت
 قبله، قبله
 سنرطب موطئ أقدامه، نقتفي ظله
 قالت البركة الثانية
 وهي ترخي غدائر مغرورة ناسية
 أنا لا أحسن الركض، إن قطاري ملون
 ومياهي خمول
 ثم إن الربى قاسية
 شوكتها جارح، وأنا لا أحب الجراح
 أنا مالي جناح
 لأطير وأسبق خطو الرسول
 وسأحفر دربي ببطء وماذا يهم الرسول،
 ما الذي يغري قبله بالوصول؟
 قالت البركة الأولى الخاشعة
 أنت يا أختنا ضائعة

الحبيبُ الرسولُ
بعدَ دَرْبِ عسيرٍ ملولٍ
بالغُ يثرباً، والسواقي مُحولٍ
أنا يا أختنا خلفه موجةٌ ساريه
وهو شاطئٌ روحى، أنا السفنُ النَّاهاتُ
أنا من دونه أفقٌ شمسُه غاريه
وحبيبي محمد
حلمٌ مرَّ بى لحظةً، وتبددُ
أنا لم أشبعُ من سناه المورَّدُ
وسأتبعه، سأشدُّ الرِّحالُ أمواجى الوالهاتُ
من عبيرِ البنفسج أنضح جبهته النَّائبه
سوفُ أغسلُ وجنته الشَّاحبه
بمياه القرنفل تحت الضحى المسدولُ
فهو حبيٌّ وترتيلتى الذَّائبه
وهو فى شفتى وردةُ الآهاتُ
سأطيرُ ولا أتوقفُ
خطوتى تتعطشُ، أغنيتى تنلهفُ
لأروى الرسول
سأكون أنا فى المدينة قبله

ساقبل ظله

وسأمنحه كهرمان مياهي لكي يتوضأ
سأعرش كل زروعي له يتوسدّها يتقيأ
وستلقاه مني شهقة حب، وعند الوصول
سيغمس في مائي المشتاق
وجهه المغسول

بالتقى بندي الإشراق
يتهجد قلب إلى الله تحرقه الأشواق
وتغمغم مزهوة في الضحى البركة الثانية
هذه البركة العاصيه
وتقول تقول

لن أضيع عذوبة قيلولتي الساجية،
لا ولا للرّسول
ألست مخمولة لأهيم مع الريح مجروحة حافيه
أنت يا أخت عاشقة وهواك بحور
وصدي مسعور

فلتمزّقك إن سرت كل سكاكين هذى الصخور
في جنون ووحشية أنا غافيه
فوق ريش الظلال، وألف لتعطشي شفاه الرّسول

أنا فوقى تعريشةً وتظللنى دالية
أنا يانعة، أنا مترفة، أنا عطرٌ كسول
أنا نشوى وماذا يهيم الرسول؟
وأقول ولستُ أبالى إذا نقل المرتقى ما أقول
إن أحلى الدروب طريقٌ يطول
والعيونُ التى تتلكأ يطلع منها الضياءُ الخجول
ويصير الترشف فى مائها المعسول
نشوةً لاتزول
أنا ماضيةٌ فى أتاد ولستُ أبالى إذا لم يذقنى الرسول
إن قيلولتى عافيه
والتعجل حمقٌ، وأشرعتى غافيه
والرياح تغازلنى، والربى حانية
وسأنعم بالحب وليتشقق جبينُ الرسول
قالت البركة الأولى
بطراوة همسٍ يجىءُ اختلاجاً مع الريح محمولاً
يا انبثاق الهدى يا رسول
يا انخطاف الرُّكوع، وياوله الأشواق
يا نبياً يدها هُطُول
وتطلع مقلته أبداً وفصول

يا نبياً هو الميناء، هو الشاطئُ المأمولُ
لسفائن تقذفها غمراتُ البحارِ
وتمزقُها مدينةُ الأعصارِ
هو طلعةُ مستقبلٍ مجهولِ
من رضى الله وهو لأدعية البشرية بُشرى القبولِ
يا نبياً على قدميه غداً يسقط الصنمُ المقتولُ
أنا آتيه، آتيه
أنا بركتك السلسبيلية الحالية
فاغتسل وتوضأ وذق يا حبيبي محمدُ
يا ضياءً تجسّدُ
للوجود المضيّع وجهَ نبيٍّ رسولِ
ينقذ البشرية من ليلها المملولِ
وأوسدُهُ فوقَ أمواجِ شعري الندى المحلولِ
ومضتْ كلُّ عينٍ كما رسمتْ
البطيئةُ عبرَ غيومِ الكرى هومتْ
سكرتْ وارتمتْ
والشريعة بركتنا العذبة الأولى
نشرتْ أرجاً سابحاً في العذوبة مبلولاً
ذوبَ الله في حافتيها الغروبُ الجميلاً

صار مرشفاً عسلاً
وامتلأ سنبلاً
واستفاضت وروت شفاها كثارا
أخرقتها الصحارى
نثرت ليلكاً خضلاً
عين ماء مباركة يتبرّد فيها الحيارى
يشربون على ضفتيها النهارا
ويصلّون
أما اللئيمة بركتنا الثانية
فلقد أصبحت مسرحاً لرياح الردى العاوية
أصبح الماء فى شعبها غوراً
فقدت مقلاتها اللآلى وانطفأت فوراً
هجرت شطها الدالية
لم تعد عندها أقداخ
ورماها الصباح
جثة أطفالاً الله فى لونها الشّعرا
وغدت مرقص الأشباح
ومصلّى الرياح
كانت المدّ فامتعت جزراً

وأطلَّ على يثرب الحاملة
في ضحاها الرسول: الرسول! الرسول:
عرسُ كلِّ الحقولِ
وابتسامةُ كلِّ العيونِ المَقْطَبةِ الساهمةِ
إنه صحوَّةُ الوردةِ النائمةِ
وانتعاشُ الذبولِ
إنه هُذبُ نسمةِ
وتفتُّحُ نجمةِ
في سماءِ الأفولِ
إنه المنتظرُ
الحبيبُ الرسولُ
آتياً في سفرِ
قادمٍ في سُفوحِ القمرِ
في ضبابِ الزَّهرِ
إن في وجهه العذبِ فجرَ الغدِ المنظورِ
وشبابَ العُصُورِ
الحبيبُ الرسولُ
ألقِ البلُّورُ
وانبثاقُ الشَّذى والرطوبةِ من شرفاتِ النورِ

تلقاه عند الدخول
ائتلاقه تعريشتين على عين ماء
طلعت فجأة من ربي المجهول
وانحنت للرسول
قُبلت قدميه وقالت: أتيك يا جبهة علت الأنبياء
فارتشف من شذى سكرى ما تشاء...
أنا لست بماء
أنا ذوب ضياء
والرسول الكريم يباركها ويسمّيها: العذبة الزرقاء
إنها الزرقاء
هرعت من بعيد لتسقى شفاه الرسول
وتصير قلادة شذر تزين صدر الحقول
اسلمى للمدينة يا زرقاء
للحقول سنابل أنت، وللأغنيات ثراء
وغداؤك كل عيون الغيوم
وستروين يشرب ما ضحكت في السماء نجوم
ولقد جفت البركة الباخلة
أختك الغافلة
لهت فوق صدر الثرى ميتة ذابله

إن أغنية اللؤم أغنية قاتله
والبخيلة سوف تُكفّنها الأزمته
وستلعنّها أيما مئذنه
فى شموخ الجوامع فى ربواتِ المدينة
وقم البركة المؤمنه
يستحيلُ إلى سوسنه
ويرشُ السلامَ وطعمَ السكينه
فى القلوبِ الحزينه
وسلمتِ، سلمتِ، إلى أبد الدهر يا ياسمينه.

القمر على مزدلفة

«حجت الشاعرة إلى بيت الله الحرام وافستت
بطقوس جمع الصخور من وادى مزدلفة تحت ضوء
القمر طيلة العاشر من ذى الحجة».

ينحنونُ

يجمعون الصدف الأبيض فى شط السكون
ويصلى فوق واديهـم قمرُ
ضوءه أشـرعةٌ عبر نهرَ
وجهه رحلةٌ صوفىٌ وأسرارُ عيونُ
قمرٌ يـمطر زخات من الرؤيا وأقداحَ صُور
هـُدبهُ للروح رحلهُ
وصلاةٌ وأهلهُ

والصخورُ البيضُ فى مزدلفه

سنبلاتٌ ومرايا

شمعداناتٌ وضحكاتُ صبايا

ودموعٌ عذبةٌ منذرته

(*) العدد السابع من مجلة الشعر المصرية

من جفون القمر المكسور آلاف الشظايا
ضحكت كل شظية
كعروس طلعت من صدفة
رشت الليلة موسيقى
ووهجاً
وتحايا
سبحت لله عذراء نقيه
قبلت أسماءه الحُسنَى وصلّت بشفاه مريمه
صلوات لدنة مرجفة

يا صبيه!
يا خلوداً أسويّه
من مجاهيل القلبين القصيه
يا شفاهاً تمت بالتليه
يايداً تجمع في الكيس حجارات وتبكي وتلبي
واسم ربّي
خافت في شفيتها كخفوت التّضحيه
رشرشته في سكون الأوديه
شرفه ضوئيه أو مقطعاً من أغنيه

يا صبيّه!
يا عيوناً مَجْدليّه
يا اختلاجات شفاه شفقِيّه
ما الذى تَلْتَقِطين؟
ولماذا: عبر آماذ الدجى، تتحجّين؟
صارت الصخرةُ فى كَفكِ دمعهِ
من عيونِ المُسلمينِ
فى جنوبِ القلبينِ

يا صبيّه!
يا جراحاً قرمزِيّه
أنتِ فى العتمةِ بجعهِ
سَبَحْتَ معجروحةً فى حضنِ تُرْعَه
دمعُها يقطر، إذ تذكر جرحاً غار فى ألفِ جبينِ
فى بلادِ القلبينِ
ربّ دمعهِ
صيرتها لمسةُ اللهِ نُجوماً وأشعهِ
إنَّ رَبِّي قمرُ المستضعفينِ
وانبلاجُ العدلِ فى ليلِ الحزينِ

ليس ينسى الله شوكاً وجراحاً
فى خصور البشريه
ليس ينسى يا صبيه

وعجوزٌ تونسيه

تجمع الصخر من الوادى وفى كأس لياليها بقيه
يا طقوس الموت، يا إغماءة المحتضرين
يا اصفرار الشمس فى الغرب، ويا وجه الضحيه
يا ذبول الورد والعناب، يا جرح السنين
ما الذى تحت الدياجى تلقطين؟
ولمن تبسمين؟

صار فى كيسك عطر من بقايا الخطوات النبويه
وحصى الذكرى تسايح شديه
صارت الصخرة فى كفك حلوى وابتسامه
ليتيمين من القدس السبيه
صارت الأحجار ظلاً وغمامة
أمطرت أنقاض (بيسان) و (رامه)
وتبسمت وصار الورق الأصفر أزهاراً فتيه
يا عجوزاً ردها الحج صبيه

وأنا أجمعُ من مزدلفه
كيسَ أحجارٍ، وأخجارى تصلّى فى يدي
ذاهلةٌ: منخطفه
سقطتُ عذراء من أرض القمر
إنها لحنٌ وشمسٌ لا صخرٌ
إنها أوردنا المقتطفه
من حقول الله، إن الصخر حباتٌ مطرٌ
وانعكاساتٌ صورٌ
رشها الله حزاماً للخصور الخاشعات المرفهه

ضحكتُ مزدلفه
ورؤاها أومضتْ لؤلؤةٌ فى صدقه
وحملنا كنزنا الغالى صخوراً وأهلاً
جددتُ عمرَ السنين المضمحلّه
يا صخوراً طعمها طعم الكروم المترفه
ترجمُ الشيطان، شيطان المذلّه
تقذف الإلحاد،
والفقر،

وصهيون، وترمى
كلَّ تشريدٍ وظلمٍ
كلَّ أكْداَسٍ الخرافاتِ المُمْلََّةِ
كلَّ زيفٍ، كلَّ تعريشةٍ وهمٍ
تقذف الغفلةَ واليأسَ، وتذكي الجرحَ شعله
وتحيل الموتُ قبْله

وصُخُورى من ربي مزدلفه
بأقَّةٍ خاشعةٍ في يدِ طفله
أورقت حباتِ ضوءٍ بضَّةً مُنْقَصِفَه
من دوالى ألفِ نجمٍ
لمعت في جبهةِ الليل الأصمِ
وصُخُورى ترجمُ الباغِي وتُعْطى للجِيعِ الأرغفه
وصُخُورى معرفه
تسكبُ الفكرَ قرائين
وموسيقى
وأرجوحة حلمٍ
أطلعتَه في الدجى لؤلؤتى مزدلفه

ثم غادرنا.. وفوق السهل ليلٌ فارشٌ متصفه
وحملنا صخرنا العذبَ نجومًا، وابتهالاتِ شفّه
وادكاراتِ نهارٍ،
وخيّامٍ،
ورؤىٍ في عرفه
وتركنا قمرًا ينثر مرّجاناً على مزدلفه

سيمفونية السجاجيد

سجاجيدُ، سجاجيدُ، سجاجيدُ،
أَتَتْ تَزْحَفُ مِنْ شَتَى الْعَوَالِمِ لَيْلَةَ الْعِيدِ
مِنَ الْهِنْدِ وَأَطْرَافِ الْقَلْبَيْنِ
مِنَ الْفُولِغَا، مِنَ الْمَغْرِبِ، مِنْ كِينِيَا، مِنَ الصَّيْنِ
سجاجيدُ، سجاجيدُ
عَلَى الْأَذْرَعِ وَالْأَكْتَافِ مَحْمُولُهُ
بِمَلْحِ الدَّمْعِ وَالتَّوْبَةِ مَغْسُولُهُ
وَتَسْقُطُ فَوْقَهَا الْأَهْوَاءُ وَالنَّزَوَاتُ مُقْتُولُهُ
سجاجيدُ، سجاجيدُ
لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ الْخَاشِعِ كَأْسٌ، وَاحِدَةٌ، عِيدُ
دُمُوعٌ مِنْ عَيُونِ الضُّوءِ مَذْرُوفُهُ
وَلَوْنُ سِرَادِقِ الْجَنَّةِ، طَعْمُ الْخُلْدِ، مِنْ أَوْدِيَةِ الْأَعْرَافِ مَقْطُوفُهُ
وَسِمْفُونِيَّةُ الْأَلْوَانِ مَعْرُوفُهُ
عَلَى عُودٍ تُصَلَّى فِيهِ أَوْتَارُ، صَلَاةُ سَنَابِلٍ عَطَشَى إِلَى الْمَاءِ
سجاجيدُ يَعْطُرُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ مَلْفُوفُهُ
مَبْقَعَةٌ بَوْرَدِ النَّارِ حَمْرَاءُ

(*) العدد الثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأخرى لذنة شذرية الأمواج ملساء
سجاجيدُ بلون الغيم كحلية
حواشيها رمادية
سجاجيد سماوية
سجاجيدُ من الكتان صفراءُ
وغاباتُ من الأبنوس والصفصاف لقاء
سجاجيدُ عليها صورة الكعبة
مجردُ لمسها توبه
سجاجيدُ مذهبةٌ وبيضاءُ
وأخرى كالعيون الخضر وطفاءُ
تعيد القلبَ من غربه
وتوقد مشعلاً في غابة رطبه
ومُخملها لمن أبحر في ملح الخطايا السود ميناءُ

وسمفونيةٌ تعزفها في الفجر آلاف السجاجيدُ
من الأبواب تطلع، من ممراتٍ
يدثرها السكون، من الحوانيت المضيئات
مصلُّون، مصلُّون، ومحمولون آفاً ومحمولون على أشعة العيد
على أكتافهم، ما فوق أذرعهم مئات من سجاجيدُ

سجاجيد مزارعُ للثَّقَى تُنْبِتُ قَمَحَ التَّوْبَةِ الْبِيضَاءِ
جسورٌ تربطُ الحزنَ بِشَمْسٍ، بازرقاقِ سماءِ
سجاجيدُ بلونِ البرتقالِ تطلُّ فجرَ العيدِ
بلونِ الكحلِ أحيانًا، وأحيانًا بلونِ العُشْبِ والقَرَمِيدِ
وتسرقنِي السَّجَاجِيدُ
كما تسرقُ ألوانُ الدُّمَى طفلًا عَشِيَّةَ لَيْلَةِ الْعِيدِ
وفى دوامةِ الألوانِ، فى غَابِ الْأَنَاشِيدِ
أَضِيعُ سَلِيَّةَ الرُّوحِ
إِلَى اللَّهِ أَمْدٌ جَبِينِ مَذْ بُوْحِ
وَأَنْزَفُ لَيْلَةَ الْعِيدِ
وَتَغْسِلُ جِرْحَى الْقَانِي السَّجَاجِيدُ
وَتَحْمِلْنِي إِلَى شَاطِئِ مَا قَبْلَ الْجِرَاحِ الْحَمْرِ آفِ السَّجَاجِيدِ

وَيَصْعَدُ صَوْتُ (حَى عَلَى الصَّلَاةِ) مِنَ الْمَدَى وَاللَّيْلِ
يَصُبُّ خُشُوعَهُ كَالسَّيْلِ
وَتُفْرِشُ أَلْفُ سَجَادَةٍ
عَلَى الْأَرْضِ صِفَةِ السَّمَرَاءِ، فِى الطَّرَقَاتِ
وَفِى الْمَسْجِدِ، فِى الْأُرُوقَةِ الْبِيضَاءِ، فِى السَّاحَاتِ
وَيُصْنَحِى الْفَجْرُ أَوْرَادَهُ

يُبَغِثُهَا، يَرْشُ عَلَى الْمُصَلِّينَ عَطُورَ الْهَيْلِ
وَيَعْرِفُ قَلْبِي الْمُبْهُورُ فِي مَكَّةَ مِيلَادَهُ
وَمَكَّةُ، مَكَّةُ لِلْقَلْبِ زُوَادَهُ
سَجَاجِيدُ...

لَمَنْ لَامَسَ عِطْرَ اللَّهِ فِي الْمَسْنَعِ سَجَاجِيدُ
سَجَاجِيدُ، مَعَ اللَّهِ حَوَارُ وَمَوَاعِيدُ
سَجَاجِيدُ...

سَجَاجِيدُ وَتَهْمِي أَدْمَعُ الْإِيمَانِ آفَ الثَّرِيَّاتِ، وَآفَ الْعِنَاقِيدِ
وَيَنْزِلُ خَالِقُ الْأَرْضِ إِلَى الْأَرْضِ
سَجَاجِيدُ
سَجَاجِيدُ
سَجَاجِيدُ

الإبرة والقصيدة

حوار فكرى

- نبيل: لست أدري كيف يمكن أن تبقى هذه الإبرة على مكتبك منذ ظهر أمس حتى اليوم، دون أن تعيدها إلى مكانها
- هدى: لقد خطت بها كم قميصك ونسيتها على المكتب
- نبيل: هذا هو العذر الأزلى.. النسيان، لماذا لا يخطر لك مطلقاً أن النسيان ليس عذراً؟
- هدى: إنه عذر أيها العزيز لمجرد أنه شىء مفروض على فرضاً ولا يد لى فيه، ثم إننى لا أتعمده ولا أقصده، وإنما يطاردنى هو
- نبيل: أعرف أنك لا تقصدينه، ولكنه مع ذلك ليس عذراً!
- هدى: وكيف ذلك؟ أوضح ماتقول
- نبيل: إن النسيان نقيصة فى الإنسان، وكل نقيصة لا يصح أن تقدم على أنها عذر
- هدى: إنها نقيصة حقاً، ولكنى أحاول جاهدة أن أتخلص منها دون أن أفلح، إن النسيان يحكمنى ويتحكم فى ذهنى ويمحو ما أنويه محوا فى بعض الأحيان، ومن ثم فهو نقيصة، وقدر، ولا خلاص من القدر
- نبيل: هو نقيصة وليس قدراً، لأن النقيصة يكون للإنسان مهرب منها، أما القدر فهو حكم نفاذ ولا خلاص منه.
- هدى: أنا إذن، فى رأيك، قادرة على الفرار من نسيانى؟ وفى ذاكرتى أمل؟

(*) العدد الحادى عشر من مجلة الشعر المصرية

نبيل: وهل يحتاج هذا إلى برهان؟ انظري مثلاً، عندما خطرت لك فكرة القصيدة التي نظمته في الأيام الثلاثة الماضية فهل نسيتها؟ لقد استيقظت في الثالثة صباحاً فوجدتك في المكتبة تكتبين منهمكة، وعندما أنبتك وقلت لك إن السهر يتعبك قلت لي: ماذا أفعل؟ حاولت النوم فانبعثت في ذهني أشطر رائعة لم أحتمل أن أتركها تتبدد، لأنني إذا تركتها ولم أسجلها فلسوف أنساها في الصباح " هذا ما قلت " قولي لي إذن لماذا لم تنسى قصيدتك وانت تحاولين النوم؟

هدى: سر ذلك أن القصيدة تفرض نفسها على كالنسيان تماماً

نبيل: أتجعلين الشعر نقيصة مفروضة؟

هدى: لعلها نقيصة؟ ذلك أنها حينما تنبعث في كياني تؤذيني إن لم أكتبها فوراً، إنها تخذشني، وتجرحني، وتعذبني، وإذا لم أخضع لحكمها وأقذف بها إلى الورق فإنها تسبب لي الذهول بين الناس يحدثونني فلا أصغي، ويسألونني فأشرد، هذا هو الشعر أفليس هذا نقصاً؟ ومع ذلك فهو نقص محبوب لا أحاول الهرب منه، إنما ألتمس الوقوع فيه، خلافاً للنسيان الذي يسبب لي الحرج وأبغضه وأتهرب منه.

نبيل: ولكن..... دعينا نعد إلى إيرتك هذه المهمة على مكتبك منذ يومين، هذه الإبرة، ألا تضايقتك كما يضايقتك كبت القصيدة؟ إنها تضايقتني أنا، وكلماً رأيته في غير مكانها شعرت أن الوجود غير مريح، وأنا أراها كلما دخلت المكتبة وكلما خرجت منها، فكيف تنسينها انت؟

هدى: إن القصيدة المكتوبة تخزنني وخزاً موجعاً يجعلني مضطرة إلى

تذكرها، أما الإبرة فلا وخز لها، ولذلك أنساها.

نبيل: «ضاحكا» - ساعدنى الله عليك! من لى بأن يسمعك أى أحد
غيرى وأنت تقولين هذا، إن الإبرة لاوخز لها، فى حين يكون وخز
القصيدة موجعا.

هدى: ياعزيزى، إن للإبرة وخزا حين تغرز فى ذراعى، وهذه الإبرة الملقاة
على مكتبى لا تخز لأن خشب مكتبى غير حساس
نبيل: إنها تخز ذراعى أنا

هدى: رائع! الإبرة تخز ذراعك انت، وقصيدتى تداويك وتمتعك
وتنعشك، أما أنا فإن القصيدة مغروسة فى ذراعى وروحي، وفوقها
تغرز إبر هذا اللوم الذى تخزننى انت به بسبب نسيانى، ولا أنس
لى ولامتعة.

نبيل: يا مكاراة! - والشعر ألا يسعدك وينعشك؟ إنى أعلم أنك تجلسين
ساعات متواصلة كما جلست أمس، ترفضين حتى أن تأكلى، لأنك
تسجلين أشطرا من الشعر تنثال على ذهنك جاهزة هى وقوافيها،
وهذه كما أعلم وتعلمين سعادتك الكبرى.

هدى: أتقول جاهزة؟ إنى أدفع ثمنها لهيبا يشعل كيانى ويشحن جسمى
كله.

نبيل: لا تزوغى أيتها العزيزة، دعينا نسّم الأشياء باسمائها، لقد حدثتنى
مرارا عن «الحالة الشعرية» كما تسمينها، وهى عندما تهبط عليك،
أشبه بغمامة تثقلها قطرات المطر المعطر، يصبح نظم الشعر عندك
انشيالا دافقا.. تكادين لا تستطيعين تسجيله.

هدى: نبيل أنظر، إن الحالة الشعرية مع ذلك تكلفنى ثمنا باهظا لا يطاق،
وفوق ذلك فهى لا تهبط عند بدئى للقصيدة، وإنما أمر قبلها بفترة

من المعاناة، ألم أقل لك هذا من قبل؟

نبيل: قلت أجزاء منه، أدري طبعاً أنك عندما تبدئين القصيدة لا يكون ذهنك متفتحاً كل التفتح، ولا يتثال عليك الشعر انشالاً وإنما تفكرين وتكتبين.

هدى: صحيح، إنى أبدأ حين أكون فى ذروة عاطفية، وأكون إذ ذلك قد وضعت يدي على الفكرة الكاملة للموضوع، وهذه الفكرة سرعان ما تلف نفسها فى لحظة طارئة من انفعال خصب يعترينى فأبدأ القصيدة وأنا واعية، قد أختار لها وزناً، وأنظم منها شطرين أو أكثر ثم ألاحظ أن الوزن غير كفء فأشطب كل ما كتبت فى ثورة عصبية وأضع رأسى بين كفى حائرة، ثم أبدأ أجرب وزناً آخر، وقد أجد ما أنتجت غير معبر، وقد ينجح وأتقدم فى بطاء، وقد تستمر هذه الحالة ساعة بين الوعى وعدم الوعى، وفجأة يدور فى حياتى الرقم السحري وتهبط اللحظة السعيدة، وتوافى الحالة الشعرية.... تأتى الصبية الموهوبة الجميلة وتشرعلى أنداءها.

نبيل: وعندها تنتهى المعاناة، وتهبط عليك الأشرطة منظومة مسحورة كاملة هى وقوافيها فى سهولة ويسر.

هدى: تظنها تنزلق انزلاقاً دونما عائق يعرقل حركتها؟ لا، يا نبيل لا، ليس هذا صحيحاً ولو كان الأمر كما تقول لا اكتملت قصيدتى فى ساعة واحدة منها، وليس هذا مايقع، أو لا تدري أننى أحياناً أنظم قصيدة واحدة فى ثلاثة أيام أو أكثر.

نبيل: «معتزفاً» تماماً، لست أنكر هذا، فكيف إذن نوفق بين القولين؟ فى الأسبوع الماضى بقيت أربعة أيام تشتغلين فى قصيدة واحدة، ولقد حدثتنى مراراً وفى فرح غامر أن الأشرطة تتوارد عليك وتمنعك

من النوم.

هدى: وذلك يلوح متناقضا، ولكن الحالة الشعرية تستمر عندي عدة أيام، لأننى لا أملك وقتا متصلا لتفريغ الشحنة المتأزمة فى نفسى، فجأة يرن جرس الهاتف ويكون على أن أجيب.... أو تقاطعنى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ويكون على أن أنام لأستفيق فى السادسة صباحا وأعد الفطور لولدى لكى يستطيع الذهاب الى المدرسة، ثم يحين وقت الجامعة، وخلال ذلك ماذا يقع لى صعيد الشعر.

نبيل: وهل تستمر الحالة الشعرية خلال ذلك كله؟

هدى: هذا هو الموضوع الغريب المستثير يا نبيل، إنها تستمر، وذلك عذاب وفرح غامر فى الوقت نفسه، إنه شوك يخزنى وأحسه فى أعصاب معدتى أشد ما أحسه.

نبيل: وكيف ذلك؟ ما علاقة الحالة الشعرية بالمعدة؟

هدى: إن ما أقوله يبدو غير مصدق، ولكن اصنع إلى أيها العزيز لتمتلك الحقيقة، هذه الحالة الشعرية، تبقى بفضل الله ورحمته، ملازمة لى حتى أستطيع إتمام القصيدة وهذه نعمة سابغة حلوة، ولكن لها شوكا وفيها تعذيب، أدخل الصف وذهنى فى أقصى نشاطه، تتفجر ما فيه من معلومات مخزونة فى الأدب والنقد والشعر واللغة والنحو والموسيقى والمنطق والعلوم، إنى أصبح شعلة من الثقافة المتأججة وأستطرد خلال الدرس فى عشرات الاتجاهات وتستفيق ذاكرتى على صورة معجزة.

نبيل: ألا يكون هذا التفجر شيئا نافعا ولذيذا لدى الطلاب؟

هدى: بلى يكون كذلك، وطلابى يصارحوننى فى مثل ذلك الظرف أنهم يسعدون، وكذلك يلازمنى شيء آخر يحبه الطلاب هو السعادة

البالغة التى تغمرنى، والمحبة التى أتفجر بها لكل إنسان، ولكل شىء فى الوجود.

نبيل: قفى لحظة، أنت إذن سعيدة، فأين عذاب الحالة الشعرية؟ أين المعاناة والأشواك التى وصفتها؟

هدى: يا عزيزى! دعنى أكمل الوصف، إن هذه السعادة الطافحة لها ثمن من أعصابى فخلال هذه الحالة تكون أعصاب معدنى متوترة كلها على شكل أحسه، ويكون جبينى ساخنا، يلتهب بنوع من الحمى وكأن ذهنى كله يتأجج ويضىء، وأكون قلقة أسبق الحياة وكأننى سأموت فى اللحظة التالية.

نبيل: إن ما تقولينه غريب أيتها العزيزة، ولكن أأست مبالغة فيه؟ إن عادتك التى أعرفها هى المبالغة فى الوصف، أنت تعبرين بقوة لاذعة عن الألم والفرح والغضب والشك، هذه طريقتك.

هدى: أنا شاعرة فى صفتى هذه التى تتحدث عنها، والشعر ليس إلا موسيقى منبعها التطرف العاطفى، وإسباغ التهاويل على كل شىء، وفى أنا من هذا الكثير، ولكن وراء كل مبالغة غير قليل من الحقيقة، إنى أحترق وأتمزق خلال الحالة الشعرية هذه، وكلما امتدت - بسبب العوائق الشاغلة التى يضعها واقع الحياة فى طريقى - استمر التأجج.

نبيل: وماذا يحدث للقصيدة خلال ذلك؟

هدى: ما أكاد أفرغ من هذه العوائق وأهدأ خمس دقائق، وأتناول أوراق القصيدة وأقرأها قراءة واحدة حتى تبدأ الأشطربالتشكل السريع وتفاجئنى القوافى التى لا تخطر على بالى ولا أدرى من أين تنبع، وتنزل على المعانى الباهرة مموسة منغومة، وإذا ما حدث خلال هذا

الانثيال أن أذهب إلى المطبخ مضطرة لأتناول طعام السحور في رمضان، فإن الأشر تواصل الإنثيال على لأنى وحيدة مع نفسى، والطعام لا يشغل إلا يدي وفمى وكثيرا ما أترك كوب الحليب يبرد لأسرع إلى المكتبة وأسجل شطرا موزونا مقفى يهبط على ذهنى كاملا كما خرجت مينيرفا إلهة الحكمة مدججة بالسلاح من ذهن أيها جويستر فى أساطير الإغريق، وأحيانا يكون مدفع الإمساك قريبا ماثلا، وأنا جائعة والأشر تتوارد على أشبه بنهر فائض جارف، ويدوى المدفع ويحين الإمساك وأبدأ نهارصوم جديدا، وأنا أحمل جوع يوم سابق معى بسبب الحالة الشعرية.

نبيل: إن سعادتك الكبرى فى الحياة هى الشعر وأنا واثق أنك تصومين جوعك سعيدة لمجرد أن قصيدتك قد ولدت موهوبة خصبة متألفة

هدى: ولكن يانبييل! فكر فيما تقول، ان قصيدتى لا تولد فى نهار الجوع هذه المشاغل يأتى بها صبح الصيام، دروس فى الجامعة، موعد مع الطبيب، زيارة لا مفر منها، ومثل ذلك، وخلال ذلك أبقي تحت وهج الحالة الشعرية التى وصفتها لك، أعانى العذاب والغبطة، وأكل الملح والسكر، وأمشى فى الضباب على شواطئ يوتوبيا، وأتمزق خلال ذلك تمزقا متصلا لأننى أحتاج إلى الورق والقلم والصمت لأتم هذه القصيدة التى ترمها المشاغل من أن تولد ويتم خلقها.

نبيل: الآن ينبغى أن تفسرى لى ما لا يبدو متناسبا، إذا كانت الأشر تهبط عليك كاملة فلماذا تحتاجين إلى كل هذا الوقت لإتمام القصيدة؟ أحيانا نكون جالسين مع ضيوف لنا تحبينهم، وفجأة أفقدك وأجدك قد اختفيت من بيننا فأبحث عنك لأجدك واقفة فى

المكتبة تكتبين فى لهفة ووله، وأسألك عاتبا: كيف يصح هذا؟
تركين الضيوف وتقبعين فى المكتبة؟ فتقولين لى فى عجلة وتأجج:
(لحظات فقط! إننى أسجل أشطرا من شعر هبطت على الآن وإذا ما
أهملت كتابتها فورا هربت وانطوت الى الأبد).

هدى: وأعود مسرعة إلى الضيوف والراحة مرسومة على وجهى، ولكن
لاحظ! إن هبوط بعض الأشطر على موزونة مقفاة موهوبة كاملة لا
يعنى أن القصيدة تنظم نفسها لى.

نبيل: هذا ما نريد معرفته تفصيلا، ماذا يهبط عليك هبوطا؟ وماذا تبدعينه
أنت بذهنك الواعى؟ وهل الشعر معجزة خالصة؟ أم أن لك فيها
يدا؟ وهل شيطان الشعر حقيقة ملموسة واقعة؟

هدى: إنه حقيقة رائعة، وأسلافنا العرب القدماء مبدعون فى تصورهم له،
شيطان الشعر هو الحالة الشعرية يا نبيل، وقد وصفتها لك، ولكن
هذا الشيطان الحبيب أو الملك الإلهى الطيب لا يعطينا كل شئ،
وإنما يعطى شيئا ويغيب عنا أشياء أو هو يعطى المفتاح ثم يقف
مبتسما مشجعا، وعلى الشاعرة بعد ذلك أن تشق طريقها وحدها.

نبيل: ولكنك قلت إن الأشطر تهبط عليك كاملة.

هدى: هذا يقع غير قليل ولكن... إن هذه الأشطر الملهمة لا تأتى فى
سياقها المفروض أولا: يأتينى شطران عذبان يمكن تركيبهما فى
مكان ما من القصيدة التى أمتلك فكرتها كاملة، ولكن أين البقية؟
إن على أن أجدها بنفسى وأرصها حتى يقابلنى مكان الشطرين
المعجزين اللذين نبعا فى ذهنى غير الواعى بقافيتهما، وأحيانا يأتى
شطر غير كامل فيه فكرة خصبة جديدة تغير السياق الذى أنا فيه
تغيرا سحرى، وتمنحنى اتجاهها جديدا لم يكن يخطر على بالى أو

يهجس به خاطري، وقد تأتيني قواف مفاجئة منفردة ليس لها أشطر
غير أنها تعطيني مفتاح غرفة مسحورة مقفلة تشق للقصيدة دربا لا
عهد لي به.

نبيل: ولكن القوافي وحدها لا تنفعك، أليس كذلك؟ وهل هذه هي
الحالة الشعرية إذن؟ أراني قد خبت في عقل الشاعر غير الواعي.

هدى: يا نبيل! إنني أتدفق على صورة سحرية لا مثيل لها ويكون إتمام
الأشطر التي امتلكت قوافيها سهلا، وفيه عذوبة ولذة، هنا القضية،
فما أكاد أمتلك القوافي حتى يهبط على معنى جديد جدة كلية،
وهذا المعنى لا يوجد جاهزا وإنما على أن أبذل الجهد للوصول اليه
وبعث دم الحياة فيه، وما أكاد أفكر حتى أتدفق، إن يدي تلوح
مسحورة، وذهني كله انشغال وتفجر، وبين الحين والحين يأتيني شطر
موزون كامل أو شطران قد يمكن تركيبهما في أول القصيدة
أحيانا، ولذلك تراني في الغالب أمزق خلال الحالة الشعرية، كل ما
نظمته في الفترة الأولى التي سميتها فترة الكتابة الواعية، وهي فترة
ينقصها التدفق المبدع، ذلك أنني أكتشف بعد هبوط الحالة الشعرية،
أن الأبيات الأولى كانت باردة وغير خصبة ولذلك أبادر إلى
شطبها وإثبات أبيات جديدة حارة متدفقة في مكانها، ولولا هذه
الخصوبة المتأخرة لكانت بدايات قصائدي صماء ثلجية جوفاء في
أغلب الأحيان، لأنني أكون قد نظمته في فترة ما قبل الحالة
الشعرية.

نبيل: هذا الذي تقولينه شديد الأهمية، وكنت أحب أن أسمعك تقولينه
لأنك قلت لي في البداية شيئا خيبي هو أن افتتاحية القصيدة
تكتب دون أن تكون وراءها حالة شعرية تلونها وتثبت الحيوية

والخصوبة فيها، ولكن قولى لى مع ذلك، ماذا تفعلين حين تريدان
أن تبدئى قصيدة؟

هدى: فى أحيان كثيرة أجلس وأسجل الفكرة التى خطرت لى فى نشر
اعتيادى محاولة تجميع كل ما فى ذهنى الواعى حولها من صور
ورموز وغير ذلك مما هو مادة الشعر.

نبيل: ولكنك قلت إن ذهنك يتدفق ويتفجر بأشياء جديدة مبتكرة لاتخطر
لك على بال، فكيف يحدث هذا التفجر ومتى؟

هدى: انظر أيها العزيز، إذا أردت أن أرسم لك صورة بسيطة عن
الأسلوب الذى يعمل فيه ذهنى أثناء هذه الحالة، فسأذكرك بالجهاز
المسمى بالعقل الإلكتروني.

نبيل: هذا الجهاز المقتدر الذى يعطى معلومات إنسكلوبيدية عن أى
موضوع نكلفه بالغوص فيه؟

هدى: أجل، ولكنى أحتاج هنا إلى أن أشير إلى نوع معين من أصناف هذا
الجهاز وهو النوع الذى يبدو قادرا على تدبير تجانس إنسانى عجيب
يحار الفكر فيه، إن هناك فى أمريكا جهازا إلكترونيا يرتب اللقاء
بين الشبان والشابات ويختار لكل منهم رفيقا مناسبيا يستطيع أن
يصحبه إلى حفلة مثلا دون أن يعكر انسجام الرفيقين شىء، فإذا
رغبت فتاة ما فى حضور احتفال، ووجدت نفسها بلا رفيق
يصحبها إليه لجأت إلى شركة معينة، تمتلك هذا الجهاز طالبة
مساعدتها فى الحصول على هذا الرفيق، ويقع على الجهاز أن يختار
للفتاة أنسب صاحب تقضى معه الأمسية.

نبيل: (ضاحكا) حقا؟ هذه إحدى شطحات أمريكا ولم أسمع بها من
قبل، ولكن ما علاقة هذا بحالتك الشعرية؟

هدى: علاقة ما... إن هذا الجهاز اختراع قصد به علماء أمريكا تقليد العقل الإنسانى المذهل الذى أودع فيه الخالق العظيم قدرات سحرية يبقى سرها خفيا علينا فلا تفسير لها إلا كونها من صنع إله قدير مبدع لا حدود لعظمته وقدرته، أراد العلماء أن يصنعوا جهازا يقلدون به ذهن الإنسان فاخترعوا العقل الإلكتروني، وكيف يعمل هذا الجهاز؟ هناك موظف مسئول يتلقى طلب الفتاة التى تبحث عن رفيق تقضى معه المساء، وهذا الموظف يلقي عليها مجموعة من الأسئلة تتناول نفسيتها وهواياتها وثقافتها وأحوال أسرتها وأشياء كثيرة أخرى منها طولها ووزنها، ثم يملئ الموظف هذه المعلومات إملاء دقيقا على الجهاز الممتد أمتارا كثيرة على الجدران وهو آلة معقدة أشد التعقيد، وبعد ذلك يبدأ الجهاز بالعمل الدائب المستمر، أضواء تنطفئ هنا وتشتعل هناك، وأزرار تتحرك، وأرقام تصعد وتهبط وبعد ربع ساعة من هذا العمل الآلى يقدم الجهاز اسم الشاب الذى يصلح لمرافقة هذه الفتاة، ويكون هذا الشاب أحد العشرات من الذين تقدموا إلى الشركة يطلبون رفيقات يصاحبنهم هذا المساء.

نبيل: أنت تحاولين التقليل من قيمة هذا الجهاز إلى جانب عقل الإنسان، فقد لاحظت أنك وصفته بالضخامة وتحذرت عن المكان الواسع الذى يشغله بينما عقل الانسان لا يزيد عن حجم تفاحة كبيرة، وأنا خبير بطريقتك فى التحدث كلما ذكرت عظمة الخالق وتضاؤل علم الإنسان إلى جانبه.

هدى: أو ليس هذا صحيحا يا نبيل العزيز؟ إن جهازهم الذى يعد من عجائب هذا العصر لا يكون شيئا إلى جانب عقلى الصغير الحجم

الذى خلقه الله المبدع الأكبر وجعله من الأسرار التى لا نسبر أغوارها ولا نلامس عمقها مهما تقدمنا فى العلم، لقد زعم العلماء أنهم قلدوا هذا العقل فى عملهم، وانظر كيف يعمل العقل البشرى، أهم بكتابة مقال حول فكرة معقدة أهتم بها، وأبدأ ذلك بأن أجلس إلى مكتبى وأمامى أوراق فارغة، وأروح أسجل كل ما فى ذهنى الواعى من أفكار وصور وأحاسيس حول ذلك الموضوع، وقد تشغلنى هذه العملية ساعتين أو ثلاثا أو أكثر، وقد أحقق الكثير وأسجل نقطا كثيرة تستطيع أن تكون العمود الفقرى للمقال، وعندما تنفذ أفكارى أطفىء الضوء وأذهب إلى سريرى وأنام، والمعجزة المذهلة تحدث فى الصباح التالى - أو خلال الليل نفسه - فأنا أستيقظ فجأة لأجد ذهنى فى حالة توهج غريب، وألاحظ أن فكرة جديدة مبتكرة قد نبتت فى وعى حول ذلك الموضوع وطلعت كالوردة الحمراء المشتعلة باللون والحياة، وأسرع إلى مغادرة السرير الدافئ إلى غرفة المكتبة الباردة وأجلس على عجل لأسجل الفكرة قبل أن تضيع فى غمار الذاكرة وتفلت منى إلى الأبد، كيف تم هذا البزوغ المذهل؟ لقد نمت أنا واستمر العقل الموهوب يعمل فى جد وحرارة واهتمام وسرعان ما أبدع هذه الفكرة وأعدّها بحيث تكون جاهزة كاملة فأتسلمها حين أستيقظ، وهذه الفكرة كما يتضح لى جديدة جدة كاملة ولا علاقة لها من أى لون بأفكارى السابقة الواعية، وهذه الفكرة كثيرا ما تقلب مقالى رأسا على عقب وتوجهه وجهة جديدة، ثم إننى ما أكاد أكتب هذه الفكرة حتى تنثال على أفكار أخرى جديدة فيها عمق ملحوظ دون أن أدري من أين نبعت وهذه الأفكار تحول مقالى من حال إلى

حال، وترسله فى اتجاه سحرى مبتكر لا أعرف كيف بلغته ومن أعطانى إياه.

نبيل: ما تقولينه صحيح، وأنا أيضا قد جربته وان لم أكن ملهما مثلك، إن ذهنى يعمل على هذا الأسلوب، أحيانا أحاول محاولة دائبة أن أفك معضلة فكرية من نوع ما، وأبذل الجهد كاملا دون أن أحقق نتيجة وأخيرا أعجز وأستسلم لليأس، واذ ذاك أترك الموضوع وأنصرف إلى أعمالى الأخرى، وفجأة يبرز الحل الكامل من ذهنى ويتصب وكأن معجزة قد وضعت بين يدى، ومن أين جاء هذا الحل؟ وكيف نبع؟

هدى: نبع من عقلك الذى هو أقدر آلة إلكترونية فى الوجود، أتعلم ما يحدث لنا فى هذه الحالات الغامضة؟ نحن نعطى هذا العقل الجبار المعلومات الأولية التى نعرفها، فنجلس ونجمع له المواد التى يملكها العقل الواعى، وبعد ذلك ينقد ما لدينا ونعجز ونكف عن العمل وننام، ولكن العقل السحرى المعجز لا ينام وإنما يبقى يعمل بلا انقطاع، إنه ساهر أبدا يعمل ونحن غافون غافلون مسروقو الأرواح، وفى سهرة يبدع أفكارا جديدة لا علاقة لها بأى شىء سابق من المادة الأولية التى جهزناه بها من جهدنا المحدد الواعى، وذلك هو الإبداع البشرى العجيب الذى يطلع به علينا العقل اللانهائى، وهل ترانى يا نبيل أنا التى أبدع القصيدة الحية المبتكرة؟ لَوَالله. إنما هو كيان غامض مسربل بالألغاز يقيم فى داخل على صورة لا تعليل لها ويعطينى القصيدة جاهزة، وهذا الكيان هو قوة الله الجبار التى رقرقت نبض الحياة والفكر فى كل ذرة من ذرات الخليقة.

نبيل: سبحان الله العلى القدير، ومع ذلك فلست أوافقك على ميلك إلى التقليل من قيمة العلم، لأن العقل الإلكتروني مدهش أيضا، وهو تقليد عظيم لعقل الانسان.

هدى: هو عظيم لأنه من صنع الإنسان الجاهل الضعيف، ولكنه تافه، ولا قدرة له بإزاء العقل البشرى.

نبيل: إذا كان الأمر كما تقولين فكيف يصل هذا الجهاز الى اسم الشاب المناسب الذى تسهر معه تلك الأمريكية التى حدثتني عنها؟

هدى: ليس فى ذلك أى إبداع، إن العقل الإلكتروني قد زود بالصفات الوافية لعشرات من الشبان، وهو لا يزيد عن اختيار شاب وفتاة تتماثل صفاتهما، وهذا اختيار أوتوماتيكى ليس وراءه إبداع، ذلك العقل الإلكتروني لا يمكن أن يطلع علينا بفكرة خلاقة كالتى تبدعها عقولنا، وإنما يقتصر عمله على جمع المواد وتنسيقها وفرزها، ثم إن الجهاز يقع فى أخطاء غليظة فى أحيان كثيرة، غلطة واحدة يقع فيها الموظف المسئول حين يضغط على زر غير الزر المطلوب، وتكون النتيجة أن يجمع الجهاز شابا وفتاة متنافرين فى ذوقهما كل التنافر، فما تكاد الفتاة تلتقى بالفتى الذى اختاره لها العقل الإلكتروني حتى تنظر إلى عينيه وتشعر بنفور منه لا تفسير له، ويحس هو إحساسا ماثلا دون أن يدرك السبب، والجهاز الإلكتروني لا يملك عاطفة ولا يرتعش له قلب يعطف على الشابين المذكورين وهذا سر غلظته وقلة إحساسه، إنه يعمل بالأضواء والأزرار والأرقام، أما الإنسان فإن له روحا، وهذه الروح لا نهائية فلا تسير أغوارها آلة، ولا يصل إلى فك رموزها جهاز مهما تعقدت مدينة الإنسان، وفى الحياة الإنسانية حالات كثيرة

يكون فيها الزوجان-مثلا- مختلفين في مزاجهما وأهوائهما وطباعهما ومع ذلك يسعدان بزواج يمتد مدى الحياة وينزلق على دولاب السنوات بلا مقاومة ولا صدمات ولا خدوش، والعقل الالكترونى عاجز عن أن يجمع مثل هذين القلبين، وكل عمله أنه ينسق الخصائص التى أعطيت له ويقرن الشئ بشبيهة ويختار أزواجا تماثل صفاتهم وقد تتنافر قلوبهم كل التنافر.

نبيل: قد يكون الأمر كما تقولين، ولكن كيف تفسرين كون العقل الالكترونى ينسق الأفكار ويعطينا اسم الشاب المناسب؟ أليس هذا ابتكارا؟

هدى: لو تأملت لأدركت أنه لم يبدع فكرة جديدة مبتكرة لم يسبق أن خطرت على بالنا كما يصنع العقل الإنسانى، وإنما يقتصر عمل العقل الالكترونى على حالة واحدة هى الحالة التى يمتلك فيها أسماء شبان آخرين وصفاتهم، إن قصارى ما يقدر عليه أن يجمع أشياء معطاة له ويقرن بعضها إلى بعض ويختار منها الرفيقين الأكثر شبها ليرافقا ذلك المساء، أما العقل البشرى فإنه يحل لك اللغز يا نبيل، يحله حلا جديدا يستحيل أن يكون خطر لك، وهو ينظم لى القصيدة التى تذهلنى أنا نفسى وتأتى فريدة لم يقل شبيهها شاعر غيرى، ومن أين تتبع تلك الأسطر المنظومة المقفاة الكاملة التى لم أشتغل أنا فى نظمها لا بل لم أتذكر قوافيها لأسجلها فى قائمة القوافى، إن العقل خلاق مبدع يتكرر من لا شئ، أما عقلهم الإلكترونى الذى يهرهم فهو لا يقدم لنا الا أحد الأسماء التى حشونا بها حشوا، وكثيرا ما يخطئ بينما العقل البشرى لا يخطئ، نبيل: هذا صحيح، وأضيف إلى ما تقولين أن عقلنا العجيب يعمل بلا

أضرار ولا أضواء ولا صعود ولا نزول، وحين نتناوله فى غرفة التشرىح ونتأمله نزداد حيرة وذهولا فهو مجرد كتلة صغيرة من اللحم والدم وهذه الكتلة تؤدى وظائف معقدة معجزة لا يستطيعها ذلك الجهاز الهائل الضخامة الذى يملأ قاعة كبيرة.

هـدى: (تخشع) سبحانك يا الهى، يا أجمل حقيقة فى الوجود.

نبيل: سبحانه وتعالى، ولكن اسمعى يا هدى، خطرت لى فكرة، إن عقلى حين يحل لى اللغز ليس مبدعا من دون ثقافة أمنحه إياها، تذكرى كم سنة من عمرى قضيتها فى الدراسة وقراءة مئات فى مختلف حقول المعرفة والفكر وعلى هذا يكون ذهنى مالكا للأفكار الدقيقة كما يملكها العقل الإلكتروني.

هـدى: صحيح طبعاً، إن دراستنا وثقافتنا ذات علاقة مباشرة بالموضوع لأنها تنشط العقل، ولكن ألا يبدع عقل الرجل الأمى قصائد ولوحات وأفكاراً؟

نبيل: اعتراضك وارد، والأميون يبدعون، ولكن هل يستطيع رجل من هؤلاء الأميين أن يحل هذه المعضلة الفكرية عين الحل المعقد كما حللتها أنا؟

هـدى: إنه لا يستطيع وذهنه يبدع آخر مختلفاً، ولكن ما رأيك فى ذلك الطفل الذى قدمته لنا الإذاعة المرئية ببغداد مرة؟ كان عمره ثمانى سنوات وكان يستطيع إجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة لأرقام مخيفة تبلغ ملايين المليارات...

نبيل: لا بد لى يا عزيزتى من مقاطعتك، إنك تقولين إن الأرقام مخيفة، ولماذا تكون الأرقام مخيفة؟ ما الذى يخيفك فيها؟

هـدى: يا نبيل، إن الأرقام مخيفة تشير الرعب، وسر رهبتها أنها لا نهائية

وكل ما هو لا نهائى يخيف العقل البشرى ويزلزله، ولذلك نخاف الله أشد الخوف، فهو أزلى لا بداية له ولا نهاية، وأنا أخاف الفضاء، كما أخاف أزلية الله سبحانه، وكما أخاف الأرقام، لأن علماء الفلك يؤكدون أن السموات لانهائية فمهما سافرنا فيها وجدناها تمتد، وهى مخيفة حتى إذا أمكن لنا أن نتصور أنها تنتهى عند نقطة ما، عند حدود معينة، لأننا إذ ذاك سنعلم حقيقة رهيبة أخرى هى أن هذه السموات المنتهية بحدود لا بد أن يكون وراءها شئ آخر، وهذا الشئ الآخر سيكون وراءه أشياء أخرى، أرأيت إذن؟ إن اللانهاية شئ لا يحتمله العقل الإنسانى ولا بد للفكر من أن يلقي هذا السؤال الرهيب، ماذا وراء اللانهاية فى الخليقة وفى الأرقام وفى الزمن؟ فكر فى كل هذا يا نبيل وسترى أنك خائف تحس أن الوجود يمد تحت قدميك.

نبيل: إنك تصورين اللانهاية تصويرا يثير الرعب حقا، ولكن حدثينى عن ذلك الطفل الذى عرضته إذاعة بغداد المرئية بما له من قدرات حسابية فإنى لم أره ولم أسمع عنه.

هدى: لقد ألقوا على ذلك الطفل أسئلة مخيفة بأرقام هائلة تثير العجب والدهشة فكان يجيب فوراً ويعطى الناتج دونما ورقة ولا حساب، وكان الذين يلقون عليه الأسئلة رياضيين مختصين وكانت معهم آلة حاسبة إلكترونية لولاها لما استطاعوا إثبات صحة إجابات الصبى الصغير.

نبيل: تقولين إنه كان يجيب فوراً، وهذا أعجب العجب لأن الحاسبة الإلكترونية حين تعطى أرقاما ضخمة كثيرة لضربها تستغرق ما لا يقل عن ربع ساعة فى إعداد الجواب.

هدى: نعم، نعم يا نبيل، واسمع هذا، لقد حصل خلال ذلك أن أعطت الحاسبة الإلكترونية جواباً يختلف عن جواب الصبي بعشرة أرقام، فما كادوا يجابهونه بذلك حتى أكد لهم أن الآلة هي المخطئة في الإجابة لأن أحد أزرارها معطل، وعندما جاءوا بخبير وفحص الآلة اكتشف العطل فعلاً، أفليس هذا مذهلاً؟ هنا ذهن بشرى غير متعلم وغير مثقف ولم يزود بأية خلفية رياضية، ومع ذلك يصحح خطأ آلة إلكترونية ينذر أن تخطئ، أليس هذا كله من مظاهر عظمة الله الذى أبدع فى خلق العقل البشرى؟

نبيل: ما تقولينه حق، والعقل الإنسانى خلاق على صورة معجزة.
هدى: وهل يجعلك هذا تغفر لى تركى لهذه الإبرة على مكتبى منذ أمس؟ إن ذهنى كان منشغلاً بابداع قصيدة جديدة.

نبيل: آمناً بالله، وسامحناك، والتمن الذى أطلبه أن تقرئى على القصيدة الجديدة ولكن ها أنا ذا أحمل الإبرة بنفسى وأضعها فى علبة الخياطة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حلم ليلة من ليالى رمضان

حلمت بأنى أهاجر نحوك فى عرض هذا الوجود
وزوأتى صلواتى، ووجدت، وأوتارُ عود
على كتفى صررٌ وحقائب
وفوق عيوني ضبابٌ، وعبر دمائى رغائب
تحملنى ثقلها الأرض، تقلع ريش جناحى الخطايا
وتعكس وجهى وتخدعنى عشرات المرايا
فلا أستطيع الصعود
وتأكل من شفتى الغياهب
ولكنَّ وجهك يدعو
ووجهك دونَ حدود
ومن خطفته سماوات وجهك ليس يعود

وسافرتُ وحدى طويلا لعلّى أصلُ
إلى شطك المَكتَمَل
هناك تُموسقنى دفقةٌ من شذى جبهتكُ
وأركعُ فى ضيفتكُ

(*) العدد التاسع والعشرون من مجلة الشعر المصرية

وتجثو معى عَشَرَات الكواكب
أقول لقلبي: طال طوافك
وتومئ لى، يا مليكى، ضفافك
واسألها: خلف أى بحور هيه؟
وفى أيما لا مكان
أحاول أن أتجرد، أمضى إليك، محررة من قيود الزمان
فتحسبني موجة لاهية
وزنبقة عاربه
على شاطئ بالشذى يغتسل
يغازلنى، يتودد، يبعدنى عنك لكى لا أصل
وأسأل: أى شوارع حلمى حواك؟
وفى أى غصن
من التوت ألقى شذاك؟
وفى أى إغماءة من تهجد لحنى
ترى سأراك؟
وفى أى أمواج قوس السحاب ألاقيك فى أى لون؟
وفى أى خيط من المطر المنهمل؟
وفى أى بلورة من سواقي الصباح الخضل؟
ومن قعر جرح بخاصرة الشوق لا يندمل

يضجُ سؤالي
وليس يردُّ على نبضاتِ سؤالي
سوى رجعه، وترامي بحار، وشطآن حزن
سوى حيرتي وارتمائي ما بين كون وكون
ويمطر فوق جفوني البنفسج حين تمر بيالي
وأثر عمري في البحث عنك: ليالي، ليالي
ويكشفنا الفجر منصرعين، أنا وابتهاالي

وأسمع همسا يخاطبني: أنت أيتها القاصده
إلى دربه، فيم تحملين ركام الحقائق
تجربتها؟ إن حارسَ هذا الطريق سيطلب دَمعة تائب
يعانق قلبي شيء
ويشرب ضوءه
وفي لحظة من ضياع وحيره
يطالعني وجهة المبتسم
تكونه رعدة في مياه البحيره
وأركضُ في وله، غير أن الغروب النهم
يخبئُ حسنك عني
ويأخذُ وجهك مني

وزادى من عطر شخصك قطره
ومن ضوء وجهك نظره

متى سيكون الوصول إليك؟
وكيف الوفود عليك؟
أضيقُ وجهك مغلوبة، وأرانى وحدى
وحين أغنيك تسبق صوتى مرارة سجنى
وشهقة قيدى
وقلبى عصفورٌ فجر يزقزق بين يديك
ويشربُ من شفّتك
وذكرك مسبحتى، وجذورى، ولذة سهدى
ووجهك مجدى
ولقياك أجملُ وعد
وأسألُ عنك،
ويولد مدٌّ من الشمس عبر البحر
يواعدنى رمضانٌ جديدٌ بشرقة حب لديك
ترش على شذاها ليالٍ آخر
وأجلس أغزل شوقى لموعدك المنتظر

ثلاثية من زمن الفراق

فى دروب الرياح
هل يا حبيبى بعثرتنا شاسعات البلاد؟
هل فرقنا الرياح؟
وهل ترى قد سكنت شهر زاد
عن الكلام المباح؟

من يا ترى ألقى بنا للرياح؟
عصفورتين دون عشٍ دافئٍ أو جناح
ترمقنا الجوارح الكواسر
بنظرة أهدابها مسمعة، أحداقها باترة
تشربنا كأنما دماؤنا بحيرة تستباح
ممن يا حبيبى قد بنى بيننا
هذا الجدار، من ترى أسلمنا للجراح؟
ومن ترى أودع أشعارنا
أستار هذه الظلمة الناخرة؟
وهذه ترى يأتى إلينا الصباح
بعد ليالى السهر المعاصره؟

وهذه الصحراء هل بعدها
تسقى رؤانا غيمةً ورديةً ماطره؟
برشة من حبنا عاطره؟
ترطب الأشواق، تشفى كل جرح حفرته
الرياح
وكل ليلٍ قاتمٍ خلفوا
أشواكه في الظهر والخاصره

ويا حبيبي هل ترى قد صمتت شهر زاد
عن الغناء المباح؟
هل أسلمتنا للبلاد البلاد؟
واستعبدتنا الرياح؟
فلا شذى من أمسنا يستعاد؟
ولا يطل الصباح؟

فهرست

قرارة الموجة

٧	تقدمة
٢١	أول الطريق
٢٤	أغنية
٢٦	دعوة إلى الأحلام
٢٨	الشهيد
٣١	لعنة الزمن
٣٧	إلى العام الجديد
٤٠	طريق العودة
٤٥	الأعداء
٤٨	حصاد المصادفات
٥٠	النائمة فى الشارع
٥٤	مرثية امرأة لا قيمة لها
٥٥	الأرض المحجبة
٥٩	لنفترق
٦٢	سخرية الرماد
٦٦	صائدة الماضى
٦٨	إلى أختى سها
٧٠	الهاربون
٧٣	ماذا يقول النهر
٧٥	ثلاث مرات لأمى

٧٦	١ - أغنية للحزن
٧٨	٢ - مقدم الحزن
٨٠	٣ - الزهرة السوداء
٨٢	يحكى أن حفارين
٨٦	الزائر الذى لم يجىء
٨٨	الراقصة المذبوحة
٩١	الشخص الثانى
٩٣	عندما قتلت حبيبى
٩٥	لحن للنسيان
٩٨	كلمات
١٠١	السلم المنهار
١٠٣	غسلاً للعار
١٠٥	الرحيل
١٠٨	الحبيرة
١١٠	أسطورة عينين
١١٣	الوصول
١١٥	أغنية لشمس الشتاء
١١٩	بقايا
١٢٢	ساعة الذكرى
١٢٤	هل ترجعين؟
١٢٦	صلاة الأشباح
١٣٣	خائفة
١٣٥	دعوة إلى الحياة

شجرة القمر

١٤١	حول قصائد هذا الديوان
١٤٩	شجرة القمر
١٦١	أغنية للحياة
١٦٣	تمية للجمهورية العراقية
١٦٧	طريق حبي
١٦٩	خمسة أغانٍ للألم
١٧٦	أغنية للأطلال العربية
١٧٨	مشغول في آذار
١٨٠	ولكنها ستكون الأخيرة
١٨٢	وردة لعبد السلام
١٨٤	أغنية للقمر
١٨٦	ثلج ونار
١٨٨	أغنية حب للكلمات
١٩١	ثلاث أغنيات عربية
١٩٦	خصام
١٩٩	أسفار
٢٠٠	نحن وجميلة
٢٠٢	إن شاء الله
٢٠٥	حدود الرجاء
٢٠٧	الوحدة العربية
٢١٠	أغنية ليالي الصيف
٢١٣	النهر العاشق

٢١٦	المدينة التي غرقت
٢١٩	الشيخ ربيع
٢٢٣	البعث
٢٢٦	أغنية لطفلى
٢٢٨	إلى وردة بيضاء
٢٣٠	إلى الشعر
٢٣٥	النهر المغنى
٢٣٦	ثلاث أغنيات شيوعية
٢٤١	إلى ميسون

للصلاة والثورة

٢٤٥	تقدمة بقلم الشاعرة
٢٦٣	سوسنة اسمها القدس
٢٦٧	سهر
٢٧٥	أقوى من القبر
٢٨١	الهجرة إلى الله
٢٨٧	الملكة والبستان
٢٩١	رحلة على أوتار العود
٢٩٤	ثم يتفجر العسل
٢٩٩	الأميرة النائمة
٣٠٤	الخروج من المتاهة
٣٠٧	ثلاثية فى زمن الفراق
٣١٥	عناوين وإعلانات فى جريدة عربية
٣٢٠	القنابل والياسمين

٣٢٥	اختلاجات نحو القمة البيضاء
٣٣١	للمصلاة والثورة
٣٤١	سبت التحرير
٣٤٨	عن السلام والعدل
٣٥٣	شمس للقاهرة
٣٥٧	تحية للطفلة دالية

يغير ألوانه البحر

٣٦١	تقدمة للشاعرة
٣٦٥	ويبقى لنا البحر
٣٧٤	الماء والبارود
٣٩١	زنابق صوفية للرسول
٤٠٢	دكان القرائن الصغيرة
٤١٢	مرايا الشمس
٤١٩	ميلاد نهر البنفسج
٤٢٥	سنابل النار
٤٣٨	السماء على غابة الصيّر
٤٤٣	تمتمات في ساحة الإعدام
٤٤٨	السفر في المرايا الدامية
٤٥٥	صور وتهويمات أمام أضواء المرور
٤٦٧	هوامش وتعقيبات

الوردة الحمراء

٤٧٩	الوردة الحمراء
-----	----------------

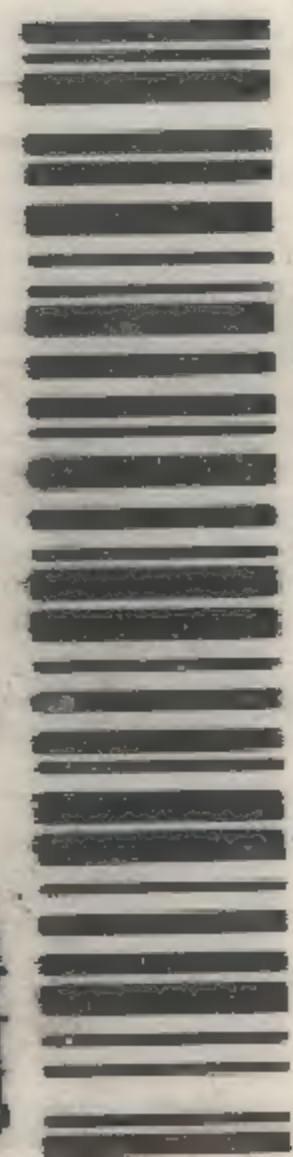
٤٨٢	نجمۃ الدم
٤٨٩	الزرقاء والمدينة
٥٠٢	القمر على مزدلفة
٥٠٩	سيمفونية السجاجيد
٥١٣	الأبرة والقصيدة
٥٣١	حلم ليلة من ليالى رمضان
٥٣٥	ثلاثية من زمن الفراق

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٩
I.S.B.N. 977 - 305 - 333 - 4

متى نصلى؟ إنما صلاتنا انفجارٌ
صلاتنا ستطلع النهارُ
تسلح العزل، تُعلى راية الثوارُ
صلاتنا ستشعل الإعصارُ
ستزرع السلاح والزنبق فى القفارُ
تحول اليأس إلى انتصارُ
صلاتنا ستنتقل الجذب إلى اخضرارُ
وتطعم الصغارُ
فاكهة الصمود والإصرارُ
يا قبة الصخرة من صلاتنا سيرتوى آزارُ
وتنبث الرايات والثمارُ
وتبعث الغناء، والليمون، والأحرارُ
تعيدنا للوطن المسروق، تمحو العارُ

نازك الملائكة

Bibliotheca Alexandrina



0494896

المجلس الأعلى للثقافة